

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٨-٩) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

---

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً – وبمحض التوفيق الإلهي – الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولبي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله القادي فألبسه خلعة علي – رضي الله عنه – سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (٦-١٣٥٥) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أمّا بعد؛ فيقول الفقير حسن حلمي القحيُّ[١] غفر الله له : قد طلب مني ولدي محمد عارف - سلكه الله تعالى بفضله في سلك العارفين آمين - أن أجمع له مختصراً في أسرار وظائف الطريقة ؛ ليكون له ولغيره ترغيباً فبناءً على ذلك قصدت أن أؤلف كتاباً لطيفاً ملخصاً من كتب السادات على طريق الاختصار ، وسميته :

بـ« تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف »[٢]

---

(١) وفي نسخة : حسن حلمي القحيُّ بن الحاج محمد القحي النقشبندي الشاذلي سامحه الله تعالى من فرطاته ، آمين .

(٢) وجد في صحيفة العنوان من الأصل الخطي ما يلي :

ثم اعلم أن الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً ؛ وهي رابطة الحضور ، رابطة الموت ، رابطة المرشد .

أما رابطة الحضور : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة ، وتفكره معيَّته تعالى ، وكونه حاضراً وناظراً إليه تعالى ، وسميعاً عليماً بصيراً على مقتضى « كأنك تراه » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث « أفضل الأعمال أن تعلم أن الله تعالى معك حيثما كنت » فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها بل هي المقصود الأصلي ، وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت : فهي عبارة عن ربط القلب بالموت ، والقبر ، والقيامة ، وتفكر أهوالها ، وأحوال نفسه على مقتضى « موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا قبل أن تحاسبوا » ، « وكن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل وعدَّ نفسك من أهل القبور » . =

لِما أنه وقع سبباً للتأليف ، وأرجو الله تعالى أن يجعله سبباً لتشميره لحوز الهداية ، والاجتناب عن الغواية . ورتبته على ترغيبات ، وخاتمة ، وتذنيب ، **الترغيب الأول** : في اتخاذ الشيخ ، وبيان فوائده ، ومنافعه . **الترغيب الثاني** : في بيان فضائل الاستغفار . **الترغيب الثالث** في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه[1] السلام . **الترغيب الرابع** : في بيان فضيلة الذكر مطلقاً . **الترغيب الخامس** : في بيان فضيلة لفظة الجلالة (الله) . **الترغيب السادس** : في بيان فضائل (لا إله إلا الله) . **الترغيب السابع** : في بيان وظائف الشاذليين . **الترغيب الثامن** : في بيان آداب الذكر . **الترغيب التاسع** : في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد . **الترغيب العاشر** : في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم من ترتيب الشغل ، ووظائف الأعمال . **والخاتمة في الترهيب**[2] ، والتخويف ، وفي الوصايا التي لابد للمريد من رعايتها .

فأقول وبالله التوفيق :

=**وأما رابطة المرشد** التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله المكملين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبيّ من أنبياء الله تعالى ، أو وليّ من أولياء الله تعالى ، أو على جميعهم ، أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه ، أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها ، أو شيخه و مرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنه بلا تردد . فهذه الرابطة الحبية ملزوم ، وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم . انتهى من « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » .

(١) وفي نسخة : عليه الصلاة والسلام .

(٢) وفيه فضائل الكسب والحرفة . (منه) . (هامش الأصل) .

الترغيب الأول

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ وبيان فوائده ومنافعه

اعلم أيها الولد رزقك الله الاستقامة ، وجعلك من ورثة العلماء العاملين . آمين .

أن أول ما يجب على السالك بعد التوبة ، والندم على ما فرّط في جنب الله تعالى : أن يتخذ له شيخاً يرشده ويهديه ، مع التسليم والانقياد له ، وسلب الاختيار معه ، والاعتقاد فيه أنه وليّ الله وأنه دليل له إلى الله ، ولولاه لَما يصل إلى الله ، وأنه أشفقُ عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه ، فإن لم يعتقده كذلك فمحبته نفاق ، ولا ينتفع بشيء من أخلاقه ؛ وإن صحبه أكثر من ثلاثينَ سنة . هذا حاصل ما « في رماح حزب الرحيم » . راجعه في ١٢٨ من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأوّل .

وينبغي للمريد أن يعتقد ويجزم بأن ما قاله الشيخ ووعده يكون حقاً لا بد من وقوعه ، فقد نقل عن الشيخ أحمد التجاني ﷺ أنه قال : **إذا وعد الصادق أحداً بشيء من أمور الآخرة أو الدنيا ، فإنْ كان في وقت سماعه للوعد ساكناً مطمئنّاً جازماً بصدق الوعد فهو علامة على أنه يدرك ذلك الشيء لا محالة ، وإن كان في وقت سماعه للوعد مضطرباً مرتاباً في صدق الوعد؛ فهو علامة على أنه لا يدرك ذلك الشيء** ، فالجزم علامة أهل الصدق والتحقيق ، كما هو مذكور في « رماح حزب الرحيم » أيضاً في ١١٥ ج١ .

وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنني أعطي أحدهم القشّة من الأرض إذا طلب منّي الدّعاء لمريضه ، أو كتابة ورقة وأقول له : بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن

الله تبارك وتعالى ، فأعرفُ أنه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة ؛ **فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهية بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه** ، حتى أن بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أن تلك القشة تنفعه ، فلا تنفعه . انتهى ، راجعه في ١٧٠ ج١ .

وقد ذكر السادات كلاماً كثيراً في حق وجوب اتخاذ الشيخ ومنافعه ، ومن ذلك ما في « عقد اليواقيت » راجعه في ١٣٨ ج١ بهذه العبارات :

وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدي به ، **ومَنْ لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى مهاويه** .

وقال أبو الحسن المرسي : من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع[١] ، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له ، وَدَعيٌّ[٢] لا نسب له . وقال أبو يزيد : **من لم يكن له أستاذ فأستاذه الشيطان** . انتهى عبارته ، راجعه في ١٣٨ ج١ .

يا ولدي إن أردت الزيادة فراجع « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فقد بسطت الكلام فيه .

وذكر في « عقد اليواقيت » راجعه في ٥٦ ج١ كلاماً نفيساً طويلاً يحصل به الحث على المجالسة والمصاحبة مع أهل الخير ، فقال في الباب الثاني : فأقول والعبارة لسيّدنا علي بن أبي بكر السّكران باعلوي استعرت بعضها تبركاً : وقد حصل لي بحمد الله مع تأخّر عصري ، وضعف حالي ، وقِصَر باعي ، وقلة متاعي اجتماع بشيوخٍ أجلّة ، وسادات أئمة ، وصحبة لهم ، وصدق محبة ، ووداد وقربة ، وكثرة مجالسة ، وقراءة ومذاكرة

---

(١) والقناع ، غشاء القلب « ق م » .

(٢) الدعيّ كغني ، المتهم في نسبه : من يدعي النسب لغير أبيه الحقيقي . « ق م » .

وإلباس خرقة ، مقروناً بالإذن مقدماً باللبس محفوفاً بالأنس ، كما سيأتي ذكر ذلك ، فلقد حظيت بقربهم وبلغت آمالي إن شاء الله تعالى بهم ؛ وإني وإن كنت خالفاً عنهم ومتخلفاً عن فعلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم فأرجو أن يلحقني الله تعالى بهم ، ويسقيني بكأس شربهم ؛ فهم القوم لا يشقى بهم الجليس ، وإن كان فعله[١] مثلي[٢] دنيء خسيس ، غير أنَّ لي فيهم إن شاء الله تعالى المحبةَ الصادقة والإيمان بأذواقهم ومواجيدهم الفائقة ، وقد ورد في الحديث « المرء مع من أحب » ، وورد أيضاً « المرء من جليسه » ، و« المرء على دين خليله » ، والطبع يسرق من الطبع ؛ وإن أبت النفس .

وقد قيل : **من صحب الأخيار جعله الله من الأخيار ؛ وإن كان من الأشرار ، ومن صحب الأشرار جعله الله تعالى من الأشرار ؛ وإن كان من الأخيار .**

قال سيّدنا القطب الأشهر العيدروس الأكبر في كتابه « الكبريت الأحمر » : سلوك الطريق على الحقيقة بالعبادات[٣] ، أو بالمقامات ،

---

(١) علّه فعلي .

(٢) كذا في النسخة التي بأيدينا ، ولعل في العبارة زيادة أو نقصاناً . (منه ، سامحه الله) .

* وظنّ الفقير ذي التقصير القاضى حبيب الله رحمه الله تعالى أن العبارة تستقيم كما في المتن بإرجاع ضمير الغائب في قوله (فعله) إلى قوله (الجليس) ويكون لفظ (مِثْلَيْ) صيغة تثنيةِ مثلٍ ، وهو مضاف إلى لفظ (دنيء) في الظاهر وإلى لفظ (فعل) محذوف في جانب المضاف إليه في التقدير ، ويحتمل أن يكون الواو في قوله (وإن كان) للعطف على مقدّر تقديره : هم القوم لا يشقى بهم الجليس إن كان فعله مثلَ فعلِ الدّنيء ، وإن كان فعله مِثلَيْ فعل دنيءٍ خسيسٍ أو للتأكيد فالمعنى : لا يشقى بهمِ الجليس وإن كان فعله مثلَيْ فعلِ دنيءٍ خسيسٍ ، فضلاً عمن كان فعلُه مثلَ فعل الدنيء ، والله تعالى أعلم ، وعلمه أحكم .

(٣) قوله (سلوك الطريقة على الحقيقة بالعبادات) : أي بفعل العبادات والطاعات بالإخلاص وحسن النيات . (أو بالمقامات) : أي بالاتصاف بمقامات الأبرار=

=والصالحين ، كالحلم وكظم الغيظ والرفق والتوكّل وغيرها من أخلاقهم وصفاتهم . (أو بالأحوال) : والحال عند أهل الحق ؛ معنى يرد على القلب من غير تصنّع ، ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة ، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا .فإذا دام وصار ملكة يسمّى مقاماً ، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود . (أو بالأنفاس) : أي بوصول أنفاس الصلحاء . فقد ينتفع المريد المستعد بمجرد ملاقاة نَفَس الصّالح ونظره وكلامه ورؤيته ، ويصل بذلك إلى الله تعالى ، ﴿ **ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ** ﴾ . (أو بالمعارف) : أي بمعرفة أحوالهم ومعارفهم ومقاماتهم وعلومهم . فقد يتشوّق المستعدّ أيضاً عند سماع معارف الصالحين إلى الاتصاف بتلك الصفات فيسعى ويتشمّر لذلك فيصل بذلك إلى ما وصلوا إليه : ومن طلب وجدّ وجد . (أو بضرب الأمثال) : فقد يضرب الشيخ المثل للمريد ، ويقول مثلاً أن مثل الدنيا كالعجوزة القبيحة ، المستورة حالها بألبسة حسنة ، المزينة بزينة الحلل والأساوير ، وقد يتشوّف إليها من رأى زينة ظاهرها ، مع أنه لايعرف قباحة باطنها ، والحال أنه سكران مندهش فأكبّ إليها ومسّها ولامسها وجامعها ، وقبّل وجهها ، واضطجع معها في جملة من اللّيل إلى الصباح ، ثمّ إذا زال ما به من السكر ، وحصل له الصحو ، وأصبح ورأى حقيقة باطنها ، ورآها وعلم أنها عجوزة قبيحة المنظر ، منتنة الرائحة وقد يجرى من فمّها الصديد والقيح والبصاق والمخاط فحينئذ يندم على ما فعل حين لا ينفع الندم . فمثل هذه الأمثال يحصل للمريد المستعدّ التنبّه من سِنة الغفلة ، ويتشمّر إلى السلوك في طريق الأبرار ويزهد في الدنيا ، كما وقع أمثال ذلك لكثير من الناس ، والله وليّ التوفيق والهداية . (وحفظ القلوب) : أي بحفظ قلوب الأبرار والمشائخ عمّا تتكدّر ، وذلك يكون بحفظ الآداب أو بخدمة لائقة بهم . فقد يتأدب المريد لدى الشيخ أو يخدمه فيميل إليه قلبه ، فينجذب بمجرد ذلك إلى ما انجذب هو إليه ، ويصير ذلك سبباً للوصول وباعثاً للحصول . (أو بالمقابلات) : أي بمقابلة القلب بالقلب ، للاستفاضة ؛ **فقد يقابل القلب الظلماني بالقلب النورانيّ فينعكس النور كما ينعكس نور الشمس من الجدار الذى وصل إليه نور الشمس إلى الجدار المقابل به** . (أو بالقابليّات) : وقد يكون في ذات المريد قابليّة ، واستعداد موافقة بحال الشيخ ، وبمجرّد الملاقاة ينعكس إليه ما في باطن الشيخ من نور المعرفة فيصير ذلك سبباً للوصول . (أو بالمناظرات) : وقد يبحث واحد مع واحد من أهل المعرفة ، ويسأله ويناظره فيسوق إليه من العلوم والمعارف والأسرار ما هو اللائق بحاله . فإن كان ممّن أراد الله به الخير ينتفع به ويكون سبباً للسلوك إلى طريق الوصول إلى الله تعالى . (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظنّ وهو مؤمن بالأخلاق المحمديّات) : وقد يجالس ويخالط واحدٌ بواحد من أهل=

أو بالأحوال ، أو بالأنفاس ، أو بالمعارف ، أو بضرب الأمثال وحفظ القلوب ، أو بالمقابلات أو بالقابليات أو بالمناظرات ، أو بالمجالسات ، أو بالمحبات ، أو بالمخالطات والمودات ، مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات ، أو بالمذاكرات ، أو بالتصديق والاعتقادات ، أو بالانقطاع والخدمة ، أو بالتربية ، بالعلوم اللّدنيات ، وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف سالك مجذوب ، واصل محبوب ، واصل موصول ، عارف بالنقل والعقل ، عارف بالله تعالى وبنفسه ، حاضر غائب

=الخير والصلاح أو يحبه ويودّه فينعكس إليه بسبب ذلك حاله ، وينجذب إلى الله قلبه ؛ فإن الأحوال سارية والطبيعة سارقة ، وللصحبة والمخالطة تأثير عظيم لا يخفى على أهل الذوق والوجدان . (أوبالمذاكرات) : أي بذكر أوصاف أهل الخصوصيّة ومعارفهم ، والمباحثة عن حقيقة أحوالهم وأفعالهم وقصصهم تَنْبَعِثُ الهِمَم إلى الدخول في سيرتهم ، والسلوك في طريقتهم ، والوصول إلى ما وصلوا إلَيه . (أو بالتصديق والاعتقادات) : بطريقهم وولايتهم ؛ وقد قيل **التصديق بطريق الولاية ولاية** . وقال أبو يزيد قدس سره : من يؤمن بكلام القوم فقل له يدعو لك **فإنّه مجاب الدعوة** . (أو بالانقطاع) : إليهم بالاجتناب عن مخالطة غيرهم ، والملازمة بصحبتهم ، ورؤيتهم وسماع كلامهم . (والخدمة لهم) : فإن خدمتهم من أجل ما يوصل المرء إلى ما وصلوا إليه . وقيل : إن الخدمة أفضل من نوافل العبادات . (أو بالتربية بالعلوم اللدنيات) : أي بذكر تلك العلوم على ما ألهمهم الله وأنطقهم بحسب استعداد الطالبين . (وهذا لا يمكن إلاّ بقصد شيخ عالم) : بأحكام الشرع وأموره التي لا بد للسالك من معرفتها . (عارف) : بالأخلاق ، حميدها وذميمها ، وما يعالج به ذمائمها . (سالك) : في مقامات الطريق ذائق بنتائجها . (مجذوب) : حصل له جذبة القلب وجذبة الروح إليه تعالى لا يريد شيئاً سواه تعالى في حركاته وسكناته . (واصل محبوب) : أي الذي حصل له الوصول بمحبّته تعالى إيّاه ، وصيرورته محبوباً ، فإنه لو لم يتقدم محبته تعالى له لما أحبّه ، وقوله تعلى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ شاهدٌ عدلٌ على ذلك . (واصل) : إليه تعالى بالغيبة عما سواه والفناء فيه سبحانه . (موصول) : إليه بتواتر هباته ، وترادف جذباته بذكره إذا ذكره ، وإطاعته إذا أطاعه ، كما قال تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ، وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . فالواصل يكون موصولاً إليه وملحوظاً بعنايته وحفظه وعونه وتوفيقه وتلاحق وارداته جزاء وفاقاً على جهده وجهاده قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الآية . (عارف بالنقل) : أي نقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو ومريدوه إليه ليوافق ما يفعله بالشرع . فهذا ما وصل إليه فهم الحقير في بيان معاني هذه الألفاظ ، فإن يك صواباً فذا ، وإلاّ فالعفو من الله مسؤول . (منه قدس سره من خطه) .

في الخلوات والجلوات بقلبه في عوالم الشهادة والغيوب . انتهى .

فقد علمتَ من قوله رضي الله عنه (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات) أن ذلك يرفع الوضيع إلى أعالي الدرجات والمَحَالِّ الساميات[1] .

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي في كتابه « البرقة المشيقة في ذكر لبس الخرقة الأنيفة[2] » : وبالجملة فالمحب للصوفية والمتشبه بهم ، والمتشبه بالمتشبه بهم ، واللابس لخرقتهم ، والمتبرك بنسبتهم ، والمتّصل بسلسلتهم ، والعاشق لهم ، والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضل من غيره لحسن ظنه فيهم ؛ وإن كان خالفاً عنهم ، ومتخلفاً عن فعل مثلهم ، ومائلاً عن سنن استقامتهم ، فالخالف منهم في بركة السالف ، فمدد هممهم العالية على مَن تعلق بهم ، وصدق في حبهم وصفا ودهم وتشبه بهم ، وانتسب إليهم طامية[3] ، والكل في دوائر نفحات[4] بركاتهم الشاملة وحصون عنايتهم الكاملة ، غمرنا الله بفيض بركاتهم ، وشملنا بعموم ألطافهم وخصوص رأفاتهم وأحبابنا ومحبينا والمسلمين آمين .

وقال رضي الله عنه : **فالصوفية المخلصون الصادقون مع الله تعالى في** جميع الحركات والسكنات ، في ظواهرهم وبواطنهم هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة وكظموا[5] على مجامع كمال محاسن الشريعة .

---

(١) وسما سموّاً : ارتفع « ق م » .

(٢) أنف من الشيء أنفاً – أي : استنكف وهو الاستكبار . (مصباح) .

(٣) طمى الماء : علا ، وهمته علت « قاموس » .

(٤) نفحت الريح نفحاً من باب نفع : هبّت ، وله نفحة طيبة « مص » .

(٥) كظمت الغيظ : أمسكت علي ما في نفسك « مص » .

وهم أهل الله وخاصَّته وأمناء أسراره ، وخزائن أنواره ، وورّاث رسله ، وغياث خلقه ، وخلفاؤه في أرضه فطوبى لهم ، بل طوبى لمن أحبَّهم والتمس بركتهم ، وخص بدعائهم ، وأجاب دعوتهم ، وبذل الجهد في خدمتهم ، وحفظ حرمتهم ، واقتبس من أنوارهم ، وفيض نفحاتهم ، ونظر إلى وجوههم ، وقَبَّل الثرى من تحت أقدامهم ، ورُزق ودادهم ، وشَمَّ شذاهم[١] ، وشام[٢] برق سناهم[٣] ، وحام حول حماهم ، وقَبِل نصحهم ، وعشق سيرتهم ، واستنزل الرحمة بذكرهم ، وارتجى المغفرة بحبّهم ، واستمدَّ الفيض بودِّهم ، واستعدَّ بكمال الأدب بقربهم ، ورعاهم بباطنه ، وقوة حسن ظنه ، وصفاء اعتقاده ، وحفظهم بسرِّ قلبه وظاهره ، وانقاد لحكمهم في مجامعه ، وسلّم الأمر لهم جميعاً .

وقال أيضاً بعد كلام طويل يحث فيه ويرغب في انتهاج نهج[٤] ذلك الجيل[٥] قال : وعلى الجملة مَنْ قَرُب إليهم آووْه ، ومن ركن إليهم حملوه ، ومن التجأ إليهم جملوه ، ومن أحبَّهم أحبّوه ، وبباطن سرهم أمدُّوه ، وبمدد أنفاسهم أصلحوه ، وببركاتهم شملوه ، ومن ألبسوه منهم خرقة فبسلسلة أرباب المواصلة وصلوه ، وفي حلقة نسبةِ سندِ سلسلتهم أدخلوه .

وقال السيد الإمام عقيل بن عمر باعلوي في كتابه « فتح الكريم الغافر في شرح جَلْبة المسافر » : قصيدة الشيخ العارف سعيد بن عمر

---

(١) الشذو : المسك « ق م » .

(٢) شام : أي نظر .(قموس) .

(٣) السنا ؛ ضوء البرق « ق م » .

(٤) النهج : بوزن الفلْس ، والمنهج بوزن المذهب ، والمنهج الطريق الواضح . « مختار » .

(٥) جيل من الناس أي : صنف « مختار » .

المُكَنَّى لحاف[1] حاكياً عن الشيخ أحمد بن علوان اليماني أنه قال : **كل يحتاج إلى من هو فوقه** فينبغي أن يكون مفتقراً إليه ؛ وإن لم يعرفه ، كافتقار الأوتاد إلى الأقطاب ، وافتقار الأبدال إلى الأوتاد ، وافتقار الصالحين إلى الأبدال ، وافتقار الجهال إلى الصالحين ، فينبغي لكل سالك أن يأتمَّ هؤلاء ، ويحبّهم ، ويتشفّع إلى الله تعالى بحبّهم ، ويتمسّك بنسبهم ، ويتسبّب بسببهم ، وإن لم يعرفهم فإنّ الله تعالى **إذا عرف ذلك منه أخبرهم عنه فكان على خواطرهم وجملتهم بين يدي رب الأرباب** . انتهى كلام الشيخ أحمد بن علوان .

قال السيد عقيل المذكور **قلت** : هذا فيمن لم يعرفهم في الظاهر فما ظنك بمن تقرّب وتحبّب إليهم في الخدمة والصّحبة والمحبّة ، وأحسن الظن بهم ، وأدخل السّرور على قلوبهم والانتساب إليهم ، فكيف لا يكون في خواطرهم ويعتنون به ! ! ! كما روي عن سيّدنا الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي أنه قيل له : أتى خبر وفاة فقير له اسمه أبا خريصة في أرض بعيدة ؛ وقد شاع الخبر بموته ، فأطرق ساعة فقال : إن عاده[2] حيٌّ[3] فقيل له في ذلك فقال : إني طُفْتُ الجنان ولم أجده ، **وليس لي فقير يدخل النار!** انتهى كلام السيد عقيل .

وقال سيّدنا قطب الإرشاد الحبيب عبد الله الحدّاد مما نقله عنه سيدّنا الحبيب أحمد بن زين في « سفينته » ونقلته هنا بتصرف يسير :

فائدة : منهم من يصحبهم - أي الأكابر - ويخالطهم محبّة لما هم عليه من إيثار دين الله وإقامة أمره ، والاشتغال بطاعته والعمل بما يقرب منه .

---

(١) كنيته « مص » .

(٢) أي إن عاده يعرفون أنه حيّ ، ولعلّ المراد هكذا (منه) .

(٣) وفي نسخة : أن عاده حيٌّ . وفي نسخة أخرى : أن عاده حيّاً .

ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم ، من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم ، فذلك لا يخلو من بركة وخير كثير ، وهو داخل في عمُوم ما ورد في الحديث القدسي : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » حتى إن الذي يجالسهم ليتحصن - بيُمْنِ صحبتهم وبركتها - من الظالمين والمعتدين من شياطين الإنس والجنّ ، لا يخيب ولا يحرم بركتهم ، وإنّما يحرمُ ويخيب من تكون نيته في صحبتهم والاختلاط بهم أن يُعْرف بذلك بين الناس ، فيوصل به إلى شيء من الأمور المحظورة المحرمة في الشرع ، على توهّم منه وظنّ فاسد أنّ الناس إذا عرفوه بخلطة أهل الخير والصلاح ، ومحبتهم لا يظنّون به ولا يتوهّمون فيه أنه يرتكب المحرّمات ، ويقتحم[1] المحظورات فلا يستبعد مثل ذلك ، وأنه قد يكون من بعض المخذولين المسخوط عليهم . انتهى .

وقال بعض الأكابر : **إنَّ حسن الظن والمحبةَ الصافية يلحقان الأصاغر بالأكابر في إعلاء المقامات العلية .**

مهم
التصديق بعلمنا هذا ولايةٌ

وقال الشيخ شاه الكرماني : **ما تعبد المتعبدون بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى** ، لأنّ محبة أوليائه دليل على محبته ، وإذا أحسنت الظن بهم وآنست بطريقهم حصلتَ على الولاية المشار إليها بقول الجنيد رحمه الله تعالى : التصديق بعلمنا هذا ولاية .

وقال بعضهم : من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محبّ

(١) اقتحم الفرس : ركبه ، النهر دخله « مخ » .

حقيقة ؛ وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ، ففي الحديث « قيل يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أنت مع من أحببت » وقد ورد في الحديث عن محبة الأخيار والصالحين الأبرار وصحبتهم من الأحاديث والآثار شيء كثير يعرفه من طالع الأسفار[1] وتتبع الآثار . قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد باعلوي نفع الله تعالى به : صحبة أهل الدين وأهل الخير من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين ومخالطتهم ومجالستهم محبوبة ومرغّب فيها ، وفيها منافع عاجلة وآجلة .

وقال رضي الله عنه : للصحبة والمخالطة والمجالسة[2] أثر كبير في الصلاح والنفع ، وكذلك في الفساد والضرر عند مصاحبة ومخالطة ومجالسة الصالحين والأخيار ، والفاسقين والأشرار ، ولكن قد لا يظهر مرة واحدة بل بالتدريج ، وطول زمان الصحبة والخلطة في الخير مع أهله ، وفي الشر مع أهله .

وقال رضي الله عنه : واعلم أن مخالطة أهل الخير ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل ، كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حبّ الشرّ والعمل به .

وأيضاً مَنْ خالط قوماً وعاشرهم أحبّهم ضرورة سواء كان أخياراً أو أشراراً ، **والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة** . انتهى .

وممّا لخصته من « العوارف » للشيخ عمر السُهْرَوَرْديّ قال رضي الله عنه : الصّحبَة مع الأخيار مؤثِّرة جداً ، والتألُّف والتودد يؤكدان أسباب الصحبَة

---

(١) والسفر بالكسر : الكتاب والجمع الأسفار « مخ » .

(٢) وفي « جواهر المعانى » ما حاصله : إن مجالسة الأشياخ لا يعادلها شيء ، وهي أفضل من النوافل والأذكار ، فجلْسَتُكَ بين يدي وليّ أفضل من الدنيا وما فيها ، انتهى فراجعه في صحيفة ٧٧ من الجَزء الأول « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

والمحبة ، وقد قيل : لقاء الإخوان لقاح . ولا شكّ أن البواطن تتلقح[1] ويقوى البعض بالبعض ، بل مجرد النظر إلى أهل الصّلاح يؤثِّر صلاحاً ، والنظر في الصور يؤثِّر أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه ؛ كدوام النظر إلى المحزون يحزن ، ودوام النظر إلى المسرور يُسِرُّ .

مطلب مهم

وقد قيل : **من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه** ، والجَمَلُ الشرود يصير ذلولاً ، بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان ، والنبات ، والجماد ؛ والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف ، والزروع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات ، لموضع الإفساد بالمقارنة ، وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيراً .

وقيل : سُمّي الإنسان إنساناً ؛ لأنه يأنس بما يراه من خير ، وشرّ ، والتألُّف والتودّد مستجلِب للمزيد . وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ، ويكتسب الإنسان بِها علم الحوادث والعوارض . انتهى ما من « العوارف » .

وإذا علمت ذلك وتحققت ما هنالك فعليك بصحبة من يرشدك إلى هذه الطريق ، كي يزيل من قلبك الحرج والضيق ، فإنه وإن لم ينفعك بمقاله جذبك إلى مولاك بحسن سيرته وفعاله .

قال بعضهم : كنت إذا كسلت في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع نظرةً فأعمل بها إلى الأسبوع .

وقال بعضهم : دخلت على ذي النون فانتفعت برؤيته قبل أن أتشرف بمخاطبته .

---

(١) وتلقيح النحل مصروف ، يقال : لقح النخلة تلقيحاً وألقحها . « مختار » .

وهكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ينالون المراتب العلية من السلوك برؤيته ﷺ .

مهم

ولذا قال بعضهم : **يبلغ المريد بنظر الشيخ**[1] **إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة .** قال سيّدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به : هذا بنظرة الناظر إليهم ، وأمّا نظرُهُم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت : وفي الحديث وَرد ذلك في قوله ﷺ « **إن لله عباداً من نظر في أحدهم نظرةً سعدَ سعادة لا يشقى بعدها أبداً** » .

الرابطة أشدّ تأثيراً من الذكر

وقال بعضهم : إن لله عباداً إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه السعادة ، **ورؤية الشيخ – وتسمّى الرابطة عند القوم – أشد تأثيراً من الذكر** إذا استجمعت شروطها ، لأن أنوار العارف تسطع[2] في محياه[3] ، ومن شهد ذلك النور وخضع له أحياه ، وأشار إلى ذلك الشيخ العارف أحمد بن علوان بقوله :

سعدَتْ أَعينٌ رأتك وقرّتْ   وكذا أعين رأت من رآكا

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع الله به : وينتفع المريدون بشيوخهم ؛ وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة ، وأسبابُ

(١) الإضافة إلى المفعول .

(٢) سطع الغبار والرائحة والصبح ، يسطع بفتحتين ارتفع ، وسطعتُ الشيء ، لمسته براحة الكف أو باليد ضرباً « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) والمحيا : الوجه . « مختار » . (هامش الأصل) .

الاستعداد من الجانبين بصدق الود وشغف[1] الحب واصلة متواصلة .

وقال ﷺ : وقد ينتفع المريدون بالشيوخ وإن لم يعرفوهم ويروهم ، بل بمجرد قوةِ محبةٍ صادقة في الله تعالى معهم ، وصفوِ عقيدة بهم ، وقوّة حسنِ الظن بهم ، وقد يكون التعلق بشيخ كامل قد استولى على قلب المريد **قوة حبِّه وصدق ودِّه وشغف**[2] **عشقته ، وكمال صفاء الاعتقاد فيه أقرب في النفع** ، وأشمل في الدفع ، وأعمُّ سرايةً في التفرقة والجمع . انتهى .

ومن كلام « الزهر الباسم شرح روض السيد حاتم » للسيد الإمام عبد القادر بن شيخ العَيْدَروس قال : **اعلم** أن وجود الشيخ من منح الله تعالى على المريد وهداياه حالاً ومآلاً ، يؤيِّد به المريد إذا صدق في إرادته وبذل في المناصحة جهد استطاعته ، ومتى حصلت للمريد من شيخه رشحة[3] نظره أَسْمَى الله تعالى بها قدره ورفع ذكره وأصلح أمره ، وإن أدرك منه دعوة صالحة صارت مطالبُه ناجحة ، وتجارته في سوق الآداب رابحة ، وأنفاس العناية إليه غادية رابحة ، وريّا[4] القبول لأعماله فاتحة ، ونسمات[5] تكميل النفس بحسن العمل فيه عليه نافحة .

قال المؤلف : ويستفاد من كلام الأستاذ حاتم ﷺ أنّ توجه المريد شرط في الإرادة ، وأنّ جذبة الشيخ له تكون سابقة على توجهه كالأمر مثلاً ؛ يكون في عالم الغيب ثم يظهر في عالم الشهادة ، وإنه إذا توجه إلى شيخه انتقشت في قلبه المعارف والأسرار كما هي منقوشة في قلب الشيخ وحينئذ يكون الوارث لحاله بحق ، والنائب عنه في مقامه بصدق .

---

(١) شغفه المال : زيّن له فأحبه ، فهو مشغوف به . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) رغب فيه كلّ الرغبة مع تجاوز فيه . « منجد » . (هامش الأصل) .
(٣) وفلان يرشح : أي يربي ويؤهّل (منه) . (هامش الأصل) .
(٤) ريّاً : المنظر الحسن « منجد » .
(٥) النسيم : الريح الطيّبة « مختار » .

قال الشيخ محمد بن حسين البجلي : رأيت رسول الله ﷺ **في** المنام فقلت يا سيدي يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « **وقوفك بين يدي وليّ لله** » إلخ .

مطلب مهم

قال بعضهم في معنى هذا : لأن الواقف بين يدي الوليّ يندرج فيه ، ويدخل تحت استيلاء شموله فيكون الوليّ واسطته إلى الله تعالى ، فيحصُل بتلك الوقفة بواسطة الوليّ ما لا يحصل بعبادته حتى تنقطع إرْباً إرْباً[(١)] .

قال بعض العلماء : ويكون الحاصل على قدر استعداد الوليّ : **فإن الإمدادات على قدر الاستعدادات** . انتهى .

وسأل سيّدنا الحبيب القطب أحمد بن زين الحبشيّ شيخه إمام الإرشاد عبد الله بن علوي الحدّاد نفعنا الله بهما بما لفظه : هل يكون للمتعلق بشيخ من مشائخ الطريق ترقّ بواسطة شيخه من حيث لا يعلم المتعلق ؟ فإن كان كذلك فما السبب في ذلك هل هو المحبة للشيخ ولطريقه والميل إلى ما هو عليه من السيرة وشهود الكمال فيه ؟ فإن كان كذلك فهل لهذا السبب من مُقوٍّ ومعضدٍ ؟

فأجابه : نعم يترقى بنظره وتعظيمه وحسن الظن فيه من حيث يعلم ، ومن حيث لا يعلم ، **وترقِّيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهداته وأعماله ، فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى للانتفاع** . وأمّا الذي يقويه فهو أن ينظر المريد فيما يولد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية .

وبالجملة **فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشيخ وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه** ، والقليل من التوجُّه والمجاهدة مع ذلك كثير ،

---

(١) الإرب بالكسر : العضو « مختار » .

وبالعكس حكمُ العكس . انتهى .

وطريق الرابطة - كما قالوا - هي ربط القلب مع الشيخ فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة من الذكر بموجب « هم جلساء الله » **لأن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط** ، وإن وجد الفتور في الرابطة فيحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المرء مع من أحب » فبحفظ الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف وأحوال الشيخ ما كان له .

قال بعضهم : **والركن الأعظم في السلوك ربط القلب بالشيخ على وجه المحبة والتعظيم وملاحظة صورته** . انتهى .

قال الإمام الشعراني : وكان أشياخ الطريق يقولون : **كل من لم ينتفع برؤية شيخه لم ينتفع بصحبته** . انتهى . من « عقد اليواقيت » راجعه في ٦٠ ج .

وفيه بعيد هذا : فإذا فهمت ذلك وتحققت ما هنالك علمتَ أنه كما قالوا : « **لا يمكن المريد الصّادق الوصول إلا بشيخ كامل** » ؛ لأنه المتخلق بأخلاق الله تعالى متصف بأوصافه ، ينفّذ أمره ويسوس خلقه ويدبّر أمره فليلزم الحضور معه ، ولا يفارقه إلا بإذنه فإن قلبه حضرة الله تعالى ، وحواسُّه أبوابها ؛ فمن تقرّب منه فتحها ، ولا تردّ له دعوة عند الله ؛ لأن من أرضاه أرضى معروفه ، ومن أغضبه أغضب معروفه ؛ كما جاء في الحديث : « إن الله يرضى لرضا عمر ، ويغضب لغضبه » فكيف يشتغل[1]

---

(١) قوله فكيف يشتغل إلخ ؛ كذا في الأصل الذى نقلناه منه ولعل المراد هكذا : (فكيف يشتغل الإنسان) بأمور معرضاً (عن دلالة) من له قلب سليم ، مما سواه تعالى الذى (وصفها الحق) تعالى بأنّه (بيت وضعه لخلقه) وكل من دخله بحبّه ينظر إليه ، ويوصله ، يعنى : أن القلب موصوف بأنه بيت الله وعرش الله الذي جعله تعالى محلاً لمعرفته ونظره ، كما ورد « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى=

عن دلالة وصَفَها الحق ببيت وضعه لخلقه ؟ وكيف يفارقه لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي دونه ؟ فالسير إليه قدماً أحسن من مائة فرسخ لغيره ، إذ هو المحبوب الذي قال فيه رسول الله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل « فإذا أحببته كنت سمعه » إلخ . . فعليه أن يعرف قيمة الشيخ ؛ ليكون عزيزاً مثله ، وإذا أفشا سرّه كان معكوساً رجيماً ، **فمن جعلت له الرحمة في قلب الشيخ لم يحتج إلى معالجة الخلوة والأوراد ، فإذا كان المريد لا يمكنه الاجتماع بالشيخ أو إخباره بوقائعه فليتوجه إليه بالقلب** ، لأن الأرواح يستوي عندها جميع الأمكنة ، ولا يكون بُعْد المريد من الشيخ إلا بسبب إدبار روحانيته عن التعلق بروحانية شيخه ، **وعلى قدر تعلق الروحانية بالروحانية يأتي المدد** ، فإذا توجهت روحانية المريد إلى الشيخ ، حضرت معه روحانية الشيخ ، ويمد الله روحانية المريد بواسطة روحانية الشيخ ، فالأمر كلّه لله تعالى ؛ ولكن من سرّ حكمته تعالى جعل أرزاقاً جارية على أيدي خلقه ، فليكن المريد ملازماً للباب الذي رزقه الله تعالى منه وهو شيخه ، فهو باب[1] عظيم والشيطان قاعد عليه بالمرصاد ؛

=أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » وفي الحديث القدسي « ما وسعني أرضي ولا سمائي ، بل وسعني قلب عبدي المؤمن » انتهى ، هذا ما فهمت من المراد من هذا الكلام المنقول ، ويحتمل أن يكون فيه سقط في العبارة بسهو ، والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) فكما أنه لا دليل ولا موصل إليه تعالى إلاّ فضله ، كذلك لا دليل ولا موصل إلى أوليائه إلاّ فضله ، فإنهم أبواب الحق . وإذا دعاك الكريم إلى بابه فلا يردّك خائباً ، فالزم يا ولدي بواحد منهم ، وعفّر الخدّ بثرى تلك الأعتاب ، فقل : لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي ، وتقبلوني على عيبي ونقصاني ، فان رضيتم فيا عزي ويا شرفي ، وإن أبيتم فمن أرجوا لعصياني . وقد ذكر ابن علان في شرح قصيدة ابن بنت الميلق مثل ما مرّ ، فراجعه .

وفي « الصاوى » ما نصه فإن اتخاذهم – يعني الأولياء – بمعنى التبرك بهم ، والالتجاء لهم ، والتعلق بأزيالهم مأمور به . وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم ، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرّك بهم شرك . انتهى عبارته=

ليقطعه عليه ، كما قال الشيخ محمد البكري :

واعلم أن الشيطان إذا أحسَّ بإقبالك على من عنده وديعتك ولديه بغيتك يحشد[1] أجناده ويجلب عليك ، ليصرفك عما يوجب اتصال نفعه إليك حسداً منه ، وأنفة[2] من أن يصل أحد إلى الحق ويأخذ عنه . انتهى عبارته ٦١ ج١ .

وفي « الرسالة العجمية » لشيخنا السيد سيف الله النِّژَبْكري الحسيني قدس الله تعالى سره ونوّر ضريحه آمين ما حاصله :

اعلم أيها الكريم دام لك النعيم إذا أراد الله تعالى أن يظهر سعادة عبده ، وأحبَّ أن يهديه إلى سبيله وينفذ إرادته بحكمته المعلومة عنده ! ألهم الله على قلبه أن يطلب طريق نجاته فيقصد إليه ، وذلك القصد مما يوجع بطن الشيطان فيجتهد الشيطان أن يعكس ذلك القصد ويصرفه منه إلى[3] أن يصل إليه نظر الشيخ الكامل ، فإذا وصَلَ إليه نظره يحترق كما يحترق بالرجم . انتهى .

ولأجل هذا كان بعض الشيوخ يبادر إلى النظر إلى المريد حين جاء لديه لطلب الدخول في طريقته خوفاً من أن يصرف الشيطان قصده . انتهى .

وفي « المنن » وقد كان سيدي الشيخ ياقوت العرشي رضي الله عنه يقول : **النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة** ؛ وإن كانت مخالطةُ الصغير للكبير

=فراجعه في سورة العنكبوت (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

(١) حشد : أي جمع . « قاموس » .(هامش الأصل) .

(٢) وأنفة محركتين : استنكاف . « قاموس » .(هامش الأصل) .

(٣) فراجعه في فصل في الأمور التي يجب على المريد رعايتها .

مخاطرةً بالروح ، ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى . انتهى[١] عبارته ١٣٩ ج١ .

وقال أحمد بن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد قوله : « إِذَا رُؤوا ذُكِرَ المَوْلَى بِرُؤْيَتِهِ » أي : إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته ، كما ورد في وصف بعض الصالحين الذين إذا رُؤوا ذكر الله ، لأن نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فمن رآى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ينعكس عليه ما في باطنه ، ومن تمَّ له ذلك فاز بالسعد والقرب . قال ابن علوان رضي الله عنه :

سَعِدَتْ عَيْنٌ رَأَتْكَ وَقَرَّت   وَكَذا عَيْنٌ رَأَت مَنْ رَآكَ

ومثلوا ذلك للشمس إذا أشرقت على الجدار أنار الجدار الآخر ، لمواجهة[٢] تلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وهذه طريقة معروفة عند المشائخ يسمونَها بالرابطة **وهي رؤية وجه الشيخ فإنها تثمر ما يثمر الذِّكر بل هي أشد تأثيراً من الذكر** لمن عرف شروطها وآدابها ؛ وذلك إنما يكون للشيخ الكامل المستشرق[٣] بالتجليات الذاتية ، ومن ذلك كان تربيته ﷺ للصحابة وكانوا يستغنون برؤية طلعته[٤] الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة ، وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تتضاهى[٥] ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة **بها يتباهى**[٦] .

---

(١) راجع (الإبريز) .

(٢) وفي نسخة : لمواجهته ذلك الجدار .

(٣) وفي نسخة : مستشرق .

(٤) والطلعة : مُحَيَّا ، هيئة . « قاموس » .

(٥) المضاهاة : المشاكلة بهمز ويلين وقرئ بهما « مختار » .

(٦) المباهاة : المفاخرة ، وتباهوا – أي تفاخروا « مختار » .

اجتمع شخصان في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر : تقدم . فقال له : بما أستحق التقدُّم ؟ ! قال : لأنك صاحبت الجنيد نصف يوم . فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم ، فضيلةً يستحق بها التقدم عليه ، وهكذا أهل الإنصاف . انتهى .

وقال أيضاً في ذلك الشرح بعد بيت :

وكُـنْ مُـحِبَّ مُحِبِّيه[1] وَنَاصِرَهُمْ وَالزَمْ عَدَاوَةَ مَنْ أَضْحَى يُعَادِيهِ

واعْـلَمْ يَـقِـيناً بِـأنّ الله نَاصِرُهُ إنْ لَـمْ تـكـن نَاصِراً فَاللهُ يَكْفِيهِ

وقال بعضهم : وقع جدب في بعض البلدان فاستسقوا ولم يسقوا ، فخرج إنسان وقال : يا رب بحق ما في هذا الرأس اسقنا . فسقوا وارتووا ، فقال له بعضهم : وما في هذا الرأس ؟ ! قال : عينان رأتا أبا يزيد . فقال له ذلك القائل : أنا جار أبي يزيد . فقال : أنت أحقُّ مني بالإجابة . **فانظر يا أخي** إلى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله فكيف بقلب احتشى بحبه ، وجوارح وحوَاسّ لم تزل ممتلئة بقربه ؟ فكيف لا تكون أيها الطالب محبّاً لهياكِلَ تزيَّنت بهذه القلوب ، ومبغضاً[2] لأبدان حرمت النظر إلى هذه المحاسن وبَعَّدتها الذنوب . انتهى عبارته .

وقال رحمه الله بُعَيْد هذا : والسعيد من أسعده بخدمتهم ووفقه لنصرهم ومحبتهم .

وَإذا سَخَّر الإله أناسَاً لِسَـعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

انتهى .

---

* فإنه إن كان أحد من أهل الورع في مملكة ، يستفيد من في حواليها من بركة وجوده . كذا في « مقصد الطالبين » ، فراجعه (منه) .

(١) وفي نسخة : محبيهم .

(٢) وفي نسخ : منفضة ، مبغضة ، منقصة عطفاً على ممتلئة .

وقال في « الخلاصة المرضية » : فالمشائخ لما اهتدوا أُهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوس الشيخ نفوس المريدين كما يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ؛ فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ ، كما أن الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة الثانية ولادةً معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : **لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين**[1] ، وصدق اليقين على الكمال يحصل بهذه الولادة ، وبهذه يستحق ميراث الأنبياء ، ومن لم يصله ميراث الأنبياء فما ولد . فمن المشائخ من تكثر أولاده ويأخذون عنه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي ﷺ بواسطة الصحابة ، ومنهم من تقلّ أولاده ، ومنهم من ينقطع نسله . انتهى . كذا في كتاب « رماح حزب الرحيم » في ١٦٠ ج١ فراجعه .

مهم

أيها الولد! إني ذكرت لك في هذا الباب منافع جمة ، وأرجوك أن تتدبر فيها ، وأن تتأدب مع المشائخ فإن النفع لا يحصل إلا بالأدب ، **وأن تعتقد بأن كل خير يحصلُ لك إنما هو ببركة الشيخ .**

وفي « المنن » : إن **من شرط المريد** أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه ، لأن كل مريد محبوس في دائرة شيخه لا يمكنه أن يتجاوزها ، فلا يمد بمدد إلا وشيخه واسطة له . انتهى عبارته في ١٤٠ ج١ .

مطلب مهم

وقع واحد من مريدي الشيخ قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان جائعاً ، فقلب وجهه نحو قرية شيخه

(١) الإيلاد الأول إيلاد طبعة ، والإيلاد الثاني إيلاد الروح في سماء المعارف . « طبقات كبرى » عبارته ١٦ للشعراني .

وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر فاطلع الشيخ شهاب على حاله وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ، ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا حيث ما كنا ، ولما جاء الخادم عند الشيخ سأله الشيخ : كيف وجدت هذا الدرويش ؟ قال : أبله ، يأكل طعامك ، ويشكر قطب الدين حيدر ! ! فقال : ينبغي أن تتعلم المريدية منه **حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنَّها من شيخه ظاهراً وباطناً من أيّ مكان جاءت تلك الفائدة .** انتهى من « رشحات » ١٩٤ .

واعلم أيها الولد المرجوّ للاستقامة أنَّ حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال - كما قاله الشعراني في « العهود المحمدية » - كحكم من يمرّ بالمريد على جبال الفلوس الجدد[1] ، فإذا زَهِدَ فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الفضة ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمر به على جبال الذهب ، ثم الجواهر ، فإذا زهد فيها المريد أوصله إلى حضرة الله فأوقفه بين يديه بلا حجاب . فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم الدارين ، وهناك لا يُقدِم على الوقوف بين يدي الله تعالى شيئاً أبداً ، **وأما بغير شيخ** فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم . انتهى نقله صاحب « رماح حزب الرحيم » . فراجعه في ١٠٥ ج٢ .

الجنة المعجَّلة

يا ولدي! إني أُحدثك ما وقع لي مرة حين كنت في الخلوة امتثالاً بقوله تعالى ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ لا افتخاراً ولا رياء ولا عجباً ، قد طرأ

---

(١) والجُدّة بالضم : الطريقة والجمع جُدَدٌ ، قال الله تعالى ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ**﴾ أي : طرائق تخالف لون الجبال . « مختار » . (هامش الأصل) .

عليَّ مرة وقت العصر حضور تام وأنس بالله تعالى ، وحصل لي وقتئذ لذة عجيبة بحيث لا يمكن تعبيرها ولا إدراكها إلا مَنْ ذاقها وأنعم الله بها فظن والدك حينئذ ؛ هل يكون في الدنيا أوفي الآخرة ! **ولو في الجنان لذة ألذ من هذا !** وقد ظن في تلك الحال أنه لو أمره بدخول الجنة بَدل هذه اللذة لا يدخل فيها باختياره ، ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة وهذه اللذة هي التي يسمونها **بالجنة المعجلة** . وأرجو الله تعالى يا ولدي أن يذيقك منها شيئاً لو دمت على الذكر القلبي .

واعلم أيضاً أنَّه لا يصل السالك إلى حضرة الله وحضرات أسمائه وصفاته ولو جمع علوم الأولين والآخرين ، وصحب طوائف الناس أجمعين ، وعبد عبادة الثقلين إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص . كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٠٤ ج١ . فإذا كان الأمر **كذلك ينبغي للسالك أن يتكلّف على الحضور والتوجه إلى وسط القلب في دوام الأوقات** ، ودفع الخواطر عنه بقدر الوسع والطاقة وكثرة الوقوف قبالة الشيخ ؛ ليتوجه إليه ويخرج بمِعْول[1] توجهه أوساخ الأغيار وكدورات السّوى ، ويذهب عنه حديث النفس المذموم ، فبالدوام على هذه المذكورات يصير القلب بحيث لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ويتحقق له الخلوة في الجلوة فيصير عرشياً فرشياً وكائناً بائناً . وهذا مقام الكمّل الذين لا يشغلهم الخلق عن الحق تعالى .

قال الشعراني في « العهود المحمدية » : فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك أروح كذا ، أفعل كذا ، أقول كذا ، ونحو ذلك وإلا فمن لازمك حديث النفس في الصلاة ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لا فرض

---

(١) والمعول : الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر ؛ والجمع المعاول . « مختار » .

ولا نفل . **فاعلم ذلك** وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ كما عليه طائفة المجادلين بغير علم ، فإن ذلك لا يصح لك أبداً . انتهى عبارته ، راجعه ٥١ ج١ من هامش « المنن » .

وأقوال المشائخ في حق اتخاذ الشيخ وما يحصلُ منه للسّالك من المنافع والفوائد كثيرة فلا نطيل بذكرها ، فمن أراد الزّيادة فليراجع إلى كتب القوم .

يا ولدي! لا أرى من المشائخ إلا المنفعة والخير لكل من تعلق بهم أو ذَكَرَهم بخير ، أو بشرٍّ ، أو عرفهم فكيف وقد نقل صاحب « الإتحاف » في ٢٢ ج٤ رضي الله عنه عن « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر رضي الله عنه ما حاصله : **أن المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات ، أو يطلبه له من الله تعالى بهمته ، وأن الشيخ لا ينسى من سلّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** ، بل لا ينسى من يعرف الشيخ ، ولا يعرفه الشيخ فيسأل الله أن يغفره ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه أو سبَّه ووقع فيه[1] ممن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه . انتهى ، فراجعه ففيه البسط .

قال العلامة الشيخ ابن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد بيت :

وِلِلْفَقِير وُجُوه لَيْسَ يَحْصُرُهَا عَدٌّ وَكُلُّ وُجُودٍ فَهُوَ وَادِيهِ

الفقير : هو الفاني الخارج من أوصاف بشريّته المتحقق بعبوديته ، ومثل هذا تشرق عليه أوصاف الربوبية ، وتسطع عليه من مشرقة أنوار الخصوصية ، وتصدر من مظهره القدرة الإلهية ويكون متخلقاً بأوصاف مولاه . كما ورد : « تخلّقوا بأخلاق الله تعالى » ، فَتَعُمُّ رحمته الخلق

---

(١) أي اغتابه .

وتواضعُه لكل فرد حتى **كأنَّ الخلق كلهم أجزاؤه** ، فيتنعَّم إذا تنعموا ويتألَّم إذا تألموا ، ويقابل السيئة الحسنة ، ويصلُ من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، كما وقع للنبي ﷺ حيث شجّ الكفار رأسه الشريف وكسروا رباعيته ، فقال الصحابة : ادعُ عليهم يا رسول الله فقال : « اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون » فدعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بعدم العلم ، وكذلك ينبغي لورثته إذا بلغه من أحد سيئة أن يقول : (اللهم اهدِ فلاناً فإنه لا يعلم) ، فمن اقتدى به ﷺ في مثل هذه الخصلة كان له من الإرث النصيب الوافر ، ومن تحقق بهذا المقام كانت أوصافه تحصر ، ومحاسنه تتزايد في كل وقت وتظهر . انتهى عبارته .

يا ولدي إن والدك الحقير المفلس المقصر قد ورث من مشائخه بفضل الله تعالى هذا الخلق المذكور ، فقد يحمل من الخلق إذايتهم ولا يقابل سيئاتهم سيئة مثلها أصلاً ؛ وإن فعلوا معه كل أذية ، بل يسأل الله تعالى المغفرة والعفو عمن ظلمه أو اغتابه وذكره بسوء أو نَمَّه ، فضلاً عمن أحسن إليه قولاً وفعلاً ، ولم يظهر قط في عمره ولو لأحد من أعدائه وحساده أنه يكرههم ولا يحبهم ، بل كان يداريهم[1] ويدفع عنه

---

(١) أي : يلاطفهم بالقول والفعل . (منه) .

المداراة : هي بذل الدنيا لحفظ الدين أو العرض والحرم ، بخلاف المداهنة فهي بذل الدين لحفظ الدنيا فهي : محرمة (إلا ما استثني فراجع « هداية المريد ») بخلاف الأولى فإنها مشروعة (أبو بكر العيمكي) . (منه) من هامش « المنن » .

*وكان سهل يقول : المريد يخاف من المعاصي ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . « رماح حزب الرحيم » عبارته ٢١٦ ج٢ . وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به ، قال يوماً في مجلسه : من كان يحبّني لله تعالى ولرسوله فليحبّني ، ومن كان يحبّني لغرض فبالله الذي لا إله إلا هو أنا عامي صِرْفٌ لم يكن لي شيء وغفله سيدي محمد الغالي حتى قبّل رجله وقال : مرحباً بالعاميّ الصرف الذي فاق أصحابه أكابر الأقطاب ، فأجابه الشيخ – رضي الله عنه وأرضاه وعنا به – نعم وأيّ شيء في ذلك عند الله . « رماح » عبارته ٤٨ ج٢ .

بالحسنة السيئة ، وأنه يسأل الله تعالى لكل من مات من معارفه وزوَّاره من أهل الإرادة وغيرهم بإعلاء مقامهم ودرجتهم عند الله تعالى والعفو عن زلاتهم . ولله الحمد على ذلك .

مهم جداً

فأرجوك يا ولدي أن ترث هذا الخُلق من أبيك وأن لا تقابل أحداً أبداً بسوء ؛ وإن ظلمك أو شتمك أو ضربك أو اغتابك ، وأن لا تشاهد كل أذيَّة وبلية إلا رشحة سوء أعمالك قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ الآية ، بل أحسن إلى المحسن وكافئه بإحسانه بقدر طاقتك ، وكِلْ أمر المسيء إلى الله تعالى ، فإن إساءته ستكفيه .

حكاية غريبة

وقد قال بكر بن عبد الله : كان رجل يثني بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك وقال : إن هذا الرجل يزعم أن الملك أبخر ! ! فقال الملك : وكيف يصحّ ذلك عندي ؟ قال : تدعو به إليك فانظر فإنه إذا دنا إليك وضع يده على أنفه أن لا يشم ريح البَخَر فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك ، فقال على عادته مثل ما قال ، فقال له الملك : ادن مني . فدنا منه واضعاً يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك في نفسه قول الساعي .

قال : وكان الملك لا يكتب بخطه إلا لجائزة ، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل له : إذا أتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث

به إليّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب ، فأخذه منه بأنواع التضرع والامتنان ، ومضى إلى العامل فقال له العامل : إن في كتابك أن أذبحك وأسلخك ! قال : إن الكتاب ليس هو لي الله الله ! في أمري ! حتى أراجع الملك . قال : ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ، ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال : ما فعلتَ بالكتاب ؟ ! قال : لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته . قال الملك : إنه ذكر لي أنَّك تزعم أني أبخرُ ! فقال : كلا ! قال : فلِمَ وضعت يدك على أنفكَ ؟ قال : كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمَّه ، قال : صدقت ارجع إلى مكانك ؛ فقد كفى المسيء إساءته . كذا في شرح « شرعة الإسلام » و « الإحياء » فراجعهما فتدبر في هذه القصة واعمل بما ذكر .

وأرجو الله تعالى أن يمدك بمدده وأن يوصِّلك إلى ما وصل إليه أولياؤه ، والله تعالى ولي التوفيق وبيده أزِمة التحقيق . ولأجل كون الاستغفار مما يلقنه المشائخ في أوّل الأمر أردتُ أن أذكر ما فيه من الأحاديث والآثار عقب الترغيب الأول فأقول مستعيناً بالله تعالى :

الترغيب الثاني

في بيان فضائل الاستغفار ومنافعه وفوائده

اعلم أيها الولد أن التوبة أول قدم للسالك ، وأحد مقامات اليقين وأهم قواعد الدين ، **ولها شروط** . قال شيخنا خالد سيف الله قدس سره في « كنز المعارف » : إن شروط التوبة المسقطة للإثم ظناً لا قطعاً أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية ، وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصاً لله تعالى ، وأن يقلع عنه حالاً إن كان متلبساً به أو مصرّاً على المعاودة إليه ، وأن يخرج عن المظالم والزكاة ، إن كانت يردها ، أو

بَدَلَها إن تلفت لمستحقها ما لم يبرئه منها ، ومنه قضاء صلاة وصوم ؛ وإن كثرا ، **فإن اختل شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته** ، وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهراً ، وبقلبه باطناً – على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب المَأوَرْدِيّ – . انتهى عبارته .

وقال قدس سره :

تنبيه : التوبة واجبة فوراً من كل ذنب ولو صغيراً ، **فمن أخَّرها زمناً يسعها كان عاصياً بتأخيرها .**

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم ، **ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة منها** – على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني – فإن لم يجدّدها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها . ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ، **ولا يكفيه توبة واحدة** . فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة . قال الزركشي : هذا ظاهر .

وقال ابن عبد السلام : يتذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكره ، وما تعذر فلا يلزمه ما لا يقدر عليه .

وقال القاضي أبو بكر : **إن لم يتذكّر تفصيل الذنب فليقل : إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني تائب إلى الله** . انتهى راجعه في فصل التوبة .

وقال الفضيل بن عياض : الاستغفارُ بلا إقلاع توبةُ الكذابين .

وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير .

وقال بعض الحكماء : من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً

على الله تعالى وهو لا يعلم .

ومعنى المغفرة : ستر القبائح والذنوب بإخفائها[1] ، وفي الآخرة بالتجاوز عنها ، وقد أمر سبحانه وتعالى بستر القبائح والذنوب والعورات فهو أولى بذلك من عباده وهو أرحم بهم من أنفسهم ، ومن أسمائه الغفور ، الغفار ، و الغافر ، والتواب ، والرحيم . انتهى . « **ذخيرة المعاد** » عبارته في ٢ ج٢ من « عقد اليواقيت » .

توبة العوام؛ توبة الخواص؛ توبة خواص الخواص

وفيه : **واعلم** أن توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من غفلة القلوب ، وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب . انتهى عبارته في ٤ ج٢ .

وقال الشيخ الشعراني في « اليواقيت » : المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص ، وبيان أنها تصح ؛ ولو بعد نقضها ، وأنها تصحّ من ذنب دون ذنب أي : تصح من ذنب ولو كان صغيراً مع الإصرار على ذنب آخر ولو كان كبيراً - كما قاله الجلال المحلي - قال : **وإذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة ، بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى** . هذا ما عليه جمهور العلماء ، ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنها لا تصحّ بعد نقضها وهو عوده إلى المتوب منه ، وقيل : إنها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير . وقيل : لا تصح مع الإصرار على ذنب كبير .

قالوا : ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن ، والوصلة بأهل الله تعالى من الأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين ، وأنه إذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين .

---

(١) في الدنيا لعله . (منه) .

ثم من الواجب الإتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس .

ومعظم شروطها الندم على المعصية ؛ أي : من حيث أنها معصية ؛ ليخرج **ما لو ندم على شربه الخمر مثلاً من حيث إضراره بالبدن ، فإنّ ذلك ليس بتوبة .**

وعرّف بعضهم التوبة بأنه تحزُّن وتوجّع لما فعَل ، وتمني لكونه لم يفعل .

قال الكمال في حاشيته على « شرح جمع الجوامع » : ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الأزمنة ، بل يكفي استصحاب الندم حكماً بأن لا يصدر منه ما ينافيه ، لأن الشارع أقام الأمر الثابت حكماً مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الإيمان ، فإن النائم مؤمن بالاتفاق ، وأيضاً فلِمَا في التكليف بتذكر الندم في جميع الأزمنة من الحرج المنفي في الدين .

قال الجمهور : **وتتحقق التوبة بالإقلاع عن المعصية** وعزم أن لا يعود إليها ، وتدارك ممكنِ التداركِ من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلاً فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف ، أو وارثه يستوفيه أو يبرىء منه ، فإن لم يمكن تدارك الحق كأن لم يكن مستحقه موجوداً سقط هذا الشرط كما يسقط أيضاً في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق الآدمي .

قال العلماء : وكذلك يسقط شرط الإقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها ؛ كشرب الخمر مثلاً .

قال الجلال المحلي : فالمراد بتحقق التوبة بهذه الأمور أنها لا تخرج عما يتحقق به عنها ، لا أنه لا بد منها في كل توبة . انتهى .

قال الكمال في « حاشيته » : وقولهم (وتدارك ممكن التدارك) إلى

آخره هو المشهور عند أصحابنا ، والذي جرى عليه الآمديّ وصاحب « المواقف » و« المقاصد » : أن التدارك واجب برأسه ، فمن قتل وظلم أو ضرب ؛ فعليه أمران : التوبة ، والخروج من المظلمة ؛ وهو تسليم نفسه مع الإمكان ؛ ليقتصّ منه ، ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الإتيان بالواجب الآخر .

وقال في « المقاصد » : إنه التحقيق ، إلا أنه قد لا يصحّ الندم بدونه كردّ المغصوب . انتهى .

قال ابن السبكي وغيره : وإذا أحس الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به ؛ وإن احتاج إلى استغفار آخر ! **لأن اللسان إذا أَلِفَ ذِكراً يوشك أن يألفَه القلب فيوافقه فيه** .

وكان الإمام السهروردي يقول : **اعمل ؛ وإن خفت العجب مستغفراً** .

قال العلماء : ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء إذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، قالوا : وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر ، لأن النفس تريد هلاكك الأبدي باستدراجك من معصية إلى معصية أخرى . وفي الحديث « المعاصي بريد الكفر » أي مقدِّمته ، فإن غلبتك نفسك الأمارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوباً على الفور ، ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة إن شاء الله تعالى ، فإن لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذمومِ لِكَسلٍ يَعوقك[١] عن الخروج منه ؛ أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم[٢] اللذات وهو الموت وفجأته ، فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسرَ مع الخاسرين ، وإن كان عدم إقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه لشدة

---

(١) عاقه . . إلخ : منعه « مصباح » .

(٢) هذم يهذم : قطع « قاموس » .

الذنب الذي سبق منك ، أو لاستحضار عظمة من عصيتَ ! فخف عقاب ربك على هذا فإنه لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا القوم الخاسرون ، واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها إلا هو ؛ لترجع عن قنوطك ، فإن جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجَحُ(١) من جانب عقوبته لهم . هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله تعالى في مبحث التوبة .

واعلم يا أخي أن التوبة من أعظم ما مَنَّ الله تعالى به على عباده ، فإن لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة ، فإن لم يَصحَّ لنا التوبة من ترك التوبة ، وجب علينا التوبة من الإصرار على ترك التوبة من الإصرار ، وهكذا أبداً ما عِشْنا ؛ وما ثَمَّ لنا دآء بلا دواء أبداً ، فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله **فلله تعالى رحمة خاصة يمنّ بها على من مات مُصرّاً من أهل الإسلام** .

واعلم أن حقيقة التوبة : هي الرجوع إلى شهود أن الله تعالى هو المقدّر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ، ومعنى حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة أو الرابعة افعل ما شئت فقد غفرت لك » أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني ، أغفر لك ، **فلا يكفيه العلم بأنَّ له رباً يغفر الذنب من غير ندم** فافهم .

قال الشيخ محي الدين في الباب الرابع والسبعين من « الفتوحات » : ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فوراً قوله تعالى ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ .

فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة إذا خالفوا بإعلامهم بمضمون قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ** ﴾ ليقولوا إذا سئلوا عن

---

(١) وقد قال الله ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ** ﴾ الآية من سورة الرعد .

ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا ، مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ليقول غرني كرمُك يا رب . فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجّه بها إذا كان محبوباً ، وليس هذا التعليم إلا للسعداء خاصة فافهم .

قال : **واعلم** أن توبة الله تعالى على العبد مقطوع بها ، وتوبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها ، والجهل بعلم الله تعالى فيها ، فكل عارف يسأل ربه تعالى أن يتوب عليه ، وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير ، فمعنى قوله تعالى ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ أي ارجعوا إلى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه الصلاة والسلام تعليماً لكم بالفعل والصورة ، **لأنه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة ، وإنما كان محض نفوذ أقدار لا غير** .

قال : وأما الرجوع إلى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ! ففيه خطر عظيم ، فإنه إن كان بقي عليه شيء من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد ، فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم ﴿ **ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ** ﴾ .

ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه ، **وما نقل أنه عاهد الله تعالى على أنه لا يعود** – كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة – فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام ، فإن في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادّعاء القوة ومقاومة الأقدار الإلهية ، إلا أن يقصد بذلك أنه لا يعود إن وكل الأمر إليه استقلالاً ، وذلك محال . انتهى . فليتأمل وليحرّر .

وقد وقع لبعض الأكابر من عُبَّاد بني إسرائيل أنه قال : يا ربِّ لو

فرغتني لعبادتك ووكلتني إلى نفسي لأريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ، ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه ، فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة .

وما قص الله تعالى علينا وقائع الأكابر إلا لنتأدّب بما أدَّبهم الله تعالى به ، فعلم أن العبد لم يكلَّف إلا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه ، فما كان من طاعة فليشكر الله تعالى ، وما كان من معصية فليستغفر الله تعالى ، وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه ، فإن كان عارفاً قلّب المباح بالنية إلى شيء محمود .

وفي بعض الهواتف الربانية : ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل ، وإنما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه ، فإن كان طاعة حَمِدَنا على قسمتها له واستغفرَنا من تقصيره فيها ، وإن كان معصية حَمِدَنا على تقديرنا عليه واستغفَرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا ، وإن كان غفلة وسهواً فعل ما هو اللائق بمقامه . انتهى .

وقوله (ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل) لا ينافي مجاهدة النفس وردَّ خواطرها لأن ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان ! لأنها وجدت .

وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شيء في المستقبل ، لأن الاستخارة مأمور بها ، وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم .

وقال الشيخ محي الدين في « الفتوحات » بعد كلام طويل : وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربّه على ترك شيء أو فعله في المستقبل ؛ إما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على أنه لا يقع منه زلة في المستقبل أم لا ، فإن كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الإلهام الصحيح ؛ فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود ، وإن كان

لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله تعالى أنه لا يعود! فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضاً عهد الله وميثاقه ؛ وإن كان أطلعه الله على أنه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للأقدار ؛ فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل ، لا الذي عَلِم ولا الذي جهل ، وليست التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده إلا أن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام ، وما بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلّف به إلا عدم الإصرار على الذنب ، والتوبة منه لإشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل .

وحدَّ بعضهم الإصرار على الذنب بأن يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب .

وقال بعضهم : من لم يتب عقب الذنب فوراً فهو مصرٌّ ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين ، فإنه ورد أنهم ينتظرون العاصي ساعة ، وما عرفنا مقدار هذه الساعة : هل هي الفلكية أو غيرها ؟ ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به » إلى آخره ، فإنه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ، ولعل مَنْ شَرَطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأفرده بالشرطية ، كما أفردوا الإقلاع عن الذنب بالشرطية مع أنه من لازم وقوع الذنب ، وكذلك إفرادهم ردّ المظالم إلى أهلها . والله أعلم . انتهى كلام الشعراني في « اليواقيت » في ١٣٣ ج٢ .

وفيه بُعَيد هذا : وقال[1] في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم : « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها » الحديث ، فيه الأمر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة ، فإن التوبة من

---

(١) يعني الشيخ الأكبر قدس سره (منه) (هامش الأصل) .

الفرائض الواجبة حال التكليف ، فإن أخَّرها إلى الاحتضار لم تقبل ، ولهذا لم يقبل إيمان فرعون . انتهى راجعه في ١٣٣ ج٢ .

وفيه : وكان الشيخ محي الدين رضى الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ .

اعلم أن من علامة من قبل الله تعالى توبته وبدّل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيئاً من ذنوبه لكونها مُحِيَتْ ، وكل ذنب تذكره العبد فليعلم أنه لم يُبَدَّل . انتهى .

ويؤيده حديث الطبراني « إذا تاب الله تعالى على عبد أنسى حَفظَته ذنبه ، وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض أن تشهد عليه » ، وهي قاصمة للظهر ، فليتأمل ويحرر والله أعلم . انتهى .

ورأيت في « اليواقيت » في موضع آخر من الجزء الثاني ما حاصله : إذا اعتنى الله تعالى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكُّره وأنساه إياه ، لأنه لو تذكره لاستحى ، **ولا عذاب على النفوس الطاهرة أعظمُ من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه** . انتهى في ٨ .

وفيه : **فإن قلت** فهل يلزم من كون الحق تعالى يُنسي عبده سيئاته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار إليه قوله تعالى ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾؟ **فالجواب** : لا يلزم ذلك ، ولكن قال بعض العارفين : إن في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله أنه بدل سيئاته حسنات ، فإن من علامة التبديل نسيانَ الذنب ، وذلك أن الذنب إذا بدله الله تعالى بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الأربع . ويؤيد ذلك قول بعض العارفين :

مهم جدّاً

(**كل ذنب لم يذهب من ذهن الإنسان فليحدث له توبة جديدة ، فإنه إلى الآن لم يبدَّل ، وليكثر الاستغفار طول عمره ، فوالله ما خلقنا إلا لأمر عظيم**) انتهى في ٨ عبارته .

وفيه أيضاً : **فإن قلت** ما صورة تبديل السيئات بالحسنات ؛ هل تصير نفس المعصية التي وقعت في صحيفة العبد ، أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه ؟ **فالجواب** - كما قاله بعض أهل الكشف - : أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة ، ويكتب مكانها حسنة تشاكلها ، **فإن كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة** ، أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة[١] ، وهذا الأمر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد إن صحَّ لأنه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ، ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته أعمالاً صالحة لم يعمل عينها ، فعلم أن الله تعالى إذا بدل سيئات العارف حسنات ، رأى ذلك من أكبر النعم[٢] عليه . انتهى عبارته في ٩ .

وأما ما حدَّه البركوي رحمه الله تعالى للإصرار ؛ هو دوام قصد المعاصي والمناهي ولو صدرت منه أحياناً أو مرة . انتهى .

---

(١) وتكون الأعمال الصالحة التى عملها بعد التوبة أرفع درجات عند الله عزّ وجلّ ، كذا في كتاب « الجواهر » و« الدرر » فراجعه في ١٧٣ من هامش « الإبريز » (منه) .

(٢) ورأيت في « الكبريت الأحمر » ما نصّه : وإذا بدل الله سيآت عبده حسنات يودّ أنّه لو أتى بقراب الأرض خطايا أو حمل ذنوب جميع ذنوب البرايا لِمَا يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ، ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى ، وفي الآخرة بجنة المأوى ؛ وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المذنبين فيبدو للمذنبين ما لم يكونوا يحتسبون ، وأكثر الناس في الدّنيا بهذا لا يشعرون . انتهى ٢٧٧ من « هامش اليواقيت » ج٢ فراجعه . (منه) .

وقال : ولو تخلل الندامة[1] والرجوع عنها[2] فليس بإصرار ، ولو صدرت في يوم واحد سبعين مرة . هكذا ورد عن النبي ﷺ : « ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة » . وضرره غني عن البيان ، ويكفيك جعله الصغيرة كبيرة لورود : « أن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار » انتهى .

قال الخادمي : لأنه يجعلها كبيرة بالمواظبة ، **فعفو كبيرة واحدة لا يتبعها مثلها أرجى من صغيرة يواظب عليها** . انتهى عبارته « بريقة » . وفيه : ثم إن الصغائر إنما تكون واحدة صغيرة إذا كان مستعظماً لفعلها خائفاً من عقابها ، وأما إذا فعلها متهاوناً بها فكبيرة - كما في « الإحياء » - **واستخفاف الصغيرة كفر إذا ثبت بقطعي** ، وإصرار الصغيرة غلبة المعاصي على الطاعات على المعتمد . وقيل : المواظبة على صغيرة من نوع أو أنواع . انتهى عبارته .

وضده - أي الإصرار - الإنابة والتوبة وهي الرجوع عن قصد المعصية ، والعزم على أن لا يعود إليها تعظيماً لله تعالى ، وخوفاً من عقابه تعالى ؛ لا لغرض دنيوي كالضرر لنفسه أو لماله .

اعلم أنه تصحّ التوبة من بعض مع الإصرار[3] على الأخرى ، وتصح ولو بعد نقضها مراراً .

والكبيرة لا تكفرها إلا التوبة ، وأما الصغائر فلها مكفرات ؛ كالصَّلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج والاستغفار واجتناب

---

(١) بينهما . « بريقة » .

(٢) « بريقة » .

(٣) وفي « الفتوحات » في ٢٣٧ ج٢ : إنه لا تنفع التوبة من ذنب مع ارتكاب مثله ، راجعه من سورة النساء (منه) .

الكبائر على أحد القولين ، وقبول التوبة من الكفر قطعي اتفاقاً ومن المعاصي أيضاً عندنا ، وعند الشافعي ظنيٌّ ، والأصح أن الحج المبرور لا يكفِّر الكبيرة ، ومراد مَن قال بالتكفير! ليس سقوط قضاء العبادات والمظالم والديون ، بل يكفِّر إثم التأخير ، فإن لم يفعل حين فراغ الحج فقد ارتكب الآن كبيرة ، وهذا مما يجب حفظه . كذا في « الزينة » أيضاً انتهى « بريقة » في ٢٢٧ ج٢ .

وفيه قال المناوي : ورد في الخبر أنه يكفر حتى الدماء والمظالم ، وأخذ به جمع . انتهى عبارته .

ثم **اعلم** أن المعاصي إما كفر ونفاق وارتداد؛ فتوبته ندم كامل وإسلام خالص ، فهل يثاب على حسناته حال الكفر بعد إسلامه أو لا ؟ قيل : نعم لكن بلا تضعيف بعشر حسنات ، وقيل لا .

وإما بدعة في الاعتقاد فتوبته أيضاً ندم كامل واعتقاد حق .

وإما معاصي فرعية فإن [كانت] بترك الفرائض كالصلاة ففيه معصيتان : معصية التأخير فتوبته ندم كامل ، ومعصية الترك فتوبتهُ قضاء فوراً ، فتأخير القضاء معصية أخرى فيتوب له أيضاً . وإن لم يساعده وقته كمرض موته ؟ فيوصي بالفدية . **وأما الصلاة التي أديت بالكراهة التحريمية** كترك تعديل الأركان والطمأنينة في القومة والجلسة ، فقضاؤها ليس بفرض لكن واجب على ما نقل المصنف[١] في « الجلاء »[٢] عن « الهداية » والواقع في مواضع من « معدَّل الصلاة » له : **اللازم هو الإعادة** ، فليتأمل . وكذا الصلاة التي أفسدها ولو نفلاً ، ثم الزكاة وصدقة الفطر

(١) وهو الإمام البركوي قدس سره مؤلف « الطريقة المحمدية » متْنِ « البريقة » (منه سامحه الله) .

(٢) أي كتاب : « جلاء القلوب » .

والنذور والضحايا ، فتقضى لكن لا بحيلة ! إذ الصحيح أنها مكروهة ، فالتصدق إلى الفقراء ثم الصوم إن قضاه فقط أو مع الكفارة فكذا ، ثم الحج فعليه الأداء ، فإن لم يمكن فيوصيه ، وإن حج ! لاحتمال صدور الكفر على ما اختاره المصنف ، لكنه لا يخلو عن خفاء ، وإن أفلس بعد القدرة فعليه الكسب أو السؤال للحج ، وإن صدر عنه الكفر اعتقاداً أو عملاً أو قولاً ! فعليه إعادة الحج دون الزكاة والصوم والصلاة وغيرها فلا تجب بعد الكفر ؛ وإن بطل ثوابها !

مهم

وإن كانت المعاصي بفعل المنهيات فإنْ[1] مما بينه وبين الله تعالى بلا تعلُّق حقِّ عبد ، كالقعود في المسجد ، وقراءة القرآن جنابة ، وكلام الدنيا والأكل والشرب والنوم لغير المعتكف والمسافِر ، ومس المصحف بلا وضوء ، وكضرب الملاهي ، وشرب الخمر ، والزنا طوعاً ، **فيتوب توبة نصوحاً** بلا لزوم أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي الاستيفاء ، بل يستر ويقيم حدوده تعالى على نفسه بالمجاهدات والتضرعات في الخلوات سيما الأسحار ، ولو رفع أمره إلى الوالي ليقيم عليه الحدّ لكان أفضل كماعز بن مالك رضي الله عنه ، وإن مما بينه وبين الله تعالى بتعلق حق الحيوان كالوطء والقتل والضرب بلا عذر ، وكضرب وجهه ولو بعذر ، والركوب والحمل فوق الطاقة ، وعدم إعطاء العلف والماء فمشكل جداً فليس له إلا التوبة النصوح والتضرع والبكاء . **وإن بمظلمة العباد** فخمسة : مالي ، ونفسي ، وعِرْضِي ، ومحرمي ، وديني .

فالمالي كالسرقة والغصب والغبن وترويج زيف ، وإتلاف مال الغير باليد أو بشهادة الزور ؛ أو بالغمز إلى الظالم ، أو بالحكم جَوْراً أو بالرشوة

---

(١) أي : إن كان ، فافهم .

وغيرها ، فيتوب ثم يستحلُّ **ولو حبة أو ذرة ؛ وإن صدر حال الصبا ، إذ الغرامات المالية لازمة على الصبي** ، فإن لم يسترض في الدنيا فيعطيه في الآخرة ، فإن مات المالك فيعطيه إلى وارثه ، وإن لم يوجد ، أو لم يعلم المالك ! فيعطيه إلى الفقير بنية وديعة عنده تعالى ، ويوصلها إلى صاحبها يوم القيامة ، أو يصرفه إلى المصالح نحو القناطير ، ولو صرف إلى فقراء الوالدين أو المولودين لكان معذوراً كما قيل ، وإن عجز فبمشيئة الله تعالى ؛ إن شاء يعطي من حسناته ، أو يحمل سيئاته عليه ، وإن شاء يرضيه عنه . وأما حق الكافر إن لم يسترض فمشكل جدّاً قيل يجوز إرضاؤه تعالى بتخفيف عذابه .

وأما النفسي ؛ فإنْ مما يوجب القود في النفس أو في الأطراف فيتوب أولاً ، ويسلّم نفسه إلى وليّ الجناية ثانياً إن شاء عفا وإن شاء أخذ حقه ، وإن شاء صالح على مال ، وإن مما يوجب الدية فيتوب ويعطي أيضاً أو يستحل .

وأما العِرْضي ؛ كالغيبة والبهتان والاستهزاء والشتم ! فالتوبة والاستحلال ، وشُرِطَ في البهتان تكذيبُ نفسه عند من بَهَته عندهم ، ولا يمكن الاستحلال بالوارث في هذا النوع .

وأما المحرمي ؛ كالخيانة لأهل الغير أو ولده أو نحو ذلك ! فيتوب ويستحل ، وإن خاف تهيُّج فتنةٍ فيتضرع ربَّه ويبكي ويدعو لصاحب الحق ويتصدق له .

وأما الديني ؛ كالتكفير والتفسيق ! فيتوب ويسترضي ويكذِّب نفسه كما مرَّ .

واعلم أن فيما ذكر كله إن لم يعلم ما عليه من الحقوق يقيناً فيعمل بغلبة ظنه من أوان البلوغ ، أو أوان الوجود في الحقوق المالية إلى أوان

التوبة ، ثم الاستحلال المبهم لا يكفي عند الغزالي ، ويكفي على الأصح على ما في « الفتاوى » .

وفي « الخلاصة » قال : حلِّلني من كل حق لك عليّ فأبرأه فإن علمه صاحب الحق برئ مطلقاً بالإجماع وعليه الفتوى ، فبرئ قضاء إجماعاً ، وأما ديانة ! فعند محمد لا يبرأ ، **وعند أبي يوسف** : **يبرأ ، وعليه الفتوى** . ولهذا قيل : الاستحلال المبهم من خواص هذه الأمة .

قال رجل : له على آخر دين وهو لا يعلم بجميع ذلك . فقال المديون : أبرئني مما عليَّ . فقال : أبرأتك . قال النصر : لا يبرأ إلا مقدار ما يتوهم أنه له عليه . وقال محمد بن سلمة : يبرأ من الكل . وعن أبي الليث : ما قاله النصر حكم الآخرة ، وما قاله محمد حكم القضاء . قال : (أبرأت جميع غرمائي ، أو كلُّ غريم لي فهو حلّ أو ليس بالدين شيء) لا يبرأ ! وقيل : في المسئلتين يبرأ . وتمام ذلك قبيل الثلاثين من كتاب الاستحسان « للتتارخانية » .

اعلم أن الأفضل هو الإبراء لا سيما المعسر ، ولذا جاء في الحديث « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلَّه الله تعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه » انتهى « بريقة محمودة » من الجزء الثاني في ٢٣٠ .

فوائد فيها ترغيب السالك إلى التوبة .

قال شيخنا خالد سيف الله الحسيني النقشبندي القادري الشاذلي في كتابه « كنز المعارف في أسرار اللطائف » : وأخرج الشيخان والترمذي عن الحرث يزيد قال : قال ابن يزيد قال : قال ابن مسعود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض وبيئة[١] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ

---

(١) أرض منقطع قليل الماء . « منجد » .

وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتدّ عليه الحر والعطش ، أو ما شاء الله تعالى قال أَرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذاً راحلته عنده ، عليها زاده وشرابه ! فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » ، ومسلم « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فإني أتوب إليه مائة مرة » .

وابن ماجه « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء[1] ثم تبتم لتاب الله تعالى عليكم » .

والطبراني والبيهقي « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك . فيمسك ست ساعات ، فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئاً ، وان لم يستغفر الله تعالى كتب عليه سيئة واحدة » .

وابن أبي حاتم وابن مردويه « التوبة النصوح : الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً » .

والطبراني وأبو نعيم « الندامة توبة . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه » .

والترمذي « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[2] » .

ومسلم « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

والشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أهل العلم فدُلَّ

---

(١) من الكثرة والعظمة ، كما في « البريقة » (منه) .

(٢) الغرغرة : تردّد الروح في الحلق « مختار » .

على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمَّل مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ! ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا أنصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : ولم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكّم بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « إن المؤمن إذا أذنب نكت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر صقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه - أي تغشاه وتغطيه - تلك النقطة السوداء ، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿ كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ اللهم إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك . انتهى كلام سيف الله من خطه قدس سره ونوَّر ضريحه آمين .

وفى « **الجامع الصغير** » قال الله تعالى : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو أنك لقيتني بقراب[1] الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

---

(١) ولو جاء بقراب الأرض أي : بما يقاربها « مصباح » ، يقال لو أن لي قراب هذا ذهباً أي : ما يقارب ملأه « مصباح » .

وعن الترمذي عن أبي موسى الأشعري أنه قال صلّى الله تعالى عليه وسلم : « كان في الأرض أمانان من عذاب الله تعالى فَرُفِع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به » .

أما المرفوع فرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأما الباقي منهما فالاستغفار ، قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ انتهى . « بريقة » في ٢٣١ ج٢ عبارته .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال « من قال : **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ،** خمس مرات غفر له ، وإن كان عليه مثل زبد البحر » . انتهى « جواهر المعاني » .

وكان ﷺ يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً ، فمن أحب أن تسرَّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » . انتهى « كشف الغمة » .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله تعالى في يوم سبعين مرة إلا غفر له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

وكان أنس رضي الله عنه يقول : جاء رجل إلى رسول ﷺ فقال : واذنوباه ! واذنوباه ! يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً . فقال له رسول الله ﷺ : « قل : **اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي** » . فقالها . فقال له رسول الله ﷺ : « قم فقد غفر الله لك » انتهى . راجعه في ٢٨٨ من الجزء الأول .

قال الغزالي في « منهاج العابدين » : وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة ، فاتخذ التوبة أيضاً والعود إليها حرفة فلا تكن في التوبة أعجز

منك في الذنب ، ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك[1] فإنها دلالة الخير ، أما تسمع قوله ﷺ « خياركم كل مُفْتَنٍ تواب » أي كثير الابتلاء بالذنب ، كثير التوبة منه والرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار . وتذكَّر قوله تعالى ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ انتهى . قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ الآية .

وقال الغزالي في « منهاجه » : ثم عليك يا طالب العبادة - وفقك الله تعالى - بالتوبة وذلك لأمرين : أحدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان ، وإن قيد الذنوب يمنع من المشي إلى طاعة الله تعالى والمسارعة إلى الخير وخدمته ، وإن ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط إلى الطاعات ، وإن الإصرار على الذنوب يسوّد القلب فتجده في ظلمة وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاء ، ولا لذة فيها ولا حلاوة ، وإن لم يرحم الله تعالى فيستجرُّ صاحبها إلى الكفر والشقاوة ، فيا عجباً كيف يوفق للطاعة مَن هو في شؤم وقسوة ! وكيف يُدعى للخدمة مَن هو مصرّ على المعصية ومقيم على الجفوة ! وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطّخ بالأقذار والنجاسات ! ففي الخبر عن الصادق المصدّق رسول الله ﷺ أنه « إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه » .

وكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز وجل ؟ ! فلا جرم لا يكاد يجد المصرُّ على العصيان توفيقاً ، ولا تخفّ أركانه لعبادته ، فإن اتفق فبكدّ لا حلاوة معه ولا صفوة ، وكلّ ذلك بشؤم الذنوب وترك التوبة .

ولقد صدق من قال : إذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم

---

(١) أي : العود إلى الذنب (منه) .

أنك مكبول[1] قد كبّلتك خطيئتك فهذه هذه .

والثاني من الأمرين : إنما يلزمك التوبة ، لتقبل عنك عبادتك ، فإن رب الدّيْن لا يقبل الهدية ، وذلك أن التوبة عن المعاصي وإرضاء الخصوم فرض لازم ، وعامة العبادة التي تقصدها نفل ، فكيف يقبل منك تبرعك والدَّين حالّ لم تقضه ؟ ! أم كيف تترك لأجله الحلال والمباح وأنت مُصرّ على فعل المحظور والحرام ؟ وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو - والعياذ بالله - عليك غضبان ؟ ! فهذا ظاهر حال العصاة المصرّين على المعصية والله المستعان انتهى عبارته .

يا ولدي إني جمعت لأجلك في هذا الباب أقوال العلماء الواردة في حق التوبة ؛ لتكون سبباً لانتباهك عن سِنة الغفلة وحرصك على التوبة ، مع أنك في حال القدرة لفعل الذنوب .

يا ولدي ؛ **اعلم** أن التوبة ؛ عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله كما ذكره الغزالي في « الإحياء » « والمنهاج » أيضاً .

فإذا كان أحد يقطع الطريق ويذهب في الفلاة ويأخذ أموال الناس ثم عجز عن أن يذهب إلى الفلاة ويقطع الطريق ، فتوبته إنما تحصل بترك مثل ذلك القطع منزلة وهو السرقة . كذا قرّره الفلدي في هامش « منهاج العابدين » والبسط في « الإحياء » في ٣٣ ج٤ راجعه .

يا ولدي إنّ رحمة الله تعالى واسعة ، وقد غفر لكثير من العصاة وجعلهم من أوليائه ، **فقد كان الفضيل - رحمه الله تعالى - شاطراً يقطع الطريق** بين أبي ورد وسرجس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينما هو يترقى في الجدران إليها سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

(١) مقيّد . (هامش الأصل) .

﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فقال : يا رب قد تبت . فرجع فآداه الليل[1] إلى خربة فإذاً فيها رفقة فقال بعضهم : نرتحل . وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا . قال : فتاب الفضيل وآمنهم وجاور الحرم حتى مات . كذا في « البريقة » فصار أمر الفضيل بعد التوبة أنه كان أزهد الناس وأعبدهم وأورعهم في زمنه كما هو مذكور في مناقبه .

وإن الناس يسألون الله تعالى بحرمته قضاء حوائجهم ويتوسلون به جعلنا الله تعالى في بركته وبركة أمثاله آمين .

يا ولدي يجب على التائب أن يكون الباعث على التوبة تعظيم أمر الله تعالى ، والخوف من سخطه وأليم عقابه ، لا رغبة دنياوية ، أو رهبة من الناس ، أو طلب ثناء ، أو صيت ، أو ضعفاً في النفس ، أو فقراً ، أو غير ذلك ، فلو ندم على الذنب لسقوطه عن الجاه بسبب فعله ذلك الذنب ، أو ندم على الذنوب ، لعوده إلى الفقر وإلى عدم المال بسبب إنفاق المال في الذنوب فقط ، ولم يندم لتعظيم الله وخوف عقابه ، فإن ذلك لا يكون توبة بلا ريب ؛ اللهم ارزقنا ولأولادنا وأحبابنا وزوّارنا وإخواننا في الدين توبة نصوحاً وثبتنا وإياهم عليها إلى الممات واغفر لنا وإياهم آمين .

---

(١) فآواه علّه . (هامش الأصل) .

الترغيب الثالث

في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه السلام

اعلم يا ولدي أن فضل الصلاة على النبي ﷺ مشهور ومعلوم ، والأحاديث الواردة في حقها كثيرة ، وقد نقل مؤلف « أفضل الصلوات » عن السيد أحمد دحلان ما نصه : إن الصلاة على النبي ﷺ نافعة بأي صيغة كانت ولا شيء أنفع لتنوير القلوب ووصول المريدين إلى الله تعالى منها[1] ، فإن المواظب على الصلاة على النبي ﷺ يحصل له أنوار كثيرة ، وببركتها يتَّصل بالنبي ﷺ ، أو يجتمع بمن يوصله إليه ، خصوصاً إذا كان مع الاستقامة ، **وخصوصاً في آخر الزمان عند قلَّة المرشدين** والتباس الأمور على الناس ، **فمن أراد هداية الخلق وإرشادهم** فعليه أن يأمر الناس عوامهم وخواصهم بالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ . انتهى عبارته ١٥٥ .

وفي « حاشية الباجوري » على متن « السُلَّم » في المنطق : والأحاديث في فضل الصلاة عليه ﷺ جملةً وتفصيلاً لا تنضبط ، وخصائصها لا تنحصر ،

فمن ذلك قضاء الحاجات ، وكشف الكُرَب المعضلات ، ونزول الرحمات .

ومن ذلك[2] أيضاً ما جرب من تأثيرها في تنوير القلوب حتى قيل **أنها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه[3]** ، كما حكاه سيدي أحمد

---

(١) وفي « الصاوي » : إنها توصل إلى الله تعالى لأنها تعرض عليه ويصلّي على المصلّي ، بخلاف غيرها من الأذكار ! فلا بُدَّ فيها من العارف ، وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها . انتهى فراجعه من سورة الأحزاب (منه) .

(٢) ومثله في « البجيرمي » في ٢٨ ج١ .

(٣) ومثله في « أفضل الصلوات » في ٣٤ فراجعه (منه) .

زروق والشيخ السنوسي في شرح « صغرى الصغرى » وأشار له الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني ، لكن قال الشيخ الملوي : المراد أنها تكفي عنه وتقوم مقامه في مجرَّد التنوير ، **أما الوصول لدرجة الولاية فلا بُدَّ فيه من الشيخ** كما هو معلوم عند أهله .

واختصت من بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطباع بخلاف غيرها فإنه يثيرها . انتهى ١٤ فراجعه .

وفي « تقريب الأصول » راجعه في ٥٦ وفي ٨٤ نظير ما مرَّ وفيه : وإن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ **فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له** ﷺ . وحكي اتفاق العلماء على ذلك . انتهى فراجعه في ١٠ .

وقطع الإمام الشاطبي والسنوسي على ذلك[1] **ولو قصد الرياء** كما في « أفضل الصلوات » في ٣٤ ، لكن ينبغي للعاقل أن لا يقصد بشيء من الصلاة على النبي ﷺ إلا التعظيم والإجلال لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وامتثال أمر الله تعالى ، فقد رأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : أن مَن صلّى على النبي ﷺ بهذه النِّيَّة كانت المرة الواحدة من صلاته لو ضرب العالم في نفسه مائة ألف مرة وقسمت صلاته عليهم لكفَّرت جميع ذنوبهم . انتهى فراجعه في ١٤٥ من الجزء الثاني .

وقد ذكرت نبذة[2] من هذه المذكورات في كتابنا « تنبيه السالكين » في المتن وفي الهامش بالتمام ، فإن أردت الزيادة فراجعه .

وفي « جواهر المعاني » في ١٣٢ ج١ : ثم اعلم أن في الصلاة عليه ﷺ تكفَّل الله بمن صلّى على حبيبه ﷺ أن يصلّي عليه عشر مرات بكل

---

(١) أي : على أنه يحصل الثواب له . فافهم (منه) .

(٢) وأصاب الأرض نبذ من مطر ، أي : شيء يسير . « مختار » .

صلاة من تلك الصلوات التي مَنَّ الله عز وجل على العبد . لها[1] سرّان :

السر الأول : أن المصلّي عليه ﷺ يجب على نبينا ﷺ مكافأته على مَن صلّى عليه ، على قاعدة حكم الكرم عند الكريم أن الإحسان إلى الكريم لا يضيع الإحسان عند الكريم باطلاً ، فهو ﷺ بما اتصف من الكرم وجب عليه مكافأة مَن صلّى عليه من هذه الحيثيّة ، فلما توجَّه عليه ﷺ هذا ناب الحق سبحانه وتعالى عنه في مكافأة من صلّى عليه ﷺ على إحسانه ؛ أن يصلّي عليه سبحانه وتعالى بكل واحدة عشراً .

والسر الثاني : أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ ، فمن رآه سبحانه وتعالى توجّه بالصلاة على حبيبه ﷺ اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ﷺ ، **وكانت تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالى** - إذا ثابر[2] على الصلاة عليه ﷺ - لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله[3] ، وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى ، وكان حكمه في الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله تعالى بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة : إن له عناية بحبيبنا ﷺ لا تكون سيئاته كسيئات غيره ! ولا تقع المؤاخذة عليه في سيئاته كما

---

(١) عله ولها سران . (هامش الأصل) .

(٢) المثابرة على الأمر : المواظبة عليه .

(٣) وفي « جواهر المعانى » في ٢٥٥ ج٢ : واعلموا أنّ الذّنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنّها تنصب على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفرات الذنوب ، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق . .الخ فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، وكصلاة التسبيح ، ومما هو في هذا المعنى يلازمه الإنسان في كلّ يوْم ثلاث مرات . اللّهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي . انتهى عبارته فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

تقع على غيره من أصحاب السيئات ! فإذا عرفت هذا عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتها فقط ، لا أنها هي أرفع درجة من القرآن ! فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى ، لكن لمن صفت أعماله وأحواله مع الله تعالى ؛ فيكون تاليه حينئذ من أكبر السابقين وأعظم الفائزين برضاء الله تعالى ، ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فإنه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول ، فإن لله سبحانه وتعالى غيرة على كتابه ؛ لكونه حضرة القرب والتداني ، **فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته** لكونه لم يعط الحضرة حقها ، فإذا عرفت هذا عرفت النسبة بينه وبين الصلاة عليه ﷺ . انتهى عبارته فراجعه .

يتضرر العامة بتلاوة القرآن

وفي « جواهر المعاني » في موضع آخر : فبان لك أن **الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن** ، فإن القرآن مرتبته مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بأخلاق الروحانية ، فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك ، وأما الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلا التلفُّظ بها باستصحاب تعظيم النبي ﷺ بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسية ثوباً وجسداً ومكاناً ، وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن ، فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلّي عليه ، ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه .

ولا وسيلة عند الله تعالى أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الربِّ عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ وإن تدافعت العلماء في القطع بقبولها ؛ فمن قائل بأن قبولها قطعي ، ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال ، **والذي نقول به** بأنها مقبولة[1]

---

(١) ورأيت في « مطالع المسرات » ما نصه : قال الشيخ أبو إسحق الشاطبي في

قطعاً ، **والحجة** لنا في ذلك أن الله تعالى يقول للنبي ﷺ : « مَن صلّى عليك صلّيت عليه ومن سلّم عليك سلّمت عليه » وهذا الوعد صادق لا يخلف ، وهو لا من حيثية العبد ! بل من حيثية العناية سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ ، وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلّى عليه ﷺ لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء ، **وهو معنى قبول الصلاة من العبد** وبالله التوفيق الخ... انتهى ٢٥٥ ج٢ .

قال الإمام الهمام شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ببلد الله الحرام السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول »[١] في أثناء ذكر كلام لأبي المواهب الشاذلي قدس سره ما نصه : وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله صلاة الله عشراً على مَن صلّى عليك مرة واحدة هل ذلك إن كان حاضر القلب ؟ فقال : لا ، بل لكل مصلّ عليّ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

قال بعض العارفين : مَن فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه من صلّى على النبي ﷺ مرة صلى الله تعالى عليه عشراً فلو فعل الإنسان جميع الطاعات وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة[٢] لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله جميع عمره من جميع الطاعات ، لأنك تصلّي على حسب وسعك والله تعالى يصلّي عليك – أي يرحمك – على حسب ربوبيته ؛ (**عطية القوم على قدر أقدارهم**) . هذا إذا

شرح « الألفية » : الصلاة على رسول الله ﷺ مجابة على القطع فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله تعالى . انتهى فراجعه في ٩٧ (منه) .

(١) وهو كتاب نفيس قيل فيه أنه لم يصنّف في الإسلام مثله ، جزى الله عنا مؤلفه آمين .

(٢) ومثله في « تاج العروس » (منه) .

كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلّى عليك عشراً بكل صلاة ؟! فما أحسن عيش من أطاع الله تعالى بذكره والصلاة على رسوله ﷺ ! فكم من صنائع صنعت لك وأنت لا تدري .

وفي « جواهر المعاني » : وأكبر ذكر الله فائدة ، وأعظمه جدوى وعائدة ؛ هي الصلاة على رسول الله ﷺ مع حضور القلب ، فإنها متكفِّلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة ، دفعاً وجلباً في كل شيء ، وإن مَن أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله تعالى . انتهى . فراجعه في ١٤٤ من الجزء الأول .

وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة وردت بها أحاديث لا تحصى ، ويفهم من مجموعها حُصُول فوائد للمصلّي عليه لا تحصى .

فمنها امتثال أمر[1] الله تعالى حيث قال ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة لأنها أشرف مقامات العبد .

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ موافقة العبد لربه في الصلاة عليه ﷺ وإن اختلف معنى الصلاتين .

ومن فوائدها صلاة ملائكة الله على العبد ما دام يصلّي عليه .

ومنها أنه يحصل للمصلّي عليه عشر حسنات بواحدة ، وتكفير عشر سيئات ، ورفع عشر درجات .

ومنها عتق عشر رقاب .

ومنها كونه ﷺ شفيعاً وشهيداً للمصلّين عليه يوم القيامة .

ومنها أن الملائكة يكتبون ذلك بأقلام الذهب وصحائف الفضة

---

(١) ومرّ آنفا ما في هذا من الفائدة العظيمة ، فتذكره (منه) .

ويقولون للمصلّين زيدوا زادكم الله تعالى .

ومنها كتابة براءة من النفاق وبراءة من النار .

ومنها أن المصلّي يُسكنه الله تعالى مع الشهداء يوم القيامة .

ومنها أن كتفه يزاحم كتف النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها أنها زكاة للأعمال وكفارة .

ومنها أن الملائكة تستغفر للمصلّي وتقرُّ بها عينه .

ومنها إذا مات تكون الصلاة عند قبره تستغفر له .

ومنها أن له بالصلاة الواحدة قيراطاً[1] من الأجر كجبل أُحُد .

ومنها أن الملائكة تبلِّغها النبي ﷺ فيردُّ على المصلّي ، فكل صلاة المصلين تعرض عليه ﷺ .

ومنها أنها تكون سبباً للكيل بالمكيال الأوفى من الثواب .

ومنها أنها سبب لكفاية المهمات في الدنيا والآخرة ، وقضاء الحاجات ، وكشف الكربات ، وغفران الذنوب ، وإن مَن جعل صلاته كلها للنبي ﷺ كُفِيَ همَّه من أمر دينه ودنياه وغفر ذنبه .

ومنها أنها أفضل من عتق الرقاب ومن ضرب السيف في سبيل الله .

ومنها أنها تكفُّ الكاتبين أن يكتبوا على المصلّي ذنباً .

ومنها أن المصلّي يحفظ من دخول النار وجاء في بعض صيغها أن صلاة واحدة تكفر ذنوب ثمانين سنة .

---

(١) والقيراط : نصف دانق وأما القيراط الذي في الحديث فقد جآء تفسيره فيه أنه مثل جبل أحد « مختار » .

ومنها أنها سبب لرضاء الله تعالى وسبب لغشيان الرحمة .

ومنها أن الملائكة إذا وجدوا حلقة المصلّين يحفُّون بهم ويغشونهم بالرحمة .

ومنها أنها موجبة للأمن من سخط الله تعالى ، وسبب لثقل الميزان وللأمن من العطش يوم القيامة .

ومنها أنها تأخذ بيد مَن يعثر على الصراط .

ومنها أن من صلّى على النبي ﷺ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وحتى تبشِّره الملائكة بالجنة .

ومنها أنها تعدل عشرين غزوة في سبيل الله تعالى .

ومنها أنها سبب لتكثير الزوجات في الجنة .

ومنها أنها تقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة .

ومنها أن مَن صلّى مائة مرة في كل يوم قضى الله تعالى له مائة حاجة سبعين لأخراه وثلاثين لدنياه .

ومنها أن المداومة عليها كالمداومة على العبادة طول الليل وطول النهار .

ومنها أنها أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى ، وأنها زينة المجالس ، ونور يوم القيامة ، ونور على الصراط .

ومنها أنها تنفي الفقر .

ومنها أن المصلّي يكون أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة وإن أكثر الناس عليه صلاة أكثرهم نوراً يوم القيامة .

ومنها أن العبد إذا أكثر منها يكون أحب ما يكون إلى الله تعالى

وأقربه إليه .

ومنها أن المكثر منها قد لا يسأله الله تعالى يوم القيامة فيما افترض عليه .

ومنها أن مَن صلّى عليه في كل يوم خمسين مرة صافحه النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها جلاء القلوب من الصدأ وطهارتها من النفاق .

ومنها أن الإكثار منها سبب لورود الحوض يوم القيامة .

ومنها أنها سبب لإجابة الدعاء وسبب لنجاة المؤمن من خطئه طريق الجنة .

ومنها أنها سبب للبركة في ذات العبد وعمره وأسباب مصالحه .

ومنها دوام محبته ﷺ وزيادتها ومضاعفتها .

ومنها أنها سبب للنصر على الأعداء .

ومنها أنها سبب لمنع الغيبة من الناس وموجبة لمحبة الناس للمصلّي .

ومنها نمو المال ببركتها ويلقى العبد بسببها وجوه الخير .

كل هذه الفوائد جاءت بها أحاديث ذكرها العلماء في كتبهم ، وزاد كثير من العارفين **أنها تقوم مقام الشيخ في التربية** ، وزاد بعض أنها تمنع العطش مطلقاً وكذا في وقت الحمى وغيرها .

قال الشيخ عبد الغني النابلسي : بشرط أن لا يكون في تلك الصيغة التي يصلي بها ذكر الله تعالى لأنه حارّ ، ومثل ذلك بأن يقول الصلاة والسلام على سيّدنا محمد خير الأنام .

فعليك بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ ، واتخذها ورداً في ليلك ونهارك تَفز بكل خير في الدنيا والآخرة .

وأسأل الله تعالى التوفيق [لنا] ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إن الله تعالى على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم انتهى في ٨٤ .

وفي « العقد الثمين » : وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتب غزاته بأربعمائة حجة » قال : فانكسر قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج فأوحى الله تعالى عز وجل إليه « ما صلّى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة » أخرجه أبو حفص الميافشي في « المجالس المكية » انتهى ٣٠ .

وكان ﷺ يقول : « مَن صلّى عليّ تعظيماً لحقي جعل الله عز وجل من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض ، وعنقه ملتوٍ تحت العرش ، يقول الله عز وجل له : صلّ على عبدي كما صلّى على نبيِّي . فهو يصلّي إلى يوم القيامة » .

وفي رواية « فما من عبد يصلّي عليّ حبّاً لي إلا انغمس ذلك الملك في الماء ثم ينتفض ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلّي عليَّ إلى يوم القيامة » . انتهى « كشف الغمة » ٢٧٨ ج١ .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « مَن صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرّات ، وكل ليلة ثلاث مرات كان حقّاً على الله تعالى أن يغفر له تلك الليلة وذلك اليوم » . انتهى .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « الصلاة عليّ أمحق للخطايا من الماء للنار ، والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب ، وحُبّي أفضل من مهج

الأنفس » أو قال : « من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل ، ومَن صلى عليّ واحدة حبّاً لي وشوقاً إليّ أمر الله تعالى حافظيه أن لا يكتبا عنه ذنباً ثلاثة أيام » انتهى ٢٧٩ ج١ .

وفي « مناهج السعادات » : وَوَرَدَ : « أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » انتهى .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَن صلّى عليّ يوم الجمعة مائة مرة غفر له خطيئة ثمانين سنة » . « دلائل الخيرات » والمراد غفران الصّغائر . انتهى « مناهج السعادات » في ٥ .

وقال الحافظ السخاوي : إن امرأة جاءت إلى الحسن البصري فقالت له : يا شيخ ! توفِّيت لي بنيَّة وأريد أن أراها في المنام . فقال لها الحسن البصري : صلّي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وسورة ألهاكم التكاثر مرة ، وذلك بعد صلاة العشاء الأخيرة ، ثم اضطجعي وصلّي على النبي ﷺ حتى تنامي . ففعلت ذلك فرأتها في النوم وهي في العقوبة والعذاب ، وعليها لباس القطران ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من النار ، فلما انتبهت جاءت إلى الحسن فأخبرته بالقصة . فقال لها : تصدَّقي بصدقة لعل الله تعالى يعفو عنها . ونام الحسن تلك الليلة فرأى كأنه في روضة من رياض الجنة ، ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت : يا حسن أتعرفني ؟ ! فقال : لا . فقالت : أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة على النبي ﷺ . فقال لها الحسن : إن أمك وصفت لي حالك بغير هذه الرؤية ! فقالت له هو كما قالت ! قال : فبماذا بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت : كنا سبعين ألف نفس في العقوبة والعذاب كما وصفت لك والدتي ، فعبر رجل من الصالحين على قبورنا وصلّى على النبي ﷺ مرة وجعل ثوابها لنا

فقبلها الله تعالى عز وجل منه وأعتقنا كلنا من تلك العقوبة و ذلك العذاب ببركة الرجل الصالح ، وبلغ نصيبي ما قد رأيته وشاهدته . ذكرها القرطبي في « التذكرة » بغير هذا اللفظ انتهى . « أفضل الصّلوات » ٥١ .

قال السخاوي : ويروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد مسرف على نفسه ، فلما مات رَمَوْا به ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السلام أن غسّله وصلِّ عليه فإني قد غفرت له . قال : يا رب وبماذا ؟ قال : إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد ﷺ فصلّى عليه ، فقد غفرت له بذلك . كذا في « أفضل الصلوات » ٧٧ .

حكى بعضهم : أن رجلاً شوهد يكثر الصلاة على النبي ﷺ في مواقف الحج والمطاف فقيل له : لم لا تستعمل المأثور الأفضل ؟ قال : آليت على نفسي أن لا أترك الصلاة على النبي ﷺ على أي حالة كنت . قال : وسبب ذلك أنه كشف وجه والده عند الموت فرأى وجهه وجه حمار ، فحزن عليه ، فرأى النبي ﷺ فتعلق به مستشفعاً لوالده سائلاً عن سبب حصول حالته المذكورة فقال له : إنه كان يأكل الربا . وأن من أكله يقع له ذلك دنياً وأخرى . لكن والدك كان يصلّي علي كل ليلة عند نومه مائة مرة فشفعت فيه . فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ، ثم لما دفنه سمع قائلاً يقول سبب العناية بوالدك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . ذكره الجريري في « كنز الإدخار » انتهى « العقد الثمين » في ٣٠ . ومثله في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » فراجعه .

يا ولدي انظر إلى عِظَم فائدة الصلاة على النبي ﷺ **!** فقد انتفع بها من ارتكب الذنب الذي أيسره كناكح أمه وهو الربا ، وقد ذكرت نبذة من فضائل الصلاة في كتابنا خلاصة الآداب » وفي « تنبيه السالكين » فإن أردت الزيادة فعليك بالمراجعة إليهما .

وفي « أدلِّ الخيرات » و« دلائل الخيرات » و« كشف الغمة » أكثر

من هذه وفَقك الله تعالى للدّوام على الصلاة عليه ﷺ ، وجعلك من ورثة أوليائه وأصفيائه ، آمين .

فائدة في بيان فضائل صيغ الصلاة عليه ﷺ التي أوردها السادات في كتبهم وذكروا لها الفضائل الكثيرة والأجور العظيمة ؛ **فمنها صلاة الفاتح** لما أغلق وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه حقَّ قدره ومقداره العظيم) .

وذكر أن مَن صلّى بها مرة واحدة في عمره لا يدخل النار انتهى . وقال بعضهم المرة منها تعدل عشرة آلاف وقيل ستمائة ألف إلخ كذا في « أفضل الصلوات » راجعه في ١٤٢ .

وأما ما ذكره صاحب « رماح حزب الرحيم » فبهذه الألفاظ : (اللهم صلّ على سيِّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى اله حق قدره ومقداره العظيم) انتهى .

وفي « جواهر المعاني » في ٩٥ ج١ : وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ . فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما اغلق . . حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها ؛ وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في « وردة الجيوب » . وقد ذكر صاحب « الوردة » أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر – وكان قطباً رضي الله عنه – قال : إن مَن ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون ، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من « دلائل الخيرات » تركت الفاتح لما أغلق إلخ . واشتغلت بها

وهي : **اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم .** لما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق ، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاء ، كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار انتهى .

صلاة الفاتح لما أغلق

وفيه بُعيد هذا : ثم قال سيّدنا رضي الله عنه وأما صلاة الفاتح لما أغلق إلخ فإني سألته ﷺ فأخبرني أولاً أنها بستمائة ألف صلاة ، فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر مَن صلى بصلاة مفردة ؟ فقال ﷺ ما معناه : نعم يحصل في كل مرة منها أجر مَن صلّى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسألته ﷺ هل يقوم منها طائر واحد على الحدِّ المذكور في الحديث لكل صلاة ؛ وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث ؟ أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي ﷺ ؟ فقال ﷺ : « بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة » . ثم قال رضي الله عنه فسألته ﷺ عن حديث أن الصلاة عليه ﷺ مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة ؛ كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ ! فقال ﷺ : صحيح . فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة أربعمائة غزوة ؟ أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟ فقال ﷺ « ما معناه » : « إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة من الستمائة صلاة بأربعمائة ألف غزوة » .

مهم

ثم قال بعده ﷺ : إن مَن صلّى بها أي بالفاتح لما أغلق إلخ . مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلّى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفُّظ الذاكر بها ؛ أي كأنه صلّى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلاة المصلّين عموماً ملكاً وجنّاً وإنساً ، وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة ، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات ، وأن الله تعالى يصلّي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة ، فكيف مَن صلّى بها مرات ؟ ماذا له من الفضل عند الله تعالى ؟ ! وهذا حاصل في كل مرة منها ! !

حكمة فضل صلاة الفاتح لما أغلق

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري « أي صلاة الفاتح لما اغلق . . . إلخ ولكنه توجَّه إلى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصَّلوات وسر جميع الصَّلوات ، وطال طلبه مدة ، ثم أجاب الله تعالى دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادةُ جميع الجن والإنس والملائكة انتهي . فراجعه ففيه البسط الزائد وراجع أيضاً إلى كتاب « الرماح » الذي في هامشه ترى العجائب .

وفي « جواهر المعاني » أيضاً **واعلم** أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجَّهت بجميعها مائة ألف عام كل

يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ .

فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك ، فإنها كنز الله الأعظم لمن ذكرها . انتهى . فراجعه في صحيفة ١٥٧ ج٢ .

ومنها صلاة تسمى **بصلاة العالي** ؛ وهي : « اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلّم » .

نقل الشيخ الصاوي في شرحه على صلوات الدردير والعلاّمة محمد الأمير الصغير في ثبته عن الإمام السيوطي : أن من لازم عليها كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ .

وذكر فوائد هذه الصلاة السيد أحمد دحلان في مجموعته بأبسط مما ذكر ونص عبارته : ومن الصيغ الفاضلة التي ذكر كثير من العارفين أن مَن داوم عليها ليلة الجمعة ولو مرة واحدة كشف لروحه مثال روح النبي ﷺ عند الموت وعند دخول القبر حتى يرى أن النبي ﷺ هو الذي يلحده .

قال بعض العارفين : وينبغي لِمن داوم عليها أن يقرأها كل ليلة عشر مرات ، وليلة الجمعة مائة مرة حتى يفوز بهذا الفضل والخير الجسيم إن شاء الله تعالى انتهى . « أفضل الصّلوات » ١٥٢ .

وفي « فتح الرسول » : مَن قرأها بعد العشاء سبع مرات فهو كمن أحيا تلك الليلة كلها . انتهى . « جواذب » انتهى ٤٦ .

ومنها صلاة تسمى **صلاة السعادة** وهي (اللهم صلّ على سيدّنا مُحمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

نقل سيدي أحمد الصاوي عن بعضهم : أن هذه الصلاة بستمائة

ألف صلاة . انتهى . « أفضل الصّلوات » .

وعن الشيخ منصور بن يوسف المذكور هذه الصلاة المرة الواحدة منها بستمائة ألف ، مَن قالها كل يوم سبعين مرة تكون له فداء من النار وهي : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

وقال سيدي علي الوفائي قدس الله تعالى روحه : مَن قالها كل يوم ألف مرة يكون سعيد الدارين .

وأيضاً هذه الصلاة عن سيدي عبد المعطي صاحب « الذخيرة » وهي سبعة وسبعون مجلداً في قطع الربع في الصلاة على النبي ﷺ ، وهي هذه : مَن قالها بعد صلاة العشاء عشر مرات غفر الله له ألف ذنب من الكبائر وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) . ألف مرة . « عقد اليواقيت » ٧٤ ج١ .

ومنها صلاة شريفة قد ذكر مؤلف « الإتحاف » أنه بُشِّر أن قائلها مائة مرة يأمن به الإقليم الذي هو فيه ببركة تلاوته لهذه الصيغة الشريفة وهي هذه : (اللهم صل على سيّدنا محمد بكل صلاة تحب أن يصلَّى به عليه ، في كل وقت يحب أن يُصَلَّى به عليه . اللهم سلّم على سيّدنا محمد بكل سلام تحب أن يسلّم به عليه ، في كل وقت يحب أن يسلّم به عليه ؛ صلاةً وسلاماً دائمين بدوامك عدد ما علمت ، وزِنَةَ ما علمت ، وملىء ما علمت ومداد كلماتك وأضعاف أضعاف ذلك . اللهم لك الحمد ولك الشكر كذلك على ذلك في كل ذلك وعلى آله وصحبه وإخوانه » . انتهى . راجعه في ٢٩٠ ج٣ .

وقال فيه : وقد ألهمت هذه الصيغة ووجدت لها من الخواص ما

لله المنّة عليّ فيه ببركته ﷺ ، وعرضتها عليه ﷺ مستأذناً في استعمالها فتبسَّم ﷺ ، وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم على نبيك وحبيبك سيّدنا محمد وعلى إخوانه وآله صلاة وسلاماً نقرع بهما أبواب جنانك ، ونستجلب بهما أسباب رضوانك ، ونؤدي بهما حقه علينا بفضلك آمين) انتهى . فراجعه ٢٩٠ .

ومنها صلاة ذكرها صاحب « مناهج السّعادات » راجعه في٦٧ بأنه ورد أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعداً غُفر له قبل أن يقوم ، وهي هذه (اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم) .

ومنها صلاة تسمى **بالكمالية** وهي من أشرف الصيغ ، قال بعضهم هى بسبعين ألف صلاة ، وقيل : بمائة ألف صلاة ، وأنها تقرأ بين المغرب والعشاء لدفع النسيان وجلب الحفظ كما هو مذكور في « أفضل الصَّلوات » في ١٥١ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدّ كماله) . انتهى .

ومنها صلاة قال صاحب « أفضل الصّلوات » في ١٥٠ : إن ثوابها لا نهاية له ، وإن ثوابها يعدل أربعة عشر ألف صلاة وهي هذه : « اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله » انتهى .

ومنها صيغة صلاة على النبي ﷺ . ذكر شيخنا الشهاب أحمد الملوي المصري عن القطب الشاذلي أنها بمائة ألف وأنها تفكُّ الكرب وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد النور الذاتيّ والسر السّاري سره في جميع الأسماء والصفات) ذكره مؤلف « عقد اليواقيت الجوهرية » فراجعه في ٨٧ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » : فالإكثار من هذه الصيغة ينوِّر البصر والبصيرة انتهى . فراجعه في ٢٨ .

ومنها صلاة منسوبة إلى محي الدين العربي ﷺ قيل فيها أن مَن قرأها مرة واحدة كان له ثواب أفضل من سبعين ألف صلاة ، ومن قراءة « دلائل الخيرات » كل يوم . نقل هذا من الجامع الأزهر من مصر بيد شافع الثغوري وهي هذه : (اللّهمّ صلّ على الذات المطلسم ، والغيب المطمطم ، لاهوت[1] الجمال[2] ، ناسوت الوصال ، طلعة الحق كثوب إنسان الأزل في نشر مَن لم يزل ، في قاب ناسوت الوصال الأقرب ، اللهم صلّ به منه فيه عليه وسلّم) انتهى .

ومنها هذه الصلاة : (اللهم صلّ على روح سيّدنا محمد في الأرواح ، وعلى جسده في الأجساد ، وعلى قبره في القبور ، وعلى آله وصحبه وسلم) قال الإمام الشعراني في حقها : كان ﷺ يقول : « مَن قال

---

(١) لاهوت – هو المقام الذى يتجلى ذات الرب على العبد – الجمال – أي صاحب المقام المتجلى فيها الرب المرتقى إلى قاب قوسين – ناسوت الوصال – أي المتحرك بالوصول إليه تعالى لإرشاد الخلق – طلعة – مصدر بمعنى الطالع –الحق – هو الله تعالى أي الطالع على علمه الأزلي ويجوز جعله ضدّ الباطل – كثوب إنسان – الكثب الجمع والدخول من اجتمع مع روحه كل انسان – الأزلي – أي فيه يشهد لذلك قوله تعالى : ألست بربكم قالوا بلى ، وقوله عليه الصلاة والسلام : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين – في نشر – أي إشاعة دين – من – أي الله تعالى – لم يزل في قاب ناسوت الوصال الأقرب اللهم صلّ به – أي بسبب كلّ واحد من الصفات المحيطة به نازلة – منه – أي من لاهوت الجمال – فيه – لفظة في بمعنى اللام أي لأجل نشر الدين – عليه – أي على الذات المطلسم وسلم – مطلسم – أي العابس وجهه على أهل الضلال على كونه اسم فاعل أو المسلط بالسيف على الكفار على كونه اسم مفعول وعلى كليهما من باب دحرج – مطمطم – أي المدرك للغيوب ، أي السابح فيه ، يقال : طمطم في البحر ، إذا سبح . من شرح « أدل الخيرات » للولي العارف إسماعيل بن إدريس الأَبْدَنْجكليّ قدس سره .

(٢) أي على المنفرد في الجمال

هذه الكيفية رآني في منامه ، ومَن رآني في منامه رآني يوم القيامة ، ومَن رآني يوم القيامة شفعت له ومَن شفعت له ، شرب من حوضي وحرّم الله جسده على النار » . وذكر ذلك شرَّاح « الدلائل » أيضاً بزيادة سبعين مرة عن الفاكهاني .

قلت : وقد جرَّبت هذه الصلاة قبيل النوم حتى نمت فرأيت وجهه الشريف ﷺ في داخل القمر ، وخاطبته ثم غاب في القمر ، وأسأل الله العظيم بجاهه عليه الصلاة والتسليم أن يحصّل لي باقي النعم التي وعد بها ﷺ في هذا الحديث الشريف « أفضل الصلوات » ٥٨ .

ومنها صيغة صلاة لها فضل وهي هذه : (وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون) .

قال في « أفضل الصّلوات » : فقد روي عن عبد الله بن الحكم قال : إني رأيت الشافعي رضي الله عنه في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزفَّت إليَّ الجنة كما يزف العروس . ونثر عليّ كما ينثر العروس فقلت : بمَ نِلتَ هذه الحالة ؟ فقال لي قائل : بقولك في كتاب « الرسالة » : وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . قال : فلما أصبحت نظرت « الرسالة » فوجدت الأمر كما رأيت . انتهى فراجعه في ٧٧ ففيه البسط .

ومنها صلاة قال فيها صاحب « كنوز الأسرار » راجعه في ٢٢ : إنها بمنزلة مائة ألف صلاة وهي هذه : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين) .

ومنها صلاة قيل فيها : أن مَن قرأها مرة واحدة غفر الله له مائة ألف ذنب من الكبائر انتهى . كما هو مذكور في « كنوز الأسرار » أيضاً

٢٩ وهي : (اللهم صلّ على سيدّنا محمد السابق للخلق نوره ، والرحمة للعاملين ظهوره ؛ عدد مَن مضى من خلقك ومَن بقي ومَن سعد منهم ومَن شقي ، صلاة تستغرق العدّ وتحيط بالحدِّ ، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء وتُنِيلُنَا بها منك الرضا ؛ صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك ، اللهم صلّ على سيّدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك ، وعينه من جمالك ؛ فأصبح فرحاً مؤيداً منصوراً وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً) والحمد لله على ذلك . انتهى .

ومنها صلاة تعدل بمائة صلاة كما في « كنوز الأسرار » في ٣٠ ؛ وهي هذه : (اللهم صلِّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تزن الأرضين والسموات ، وعدد ما في علمك ، عدد جواهر أفراد كرة العالم وأضعاف ذلك إنك حميد مجيد) . انتهى .

ومنها صلاة مَن قالها يوم الجمعة ألف مرة فإنه يرى في المنام ربه أو نبيه أو منزلته في الجنة ، فإن لم ير فليفعل إلى خمس جُمَع ، وجُرب فصح قاله في « كنوز الأسرار » ١٣٠ ، وهي (اللهم صل علي محمد النبي الأمي جزى الله عنا محمداً ما هو أهله) .

ومنها صلاة روي أنها تعدل خمسمائة صلاة ، وكانت له فداء من النار كما في « كنوز الأسرار » ٣٠ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الكامل صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله) . انتهى .

ومنها صلاة مَن قرأها مرة واحدة فكأنما قرأ « دلائل الخيرات » أربعين مرة . انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٣ وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك وكرِّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته عدد ما في علمك صلاة دائمة بدوام ملكك) انتهى .

ومنها صلاة المرة منها بخمسمائة صلاة؛ وإذا قالها خمساً كانت له فداءً من النار . انتهى « فتح الرسول » : ٤٧ وهي : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آل سيّدنا محمد ما اتّصلت العيون بالنظر ، وتزخرفت الأرضون بالمطر ، وحج حاج واعتمر ، ولبّى وحلق ونحر ، وطاف بالبيت العتيق) .

ومنها صلاة المرة منها باثني عشر ألف صلاة وهي هذه : (اللهم صلّ على سيدّنا محمد وعلى آله صلاة أنت لها أهل وهو لها أهل) انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٩ .

ومنها صلاة عظيمة النفع جليلة القدر قد ذكرها صاحب « فتح الرسول » رحمه الله تعالى وقال : إن هذه الصلاة المرةُ منها بعشرة آلاف مرة كما في « القول البديع » ، وقد كتب إلي سيدي العارف بالله عبد الله المدهر العلوي ما لفظه :

فائدة عظيمة جداً

وجد بخط سيدي الشريف شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر علوي ما قوله : يقول : سمعت القاضي العلامة المغربي جمال الدين محمد بن علي الإسكندري يقول : كان وِرْده من الصلاة على النبي ﷺ ألف ألف ومائة ألف ألف مرة في اليوم والليلة حتى استغرق ليله ونهاره بهذا الورد ، فرأى النبي ﷺ فقال : إني أُعلِّمك كلمات إذا قلتهن كفيت بهن عن وردك ، ويحصل لك من الأجر مثل ذلك . فقال : نعم . فقال : قل : (اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد السَّابِقِ لِلخَلْقِ نُورُهُ ، وَرَحْمَة لِلْعَالَمِيْنَ ظُهُورُهُ ، عَدَدَ مَنْ مَضي مِنْ خَلْقِكَ ومَنْ بَقِيَ ، ومَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ ومَنْ شَقِيَ ، صَلاةً تَسْتَغْرِقُ العَدَّ وتُحِيطُ بِالحَدّ ، صَلاةً لا غَايَةَ لَهَا وَلا انْتِهَاءَ ، وَلا أَمَدَ لَهَا وَلا انْقِضَاءَ ، صَلاةً دَائِمَةً بدَوَامِكَ بَاقِيَةً ببَقَائِكَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبهِ كَذَلِك ،

وَالحَمْدُ لله عَلَى ذَلِك ، اللهمَّ يَا رَبِّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَاجْزِ مُحَمَّداً عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ ، اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آل مُحَمّدٍ عَددَ مَا عَلِمْتَ ، وَزِنَةَ مَا عَلِمْتَ ، ومِلْءَ مَا عَلِمْتَ . اللهمَّ صَلِّ وَسَلّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى كُلِّ نَبيٍّ ، وَعَلَى جِبْرِيلَ ، وَعَلَى كُلِّ مَلَكٍ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَلِيّ) ، عَشْراً انتهى . فراجعه في ٣١ .

ومنها صلاة لسيدي الشيخ عبد المعطي المالكي نفعنا الله تعالى به ؛ ذكر أن المرَّة منها مائة ألف مرة كما في « فتح الرسول » في ٣٠ ؛ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد صلاة وسلاماً أنت لهما أهل وهو لهما أهل ؛ عدد ما علمت ، وزنة ما علمت ، وملء ما علمت ، وأدِم ذلك أبداً بدوامك ، وعلى آله وصحبه كذلك ، والحمد لله على ذلك) .

ومنها صلاة قيل فيها : مَن أراد أن يرى النبي ﷺ فليقل : (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما أمرتنا أن نصلّي عليه) إحدى وسبعين مرة . انتهى . كذا في « فتح الرسول » في ٩٥ .

ومنها صلاة يقال لها « **صلاة أولي العزم** » مَن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم الكتاب يعني « دلائل الخيرات » كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » في ١٤٨ وهي : (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

ومنها صلاة القطب العارف أحمد البدوي قدس سره وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية ، ولمعة القبضة الرحمانية ، وأفضل الخليقة الإنسانية ، وأشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الأصلية ، والبهجة السنية ، والرُّتبة العَلية ، مَن اندرجت

النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه ، وصلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأمتّ وأحييت إلى يوم تبعث فيه من أفنيت ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

وجدتُ في مجموعة العالم محمد طاهر القراخي رحمه الله تعالى ما معناه وحاصله هذا : إن سيدي محمد التلمساني قرأ « دلائل الخيرات » مائة ألف مرة فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له : لو قرأت صلاة السيد أحمد البدوي قدس سره لكفتك عن « الدلائل » ثمان مائة ألف مرة . انتهى باختصار .

ورأيت فيه ما حاصله أيضاً أن قراءتها مائة مرة لأيّ حاجة قضيت . انتهى .

وفي « أفضل الصلوات » : قال سيدي أحمد الصاوي : ذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعاً ، وأن كل مائة منها بثلاثة وثلاثين من « دلائل الخيرات » فراجعه .

وفيه أيضاً ما حاصله : أنها سبب لحصول كثير من الأنوار ، وانكشاف كثير من الأسرار ، وهي من أعظم الأسباب للاتصال بالنبي ﷺ في المنام واليقظة ، وهي سبب في وصول كثير إلى مرتبة القطبانية ، وفيها أسرار في تسهيل الرزق الظاهري ، وهي رزق الأشباح والباطني ، وهي رزق الأرواح أعني العلوم والمعارف ، و بها يحصل النصر على النفس والشيطان وسائر الأعداء ، ولها خواص كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وذكروا أن قراءة ثلاث مرات منها بقراءة « دلائل الخيرات » ، وينبغي لقارئها أن يكون في وقت قراءتها مستحضراً لأنوار النبي ﷺ وعظمته في قلبه ، وأنه السبب الأعظم في وصول كل خير ، والواسطة العظمى والنور الأعظم ، ولا يقرأها الشخص إلا وهو متطهّر ، فمن واظب على قراءتها بهذه الشروط في كل يوم مائة

مرة واستمر على ذلك أربعين يوماً مع الاستقامة يحصل له من الأنوار والخير ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ، ومَن واظب على قراءتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح وثلاثاً بعد المغرب يرى لها أسراراً كثيرة ، والله الموفق للصواب انتهى . راجعه ٨٤ .

ومنها صلاة جرت عادة مشائخنا بقراءتها في كل ليلة من ليالي الجمعات مع اجتماع المريدين ، وقد كان الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي والشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس الله أسرارهما يأمران المريدين بقراءتها في تلك الليالي ويأكدان بذلك .

قال في « نهج المتقين » : قال علي ﵁ : مَن صلّى على النبي ﷺ بهؤلاء الكلمات في كل يوم ثلاث مرات وفي كل جمعة مائة مرة فيقول : (صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد ، عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) فقد صلّى بصلوات جميع الخلق ، وحُشِرَ يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ يأخذ يده حتى يدخل الجنة . انتهى . ومثله في « نزهة المجالس » في ١٣٠ فراجعه . فلله در هذين الشيخين المذكورين - نوّر الله تعالى ضريحهما آمين - حيث وقعا سبباً لقراءة هذه الصلاة الفاضلة ، فقد يجتمع المريدون في ديارنا وناحيتنا في ليلة الجمعة لقراءتها وفي ذلك بركة عظيمة لا تخفى .

وفي « مطالع المسرات » في ٣٨ روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : ما من موضع يذكر النبي ﷺ ويصلّى عليه فيه إلا قامت منه رائحة تخرق السماوات السبع حتى تنتهي إلى العرش ، ويجد ريحَها كل من خلق الله تعالى في الأرض إلا الجن والإنس ، فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ، ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ، ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ، ويرفع لهم بعددهم درجات ، سواء

كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأبقى . انتهى . ومثله بل عينه في « إعانة الطالبين » فراجعه .

وقد قال لي العالم المرحوم دبر محمد القحي - نور الله تعالى مرقده وغفر ذنبه آمين - : إن شيخه الحاج العسوي سألني عن ذهابي إلى مجلس قراءة الصلاة المذكورة فقلت له : يا أستاذي ! أذهبُ إليه إلا إذا لم أتفرَّغ في اليوم لفعل وردي ، فلو ذهبت إلى ذلك المجلس لفاتت مني أورادي في تلك الليلة ، فلذا أتخلَّف عن الذهاب لهذه العلة . قال الأستاذ رحمه الله تعالى : الذهاب إلى ذلك المجلس خير ولو فات الورد . انتهى .

وكان قدس سره يأمرنا بقراءتها ويهدّدنا عن تركها ، وقلت له : يا أستاذي ! هل في قراءتها منفرداً أو جماعة فرق ؟ فقال قدس سره : نعم فإن البركة في الجماعة . انتهى .

ومنها صلاة تسمى **بجوهرة الكمال** وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم على عين الرحمة الربانية ، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ، ونور الأكوان المتكونة الآدمي ، صاحب الحق الرباني ؛ البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرِّض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأتَ به كونك الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صلّ وسلّم على عين الحق التي تجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم ، إحاطة النور المطلسم ، اللهم صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم ، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ، صلّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه) انتهى .

قال في « رماح حزب الرحيم » قال[1] رضي الله عنه وأرضاه وعنا به : أعطاني

---

(١) يعنى أحمد التجاني قدس سره .

رسول الله ﷺ صلاة تسمى بـ« جوهرة الكمال » مَن ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال : هذه هدية مني إليك يا رسول الله ، فكأنما زاره في روضته الشريفة ، وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته . انتهى . فراجعه في ٥٢ ج٢ .

وفيه : قال رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال : « إن مَن لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه ﷺ يحبُّه محبة خاصة ، ولا يموت حتى يكون ولياً » . انتهى في ٥٢ .

وفيه أيضاً : قال رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به أن النبي ﷺ قال : « مَن قرأها سبعاً فأكثر يحضره ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها » انتهى ٥٢ ج٢ .

وفي « الرماح » أيضاً وقال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به : من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ . انتهى ٩٠ ج٢ .

وفيه : في ٢٢ ج١ ولا تقرأ « جوهرة الكمال » إلا بالطهارة المائية من الحدث والخبث ، وطهارة الثوب والمكان ، ويكون بها جالساً ، فإن فقد شرط من هذه الشروط فإنها لا تقرأ في الوظيفة ، وتقرأ صلاة الفاتح لما أغلق بدلها عشرين مرة . انتهى .

فائدة : ذكرها صاحب كتاب « الرماح » قال : وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ! فمن بعض فضائله **أن مَن داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت .**

وقد أخبرني محمد الغالي رضي الله عنه وأنا معه في المدينة المنورة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – أن الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول : إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً . انتهى .

قلت قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة انتهى . فراجعه في ١٠٥ من هامش « جواهر المعاني » ج٢ .

أيها الولد المحبوب المرجوّ لحوز السلامة والفوز بالهداية إني قد جمعت لك في هذا الكتاب عدة منافع ، فأرجوك أن تعض عليها نواجذك ، وأن تتخذها وظيفة لك ووِرداً ، فعساك تفوز بالمقامات ، وتصل إلى أعلى الدرجات ، ببركة الصلاة على النبي عليه أسنى التحيات وأزكى التسليمات ، وإياك يا ولدي والتفرط في الصلاة على النبي ﷺ ! وإياك ثم إياك وتركها بالكلية ! فإن الصلاة عليه ﷺ عظيمة النفع جليلة القدر . وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم ومَن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل فيه .

يا ولدي أوصيك بالملازمة عليها فعساك تجتمع به ﷺ يقظة أو مناماً .

وقد رأيت في كتاب « الرماح » في ٢٠١ ج١ ما حاصله : أن مَن أكثر الصلاة على النبي ﷺ يجتمع به عليه الصلاة و السلام يقظة ، وأن الأولياء يرونه ﷺ يقظة ، وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ، وأنه يتصرَّف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت ، وأنه بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مُغَيب عن الأبصار كما غُيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله تعالى أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها . انتهى ملخصاً ، رزقنا الله الاستعداد لرؤيته واجتماعه ولا حرمنا من بركته وشفاعته آمين يا مجيب .

الترغيب الرابع

في بيان فضيلة الذكر مطلقاً

اعلم يا ولدي أن الذكر مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، وهو العمدة في الطريق ومعول أهل التحقيق ، وماهيّته : هو التخلص عن الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق . وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان ، وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو استدلال على شيء من ذلك ، أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه ، أو مَن انتسب إليه أو تقرَّب إليه ، وسبب[1] من الأسباب أو فعل من الأفعال ، بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية ، فالمتكلِّم ذاكر ، والمدرس ذاكر ، والمفتي ذاكر ، والواعظ ذاكر ، والمتفكِّر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسَمواته ذاكر ، والممتثل بما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه ذاكر . هكذا ذكره ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » .

وقد قال الإمام الرباني : الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيّ وجه تيسَّر ، لا أن الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات ، أو على تكرار اسم الذات ، فكل ما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كله داخل في الذكر ، ولكن الّذي يقع باسم المذكور وصفته سريع التأثير ومورث لمحبة المذكور ، وقريب الإيصال ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعاة الحدود الشرعية ، فإن مراعاة الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسَّرة بدون محبة تامة لناصب الشرع ، وهذه المحبة التامة مربوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ؛ فلا بد أولاً من ذلك الذكر حتى يحصل بسببه هذا الذكر الذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى . « الدرر المكنونات » ٨٠ ج١ .

وفيه أيضاً في ٣٨ ج٣ : أنه **لا بدَّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من**

---

(١) وفي نسخة : أو سبب .

الذكر فإن ترقيه مربوط بتكرار الذكر بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمَّل . انتهى .

قال ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » : الذكر نار لا تبقي ولا تذر ، فإذا دخل بيتاً يقول أنا لا غيري ، وهو من معاني لا إله إلا الله ، فإن وجد فيه حطباً أحرقه فصار ناراً ، وإن كان فيه ظلمة كان نوراً فنوَّره ، وإن كان فيه نور صار نوراً على نور . والذكر مذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الإسراف في الأكل ومن تناول اللقم الحرام ، وأما الحاصلة من الحلال فلا يَدَ له عليها ، فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكراً كأنه ينفخ في البوق .

وأولاً يقع الذكر في دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكؤوس ، **والذكر سلطان** إذا نزل موضعاً نزل ببوقاته وكؤوساته ، لأن الذكر ضد ما سوى الحق ، فإذا وقع في موضع اشتغل بنفي الضد ، كما تجده من اجتماع الماء والنار . انتهى ما هو المقصود ، فراجعه من أوله[1] .

وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الرابع والعشرين في فضل الذكر مطلقاً وفوائده ، والحثّ عليه والترغيب فيه من غير تعرُّض للاجتماع له والجهر به وغيره : فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق :

اعلم أن الذكر أشرف العبادات ؛ لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى .

وفي « لواقح الأنوار في الأدعية والأذكار » لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ﵁ أنهم - يعني أهل الجنة - مداومون على الذكر فيها ،

---

(١) أي : من أوّل « مفتاح الفلاح » .

لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى فإنه لا ينقضي ، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة . جعلنا الله تعالى من الذاكرين الفائزين الفرحين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال بعد كلام كثير : وقد روي أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النَّفَس ؛ يقولون سبحان الله والحمد لله متلذِّذين لا متعبدين ، كما يتلذَّذ من به داء العطش بالماء البارد .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في « أسرار التنزيل » :

اعلم أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة ، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عن المؤمن ، وكيف يمكن زوالهما عنه والقرآن يدلّ على أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد ؟ ! وإنما قلنا مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن المؤمنين في الجنة : ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ** ﴾ ، ﴿ **وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ** ﴾ ، وقال ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ** ﴾ الآية ، ﴿ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ** ﴾ فثبت أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر ، فعلمنا من هذا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ** ﴾ إنها علامة بين أهل الجنة وبين خدمهم في الطعام ، فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم ، فيحضرون لهم في الوقت ما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل ، على كل مائدة ألوان من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً ، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى ، قال : فذلك قوله تعالى ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ انتهى .

وإذا تقرر هذا **فاعلم** أن الذكر سبب السعادة في الدنيا والآخرة ، ومطردة الشيطان ويرضي الرب ، ويجلب الرزق وييسره ، ويكسو الذاكر مهابة ، ويورث محبة الله تعالى ومراقبته ويورث الإنابة والقرب من الرب ، ويفتح باب المغفرة ، ويورث العبد إجلالاً لربه ويورث ذكر الله تعالى للعبد ، وبه تحيا القلوب كما يحيا الزرع بالمطر ، وهو قوت الأرواح وجلاء القلب من الصدأ ، ويورث النور في الفكر ويَحُط الذنوب ويزيل الوحشة بين العبد والرب ، وما يذكره[1] العبد والرب وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتحميد يذكرن بصاحبهن حول العرش ، والعبادات كلها تزول عن العبد في الحشر والجنة إلا ذكر الله تعالى ، والتوحيد والحمد والذكر تقرب إلى الله تعالى ، وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه ، وحفوف الملائكة به ونزولها لديه ، وغشيان الرحمة ، وهو للإنسان شاغل عن الغيبة والكذب وكل باطل ، والذاكر لا يشقى به جليسه ، ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة ، والذكر مع البكاء سبب لنيل ظل العرش الظليل[2] ، ومن شغله ذكر الله تعالى عن المسألة أعطي أفضل ما يعطى السائلون ، وهو غراس الجنان وسبب العتق من النيران والأمان من النسيان ، وهو نور للعبد في دنياه وقبره ونشره ومنشور الولاية ، وهو يُرقي العبد إذا رسخ في القلب ، ويجمع على الذاكر قلبه ويُقرِّبُ من قلبه الآخرة ويبعد عنه الدنيا ، ويستعدُّ لما هو آت ويثمر المعرفة والولاية والتوفيق والحماية ، ويعدل عتق الرقاب والجهاد والقتل في سبيل الله وإنفاق الورق والذهب ، وهو رأس الشكر ويدخل الجنة ويُذهب من القلب القساوة ، والذكر شفاء القلوب ، وهو أصل موالاة الله

---

(١) هكذا في نسخة الكتاب الذى بيدنا وأما عبارة « مفتاح الفلاح » : ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الربّ وبين العبد الغافل وما يذكره العبد من نحو تسبيح إلى آخره ، فتدبّره ولعل الجملة وقع فيها التكرار (منه) .

(٢) وظل ظليل ومكان ظليل أي : دائم الظل . « مختار » .

تعالى ، والغفلة أصل معاداته ، وهو رافع للنقم وجالب للنعم ، وموجب لصلاة الله تعالى وملائكته عليك ، ومجلس الذكر رياض الجنة ويباهي الله تعالى ملائكته بالذاكرين في السماء ، وهو ينوب عن سائر الأعمال ويقوي الجوارح ويفتح مغلق الأبواب ، وهو أمن ونجاة وسيف ، وهو سبب لتصديق الرب لعبده ، والذكر سدّ بين العبد وبين النار ، ونار لا تبقي الأجزاء النابتة من الفضول والحرام ، ويثبت الأنوار في القلوب ، والملائكة يستغفرون للعبد إذا لزمه ، والبقاع والجبال تتباهى به إذا مرّ بها ، وهو شيمة المؤمن ، وله لذَّة أجلُّ من لذة المطعومات والمشروبات ، ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نوراً ونضرة ، وفي الآخرة يكون وجهه أشد بياضاً من القمر وهو يرفع إلى أعلى الدرجات ، والذاكر حيّ وإن مات ، والغافل ميت وإن كان حياً ! ويورث الريّ من العطش عند الموت قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وقال ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ وقال ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ وقال ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ ﴾ . إلى قوله ﴿ وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

روى البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى . قال : « ذكر الله » .

وروى ابن حبّان والإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً : « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « إن الله عز وجل قال : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه » انتهى ١٦٣ ج١ .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى ؛ لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكره . وقد اختلى مريد سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت لها كرامة ، فذكر ذلك لشيخه ! فقال : أتريد كرامة أعظم من مجالسة الله تعالى ؟ ! ثم قال : ما رأيت أكثر حجاباً منك ، لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بِها ! ! انتهى .

وقال القشيري : الذكر ركن قوي في طريق الحق ، بل هو العمدة في ذلك ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في حال سلوكه .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ، ومن سلب الذكر عزل ، **وذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين** يقاتلون به أعداءهم[1] ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وإن البلاء إذا أضل العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد[2] عنه في الحال كل ما يكرهه .

وقال ذو النون المصري : من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنبه كل شيء ، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : أليس الله تعالى يقول : « أنا جليس مَن ذكرني » ما استفدتم من مجالسة الحق ؟ !

ومن **خصائص الذكر** : أنه غير موقت ، بل ما من وقت من الأوقات

---

(١) من النفس والشيطان والهوى . « البروج المشيدة » .

(٢) أي : يتنحى ويبعد ، راجع « المصباح » .

إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى فيه إما فرضاً وإما نفلاً ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فلا تجوز في بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ .

ومن **خصائص الذكر** : أنه جعل في مقابلته الذكر ، قال الله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

ونقل القشيري : أن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه .

وروى السهروردي أن النبي ﷺ قال حاكياً عن ربه « إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همَّه ولذَّته في ذكري فإذا جعلت همَّه ولذَّته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه ؛ لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال الأبدال حقاً ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرفته عنهم » . انتهى « رماح » ١٦٤ وفيه : ١٦٥ .

وقال أبو سليمان الداراني : إن في الجنة قيعاناً[١] فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار ، فربما يقف بعض الملائكة فيقال له : لم وقفت ؟ فيقول : فتر صاحبي .

وقال الحكيم الترمذي : ذكر الله يرطب القلب ويلينه ، فإذا خلا عن القلب أصابته حزازة النفس ونار الشهوات فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة انتهى .

أيها الولد المرجو هداك الله تعالى إلى سبيل التقوى وجنَّبَك عن متابعة الهوى إني اكتفيت في بيان فضائل الذكر بهذا القدر فأرجوك أن تلازمه بقدر الطاقة ، ولا سيما في الغدوّ والآصال ؛ لكن لا تظن أن المواظبة

---

(١) القاع : المستوى من الأرض ، والجمع أقوع وأقواع وقيعان « مختار » .

على الذكر صباحاً ومساءً مع الغفلة في طول الليل والنهار يحصل لك بها التراقى ، وتدبَّر فيما قاله مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما نصَّه : وقد يقنع بعض المريدين بمجلس الذكر صباحاً ومساء مع الغفلة عن الله تعالى فيما بينهما ، ويحتجُّ بحديث « إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له ما بينهما » إذ المغفرة لا ترقي فيها ونهايتها أن تُلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب ، لا أنه تُلحقه بمن يفعل الطاعات . فافهم . انتهى ١٦٦ ج١ .

واعلم يا ولدي إن إلحاق المذنب بمن لا يذنب دولة عظمى ؛ وإن كان الترقي إلى المقامات درجة أسمى ، فينبغي للعاقل أن يشتغل في هذين الوقتين بالخيرات ، ويشتغل فيهما بشيء من مكفرات الذنوب فعساه تصل إليه رشحة من البركات ؛

منها ما في « رماح حزب الرحيم » بِما لفظه : وأخرج ابن منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل بحراً من نور حوله ملائكة من نور على خيل من نور ؛ بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر : **سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح** . فمن قالها في يوم مرة أو في شهر مرة ، أو في سنة مرة ، أو في عمره مرة ، غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ، ومثل رمل عالج[1] ، أو فرَّ من الزحف » . انتهى في ١٦٥ ج٢ .

ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر الحشر ، فإن صاحبها

---

(١) عالج جبال متواصلة أعلاها بالدهناء ، والدهناء بقرب اليمامة وأسفلها بنجد ويتسع اتساعاً كثيراً . « مصباح » .

يغفر له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر .

وكذا من مكفرات الذنوب : الصلاةُ عليه ﷺ ثمانين مرة ليلة الجمعة ويومها بعد العصر ، فإن الثمانين التي في الليل تكفر ذنوب أربع مائة سنة ، وإن التي في النهار بعد العصر تكفر ذنوب ثمانين سنة . ومن مكفرات الذنوب : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ملء ماعلم ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم ، فإن المرة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى كذا في « الرماح » ٢٦٤ ج٢ .

وفيه في موضع آخر : وأما فضل (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) إلخ . فمن ذكره مرة واحدة يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ، ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار ، وينظر الله تعالى إليه ، ومَن نظر الله إليه لم يعذّبه ومحا عنه ذنوبه ، ويكون له غرساً في الجنة أيضاً ، وزوَّجه الله من الحور العين . انتهى فراجعه في ١٠٠ ج٢ .

تنبيه : اعلم أيها الولد قد وجدنا كثيراً من المريدين يتركون الأذكار الواردة خلف الصلوات المكتوبة معلّلين بما رأوه في الكتب من أن وظيفة المريد أن يواظب بما أمره به شيخه من الذكر لا اشتغال النوافل ، لكن والدك الحقير - سامحه الله من فرطاته آمين - يرى الخير في المواظبة على هذه الأذكار الواردة في دبر الصلوات لما فيها من الفضائل والمنافع ، ولو كان المريد لا يعطل أوقاته عن الأذكار الملقَّنة له إلا في وقت الاشتغال بهذه الدعوات والأذكار لارتقى إلى المقامات العلية ، لكنه يكون في أوقات كثيرة في الغفلات مشتغلاً بما لا يعنيه من الأقوال والأفعال الغير المرضيات ، فتفويت فضيلة الاتِّباع بدليل أنه مشتغل بالذكر الذي أمر به شيخه مع كونه في أودية الغفلة في أكثر الأوقات من علامة القصور والفتور والتعطيل ، ولذلك أوصي الولد بأن يواظب على هذه الأذكار

الواردة من سيّد الثقلين عليه الصلاة والسلام ولو بأقل ما ورد لئلا يبقى محروماً من فضائلها .

من ذلك ما ذكره الإمام العلامة السيد علوي بن أحمد السقاف شيخ السادات بمكة المكرمة في « الباقيات الصالحات والدروع السابقات » بما **نصه هذا** :

النوع الأول في جملة صالحة من أذكار المكتوبات وأدعيتها : **يُسَنُ الذكر والدعاء سراً عقبها بحيث لا يفحش الطول بينهما** ، بل بحيث ينسبان إليها عرفاً ، **ولا يضر الفصل بالراتبة** لكن الأفضل[1] لغير الحنفي تقديم الوارد منها على رواتب الفرائض البعدية إن كانت ، واتصال الذكر بسلام الفرائض ؛ وبتأخيرها عن ذلك يفوته كمال الفضيلة أما أصلها فلا يفوت ما دام الوقت ، وأما الحنفي ! ! فالأفضل في حقه تأخير الذكر عن راتبة إن كانت ، ويقتصر قبلها على نحو مقدار (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) وإذا صلى جمعاً أَخَّرَ ذِكْر الأولى إلى فراغ الثانية ، والأكمل أن يأتي لكل منهما بذكر **ويحصل أصل السنة ولو بغير مأثور ولكنه بالمأثور أفضل** فيقدم منه ما معناه أَجَلّ ، ثم الأصح ، ثم الأكثر رواية ، فإذا سَلَّم مسح جبهته بيده اليمنى وقال : أستغفر الله ثلاثاً . ثم : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً ، ويمسح بيمينه على رأسه ويقول : باسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، اللهم أذهب عني الهم والحزن ، ثم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم لا إله إلا الله وحده إلى قدير - من غير يحيي ويميت - اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله

---

(١) راجع « العود الوثيقة » (منه رحم الله إفلاسه) .

إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، ثم آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين ، ويسبِّح ويحمد ويكبر عشراً عشراً ؛ وهو الأقل ، **والأكمل ثلاثة وثلاثين في كلٍّ وتمام المائة : لا إله إلا الله** إلى **قدير - بلا يحي ويميت - والأحسن كون التكبير أربعاً وثلاثين** ، ثم ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن له حق علي (خمساً)[1] ، ويزيد بعد الصبح : اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل ، اللهم إني أسألك علماً نافعاً وعملاً مقبولاً ورزقاً طيباً ، **وبعده وبعد المغرب :** اللهم أجرني من النار (سبعاً) . **وبعدهما وبعد العصر بل بعد جميع المكتوبات** - كما في « الجامع الصغير » وأقرّه المناوي قبل أن يثني رجليه ؛ بأن يبقى على هيئته في الصلاة وقبل أن يتكلم بغير ذكر ودعاء وقرآن : لا إله إلا الله إلى قدير بزيادة يحيي ويميت (عشراً) ، **ويفوت ذلك وغيره من المشروط بما ذكر بالقيام ؛** ولو لصلاة[2] جنازة . كذا في « بشرى الكريم » . وفي « بشرى الأعلام » لشيخنا الأهدل

---

(١) أي : لِما في خلاصة التحصين للإمام الفاكهي : إنه ورد في ذلك أحاديث . انتهى (منه) .

* لأن الاتّباع أي : اتّباع رسول الله ﷺ يربو ويكثر ثوابه عن ثواب الكثرة والمشقة كما في ابن حجر من صلاة النفل . « فتاوى » . وعبارة ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » ، لأن في زيادة الاتباع ما يربو على زيادة العمل كما صرحوا به . ومن ثم قال ابن عبد السلام قد يكون قليل العمل البدني وخفيفه أكثر من كثيره وثقيله ، كتفضيل القصر على الإتمام ، وصلاة الصبح على سائر الصلوات عند من يراها الوسطى ولو كان الثواب على قدر النصب لما كان الأمر كذلك ، ولما فضلت ركعة الوتر على ركعتي الفجر . انتهى (منه) .

(٢) ورأيت في « بغية المسترشدين » ما نصّه هذا : ولا تفوت سنة المسبعات والأذكار المأثورة عقب صلاة الجمعة بكلام أو انتقال ، نعم يفوت ثوابها المخصوص ولو بجعل يمينه للقوم ، كما نقله الكردي عن ابن حجر ، وقال : وقال بعضهم : لا يفوت الثواب بل بكماله . انتهى « فتاوى سودان » انتهى فراجعه في ٧٧ . والسلام على من اتبع الهدى (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

نقلاً عن المناوي : عدم الفوات بها .

ولو زاد في المشروع على قدر الوارد ! فإن كان لنحو شك عُذِرَ ، وإلا فلا يحصل الثواب المترتب عليه . وقال كثيرون يحصل ثواب المشروع وثواب الزيادة .

ثم يدعو الله تعالى بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، وبمأثوره أولى وهو ما أورده العامري في « بهجته » قال : كان عليه الصلاة والسلام يقول دبر المكتوبات : « اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم أذهب عني الهمَّ والحزن ، اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها ، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنّه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت ، اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . انتهى . وذكر مثله ؛ بل عينه في « ترشيح المستفيدين » بعينه .

ومما ينبغي أن يذكر هنا ما ذكره العلامة[1] السيد محمد ابن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بالمرتضى قدس سره في « إتحاف السادة المتقين » شرح « الإحياء » بما لفظه :

تنبيه : قال شمس الأئمة الحلواني من أصحابنا : لا بأس بقراءة الأوراد بين الفريضة والسنة . قال ابن الهمام في معنى هذا الكلام : وإنما قال : لا بأس لأن المشهور من هذه العبارة استعمالها فيما يكون خلافهُ

(١) فذلك العلامة من الحنفية .

أولى منه ، فكان معناها أن الأولى أن لا يقرأ الأوراد قبل السنة ، فلو فعل لا بأس به فلا تسقط بقراءته ذلك ، حتى إذا صلاها بعد الأوراد تقع سنة مؤدَّاة لا على وجه السنة . انتهى .

وقال في « الاختيار شرح المختار » : كل صلاة بعدها سنّة يكره القعود بعدها والدعاء ، بل يشتغل بالسنة ، وأورد حديث عائشة السابق ذكره[1] ثم قال : أي فيندب الفصل بهذا لهذا . انتهى . قال ابن الهمام : فمن ادَّعى فصلاً أكثر مما ذكر في حديث عائشة فلينقله ، ولا يقتضي الأكثر ما ورد من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلخ . والحديث الوارد في الأمر لفقراء المهاجرين بالتسبيح وأخواته دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين إلى غير ذلك ، لأنه لا يقتضي وصل هذه الأذكار بالفرض ، بل كونها عقب السنة من غير اشتغال بما ليس من توابع الصلاة ، فصحَّ كونها دبرها . ثم قال ابن الهمام **والحاصل** : أنه لم يثبت عنه عليه الصلاة و السلام الفصل بالأذكار التي يواظَب عليها في المساجد في عصرنا من قراءة آية الكرسي والتسبيح وأخواته ثلاثاً وثلاثين وغيرها ، بل ندب هو إليها ، والقدر المتحقق أن كلاً من السنن والأوراد له نسبة إلى الفرائض بالتبعيّة ، والذي ثبت عنه وهو ما روته عائشة عند مسلم والترمذي وتقدّم ذكره قال : فهو نص صريح في المراد ، وما يتخايل منه أنه يخالفه ! لم يقوَ قوَّته فوجب اتِّباع هذا النص .

واعلم أن المذكور في حديث عائشة هذا لا يستلزم سنية هذا اللفظ بعينه دبر كل صلاة إذ لم تقل (حتى يقول) ! و(إلا أن يقول) ، فيجوز كونه ﷺ كان مرة يقوله ومرة يقول غيره من قوله : لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلخ . . ومقتضى العبارة حينئذٍ أن السنة أن يفصل بين الفرض والسنة

---

(١) وهو أنّه ﷺ لم يكن يقعد إلاّ مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، راجعه .

بذكر قدر ذلك ؛ وذلك تقريباً ، فقد يزيد قليلاً وقد ينقص قليلاً وقد يدرج وقد يترسَّل ، فأما ما يزيد مثل آية الكرسي وعدد التسبيحات فينبغي استنان تأخيرها عن السنة البتة ، على أن ثبوت مواظبته ﷺ لا أعلمه ، بل الثابت عنه ندبه إلى ذلك ، ولا يلزم من ندبه إلى شيء مواظبته عليه ، وإلا لم يفرق حينئذ بين السنة والمندوب ! !

وعندي قول الحلواني حكم آخر لا يعارض القولين يفيد عدم سقوط السنة بقراءة الأوراد بين الفرض والسنة فقط . انتهى .

تنبيه آخر : قال نجيم من علمائنا في « البحر » : **إذا تكلم بكلام كثير أو أكل أو شرب بين الفرض والسنة نقص ثواب السنة ولا تبطل هو الأصح** ، ولذا لو أخَّر السنة بعد الفرض ثم أداها في آخر الوقت لا تكون سنة ، وقيل : تكون سنة والأفضل في السنن أداؤها في المنزل إلا التراويح ، وقيل : إن الفضيلة لا تختص بوجه دون وجه وهو الأصح ، ولكن كلما كان أبعد من الرياء وأجمع للخشوع والإخلاص هو الأفضل . كذا في « النهاية » انتهى كلام صاحب « الإتحاف » فراجعه في ٢٠٩ من الجزء الثالث وقال صاحب « ترشيح المستفيدين » بعد ذكره ما ورد من الأذكار في دبر الصلوات المكتوبات :

واعلم أن كل محل طلب فيه ذكر بخصوصه فالاشتغال به أولى من غيره ولو من قرآن أو مأثور آخر ، كما في « ق ل » على المحلي ، فاشتغال أقوام بأحزاب ونحوها بعد المكتوبات عن واردها جهل بفضائل الاتِّباع وأسرار التوقيفات النبوية ﴿ **وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ انتهى ٧٤ .

قال صاحب « فتح المعين » : وقال الشافعي في « الأم » : **أختار للإمام والمأموم أن يذكرا الله تعالى بعد السلام من الصلاة ويخفيا**

الذكر إلا أن يكون إماماً يريد أن يُتعلَّم منه فيجهر؛ حتى يرى أنه قد تُعلِّم منه، ثم يُسِرّ فإن الله تعالى يقول ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني والله أعلم[1] الدعاء ولا تجهر حتى تسمع غيرك ولا تخافت حتى لا تسمع نفسك. انتهى.

فائدة: قال شيخنا: **أما المبالغة في الجهر بهما في المساجد بحيث يحصل تشويش على مصلٍّ فينبغي حرمتها**. انتهى. راجعه في ٧٤ من هامش «الترشيح».

ومن الفوائد الجليلة ما في حديث ابن عباس رضي الله عنه عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام: إن ربك يقول: مَن قال دُبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نَفَس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض و كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ إلى ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلى فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك. انتهى. كذا نقله صاحب «ذخيرة المعاد» فراجعه في ٨٦ من هامش «عقد اليواقيت» من الجزء الأول. ومثله بل عينه في «تنوير الصدر».

ثم قال صاحب «الذخيرة»: وقد وقع السؤال عن قوله (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس)... إلى آخره ما المراد منه؟ فأجبت أن المراد تكثير المضاعفة والتحصين بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذر حصرها، ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر

---

(١) أي: أن المراد من الصلاة الدعاء إلخ.

لها تقدير في الزمن ، فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ وما فيها من الثواب من كل ما ورد واختصت به مما علم وما لم يعلم يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن ، لتشتمل الإحاطة والتحصُّن والحفظ والثواب العظيم ، فيكون ذلك معدوداً ومعدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات . انتهى ٨٦ .

ومنها ما في الحديث الصحيح : « خصلتان لا يحافظ عليهما عبد إلا دخل الجنة ، ألا وهما يسيرٌ ، ومَن يعمل بهما قليلٌ يسبح الله تعالى في دبر كل صلاة عشراً ويحمده عشراً ويكبره عشراً وذلك خمسون ومائة[1] باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان ، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا دخل مضجعه ، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان ، فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة ؟ » حم خد عن أبى عمر . كذا ذكره جلال الدين السيوطي في « الجامع الصغير » وراجع « السراج المنير » في ٢٢٩ من الجزء الثاني .

وأما فضل (لا إله إلا الله وحده) إلخ . . فقد روى الترمذي – واللفظ له وقال حسن صحيح – مرفوعاً : « مَن قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات) كتب الله له عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم يتبع بذنب يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى » وزاد فيه النسائي : بيده الخير . وزاد في رواية أخرى : وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة . وزاد في رواية أخرى له « ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر أُعطيَ مثل

---

(١) أي : في كل يوم بمجموع الصلوات الخمس .

ذلك في ليلته » . كذا ذكره الشعراني في « لواقح الأنوار » فراجعه في ٩٧ من هامش المنن ج١ .

وفيه أيضاً : وروى النسائي والترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير على أثر المغرب بعث الله تعالى له ملائكة مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح وكتب له بها عشر حسنات موجبات ، ومحى عنه عشر سيئات موبقات وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات » . انتهى .

فأرجوك يا ولدي أن تسعى بجهدك في حوز هذه الفضائل ، وإياك ثم إياك والغفلة بالكلية فإنها من أعظم الذنوب عند أهل الله ، فإن كنت في شكّ من ذلك فتدبر فيما أتلو عليك من المثال لعلك تصدِّق قولي : فلو فرضنا ملكاً له جمال باهر وسمت حسن وعلم وعقل وغنى ومال ، وقد عشقت عليه النساء كلهن ، ويذكرنه آناء الليل والنهار لا يفترن عن ذكره بألسنتهنَّ وعن فكره بقلوبهن ، ومع ذلك لو كانت له زوجة تغفل عنه ولا تذكره بل تنظر إلى كل من رأته من الشبان وتعشقهم ، ألا يكون سعي تلك الزوجة جريمة عظيمة عند الملك ؟ بلى والله و تصير مستحقة للطرد والقتل . وهكذا إن الله تعالى غيور لا يحب أن يَرى في قلب عبده غيره وقد قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ . الآية فإذا كان كل شيء حتى الجمادات تذكر الله تعالى دائماً مع عدم كونِها مكلّفة بالعبادة والطاعة بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ وكان عبده الذي أمره بذكره وعدم غفلته عنه بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في غفلة عنه تعالى .

فقد استحق أن يعدَّه من جملة المذنبين ، وقد كان والدك الحقير - غَفر الله له آمين - في تحيُّر لا يدرك حقيقة كون الغفلة من الذنوب مع كون الإنسان لا يخلو منها بطبعه ، بيد أنه قد كشف الله تعالى له بفضله وكرمه في حالة كونه في سلطان الذكر وحصل له الشهود بالذوق بأن جميع الأشياء تذكر الله وتسبّحه بحمده وكان وقتئذ يسمع أصوات أذكار الجمادات كصوت النهر الجاري وكأصوات النحول في الهواء فعلم بعد ذلك أن كون الغفلة من أعظم الذنوب هو عند أهل الكشف والشهود ، وإن كان أهل الفتور لا يعرفون ما هنالك ! فصغائر الأبرار كبائر المقربين . فتيقّظ يا ولدي من سِنَة الغفلة . **واعلم** أن جميع العبادات إنما شرعت ؛ لتحصيل وجهة القلب إلى الله وحضوره معه تعالى .

وقد قال شيخنا سيف الله قدس سره ما معناه : أنه لا يساويه الدنيا[1] والآخرة . انتهى . يعني أن أجر الحضور والذكر القلبي أعلى وأرفع مما في الدارين ، ألا وهو المشاهدة والوصول عند مليك مقتدر . أذاقنا الله تعالى وجميع أحبابنا حلاوة هذه المشاهدة والمواصلة آمين .

ولأجل ما ذكر **أوصيك يا ولدي** بالاشتغال على ما يجلب به الحضور وقت الذكر ، فإن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر ، والحضور لا يمكن إلا بمعرفة معاني الأذكار ؛ وهو[2] روح[3] الأعمال ، فاحتياج الذاكر إلى معرفة معاني ما يذكر إذاً أمر ضروري لا محالة ،

---

(١) ونقل قدس سره أيضاً في « كنز المعارف » عن « الرسالة المدنية » بأن ذكر القلب لا يعدل عليه شيء ، انتهى فراجعه .

(٢) أي لو خلت جميع الأعمال والعبادات عن الحضور فهي كصورة بلا روح ، فافهم (منه) .

(٣) وسيأتي بعيد الخاتمة ما ينبغي مراجعته .

راجع « رماح » في ١٠٧ ج٢ . والفيوضات الربانية غير منقطعة في ليل أو نهار ، والمانع من إحساسها ووصولها هو الغفلة وعدم التوجُّه إلى نقطة القلب ، ومن المعلوم أن المطر ؛ وإن كان ينزل دائماً لا يصل منه ولو قطرة إلى من وقف تحت السقوف ، وكذا الشمس وإن كان نورها منتشراً في أقطار الأرض لا يصل إلى دار ليس فيه كوة ، وكذلك لا يصل الفيض إلى قلب قد طبق عليه سقف الغفلة ، **فإن للقلب بابيْن باب من جهة الفوق يفتح إذا توجَّه إليه بالحضور ويصل إليه الفيض والنور والبركة** ، وباب من جهته السفلى ينفتح بالغفلة ويجد الشيطان إليه حينئذ سبيلاً . **فافهم يا ولدي** وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وأيضاً إن القلب كبلدة بين عسكرين متحاربين ؛ عسكر الملائكة وعسكر الشياطين ، فمتى غفل السالك يظلم القلب فيتبادر إليه عسكر الشياطين فيفتحونه ويجعلونه مسكناً لهم ومعششاً ، وإذا حضر يحصل للقلب نور فيتبادر إليه الملائكة فيفتحونه وحينئذ يصير القلب محلاً لنزول الفيوضات ومهبطاً لوصول الأسرار والبركات ، فلذلك يجب عليك يا ولدي ملازمتك على الوقوف القلبي ليحترز قلبك من نزول الشياطين ، فهذا هو الجهاد الأكبر ، الذي لا آخر له إلا الموت . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا وجعلنا من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان . آمين .

الترغيب الخامس

في بيان فضيلة لفظة الجلالة الله

اعلم يا ولدي - جعل الله تعالى مسماك مطابقاً باسمك آمين - أن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن قدس سره كان يأمرنا بتكثير لفظة الجلالة وتكريره بالقلب لا باللسان في كل وقت وفي كل حال ، فامتثالاً بأمره كنا نجتهد في المداومة على الحضور ، وطرد الغفلة والفتور ، قياماً وقعوداً وعلى الجنوب كما قال الله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ** ﴾ . . . الآية وقد فُسِّرت أي : على كل حال ، **وقد رأيت في مريديه من زالت من إصبعه السبابة قطعة من الظفر والجلد على قدر حبة السبحة**[١] ، ورأيت بعضهم قد تورَّم إصبعه بكثرة طرح حبات السبحة وتكرار حركة الإصبع ، وقد حصل لهم الحضور[٢] بحيث لا يشغلهم الخلق عن الحق والحق عن الخلق ؛ فصاروا بذلك عرشيين فرشيين كائنين بائنين ، وهكذا يجب على السالك أن يلازم الذكر حتى يصير ذا حضور بحيث لا يغفل عن الله تعالى إلا في أوقات نادرة ، فكن أنت يا ولدي من أهل هذا المقام الرفيع الشأن العظيم البرهان الذي ليس فوقه كرامة أعظم منه ، ولا أعزّ ولا أرفع منه .

وقد قال واحد من الأكابر - حين قيل له : ما الكمال عندك ؟ - : أن تكون مع الحق في الباطن مع كونك مع الخلق في الظاهر . أو ما هذا معناه ، وقد قيل : للإمام النقشبندي : ماذا طريقك ؟ فقال : الخلوة في الجلوة .

فإذا فهمت هذا ينبغي لك أن تدوم على تكرار لفظة الله الله الله[٣]

---

(١) جُمَلْ (هامش الأصل) .

(٢) بسبب دوامهم على الذكر (منه) .

(٣) وسئل عن قول القائل في مجلس الذكر الله الله في حال صحوه من استغراق هل=

بالقلب حتى في الخلاء ووقت الجماع ، **فليس في الأذكار أعظم نفعاً في جلب الحضور وطرد الغفلة من ذكر الاسم الله ؛** لأنه لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم كما بيّنه الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » وقد فُسِّرَ لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي : كرروا هذا الاسم كثيراً ، ولقوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم الله كما هو مذكور فيه ، وقد اتخذه الأكابر ورداً ؛ لأنه يصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار كما سيأتي ، وهو أول ما يلقِّنه النقشبنديون للمريد المستعد ؛ وهو عندهم بالقلب .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما معناه : إن ذكر لفظة « الله » يكون في هذا الطريق يعني النقشبندية مناسباً في الابتداء ، ثم يستعمل بعده النفي والإثبات ، عكس سائر[1] الطرق ، ورأيت في « شموس الأنوار » أنه هو الاسم الأعظم على الأصح .

وفيه : أنه هو ذكر القطب من أهل الدائرة الربانية . انتهى . وقد ذكرنا كلاماً كثيراً في حقه في « تنبيه السالكين » فراجعه في الباب الرابع عشر تجد البسط التام .

وقال الشعراني قدس سره في « لطائف المنن الكبرى » : ومما منَّ

=يسمى ذكراً أو لا وإذا قلتم بأنه لا يسمى ذكراً هل يثاب عليه أم لا فأجاب بأنه لا يسمى ذكراً عرفاً* لعدم إفادته لكنه يثاب لقصد الذكر كما أن ذا الحدث الأكبر آثم بنطقه بحرف واحد من القرآن بقصد القراءة لأنه نوى معصية وشرع فيها وإن لم يسم قارئاً « فتاوى الرملي » عبارته ٣٥٧ من هامش « الفتاوى » لابن حجر ج٤ .

* ولكن الإمام الرباني قدس سره قال : الذكر عبارة عن طرد الغفلة . والقول بأنه لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ممنوع . راجع « الحدائق الوردية » و« الرحمة هابطة » ، والسلام .

(١) كما هو مبسوط في « مكتوباته » في ٣٧ .

الله تبارك وتعالى به عليّ مواظبتي أوائل دخولي في محبة[1] طريق القوم على ذكر الله تبارك وتعالى **بلفظ الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة ؛ عدد الأنفاس الواقعة في الثلاثمائة وستين درجة** ، وكنت أذكرها تارة في مجلس واحد ، وتارة في مجالس على نية أن الله تبارك وتعالى يبسطها على جميع الأنفاس الواقعة في الليل والنهار ؛ ليكون حكمي إن شاء الله تعالى حكمَ من لم يغفل عن الله عز وجل نَفَساً واحداً ، ولم أزل على ذلك حتى استحكمَ فيَّ الحضور مع الله تبارك وتعالى في أكثر أوقاتي ، فكانت لي كالمادة يستمد الإنسان منها المراقبة لله عز وجل والحضور معه تبارك وتعالى طول عمره ، **فإن الذكر باللسان وسيلة لحضور القلب** ؛ لأنه يجلي القلب من الظلمات والأدناس والرعونات[2] المانعة من دخول حضرة الله تبارك وتعالى ، فإذا انجلى القلب كذلك صار ليلاً ونهاراً يستحضر في نفسه أنه بين يدي الله جل وعلا والله تبارك وتعالى ناظر إليه ، **فهذا هو الذكر الحقيقي الذي تصل إليه الفقراء في سلوكهم بالذكر والخلوة والرياضة ، فلا يحتاجون بعد ذلك إلى ذكر اللسان** ؛ إنما ذكرهم به تطوّع ليزيِّنوا جوارحهم الظاهرة بالذكر ، أو ليقتدوا[3] بهم المريدون ، وإلا **فَمَن كان يستحضر دائماً أن الله يراه فمن أدبه الصُمْتُ والهَمْس**[4] ، قال تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ أي : من شدة الهيبة والحضور مع الله تبارك وتعالى ، فعلم أن مَن لم يحصل له مادة الحضور مع الله تعالى كما ذكرنا فلا يقدر على تكليف نفسه الحضور على الدوام إنما هو تارة وتارة ، بخلاف من حصل له المادة ، فإنه لا يتكلَّف للحضور كما أنه

---

(١) وفي نسخة : في محبتي .

(٢) الرعونة الحمق والاسترخاء ، ورجل أرعن ، وامرأة رعنآء ، بيّنا الرعونه « مختار » .

(٣) وفي نسخة : وليقتدي بهم .

(٤) الهمس : الصوت الخفي ، وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم « مختار » .

لا يتكلَّف لدخول النَّفَس وخروجه .

وقد أرشدت الأخ الشيخ يوسف الطهواني إلى هذا الذكر لما طلب مني الإرشاد ، وذكر أنه حصل له أمارة **الفتح وهو رسم الجلالة بالنور في مَحل تصوره وحضوره ،** ثم انتشر من الجلالة نور تتلألأ الأفق أو أكثر من غير وجود شيء آخر معه ، هذا وهو ملاحِظ للجلالة بعين الروح مع التلاوة لها باللسان حتى يتمكَّن تمكّن الرجال وتنتفي عنه الخواطر والأكدار ؛ **إذ الجلالة مصقلة تصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار** . انتهى فراجعه في ٢٧٣ من الجزء الأول ففيه أزيد من هذا .

وحديث « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله » انتهى ، يشعر جلالة قدر هذا الاسم الأعظم ، لأنه لولا أن قدر هذا الاسم عظيماً لَمَّا حفظ الله تعالى العالم من الزوال بمن يذكر به فافهم .

ومن الفوائد أن مَن ذكره سبعين ألف مرة في موضع خال عن الأصوات لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه . انتهى كذا في « إعانة الطالبين » في : ٦ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » : ومن كتب لفظة الجلالة أي : اسم « الله » ستّاً وستين مرة على كأس نظيف ثم يسقيه شفاه الله تعالى من أي مرض كان . انتهى عبارته ٨٧ .

وفي « الحدائق الوردية » ما حاصله : أن الذكر الخفي وهو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نَفَس الاسم الأعظم الله الله فقط ، بدون ملاحظة أن الاسم الأعظم مبتدأ محذوف الخبر أو منادى بحرف نداء مقدّر أو غير ذلك ، وهو ذكر جليل له شأن عظيم في تنوير قلب السالك وطي منازل السلوك ، **وهو أفضل من الجهري بمراحل** . انتهى عبارته ٢٩٠ .

يا ولدي أوصيك بأن تلازم على هذا الذكر متى استطعت .

فكيفيته : أن تتوجه إلى القلب وأن تجري الاسم المبارك الله عليه[1] ، ولا تحرك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد إلا الإصبع الذي تجرُّ السبحة ، واقعد متوجهاً إلى القلب بالكلية ، ولا تخيل صورة القلب بالقوة المتخيلة أصلاً ، ولا تلتفت إليها قطعاً ، فإن المقصود التوجه إلى القلب لا تصور صورته ، **ولاحظ معنى اللفظ المبارك « الله » بِليس كمثله شيء** ، ولا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية . هذا ملخص ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه ، راجعه في ١٦١ ج١ .

يا ولدي إن الوقوف القلبي بمعنى الملاحظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف ، بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال حتى في الحمام ووقت القربان ، وحتى في الكنيف ، وفي الخلوة والجلوة ، **ولكن عند الناس بفتح العين ستراً للحال مع عدم خلوّ البال** ، وهذا المعنى يحصل أولاً بالتكلف من الظاهر ، وبدون هذا المعنى الذكرُ قليل الجدوى ، بل لا يوصل إلى مقصود وهو غلبة المذكور واستيلاؤه ، وهي الذكر الحقيقي والمقصود الأصلي المعبّر عنها تارة بالفناء وتارة بالعبودية كما هو مذكور في « تبصرة المرشدين » ، فإذا تحرك القلب بالذكر وصار وصفاً لازماً بحيث لا يقدر على إسكانه يلقن الشيخ بهذا الذكر « الله » على لطيفة روح المريد ، ولقد كان شيخنا العسليّ قدس سره يقول : كان الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره يقول له : اترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن تنعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث يثقل لك حملها من قلب المريد انتهى .

وسمعته رضي الله تعالي عنه يقول : **إن الذكر القلبي يكفي لأهل ديارنا الداغستانية** . انتهى . مع أن الانتساب إلى النسبة العلية يكفيه فقط .

---

(١) بأن تفكر اللفظ في القلب أي تخيل جريانه فيه (منه) .

كما في « تبصرة المرشدين » ، ولأجل ذلك نترك كثيراً من المريدين المشتغلين بالحرف والصنائع على مجرد لطيفة القلب وذلك لهم أثر عظيم ، وفي الشغل بذلك نفع جسيم ، فكيف لا وقد ورد في الحديث « **الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً** »!! انتهى .

ورأيت في شرح « تائية السلوك » ما نصه : **فرب ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب** . انتهى . فما أعظم هذه المنفعة التي هو المقصود من هذا الطريق !

وقد قال في « الرشحات » : **إن المقصود من هذا الطريق في اعتقادي كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً .** انتهى عبارته ٢٠٢ .

فائدة مهمة غفل عنها أكثر المريدين

رأيت في « الرشحات » ما نصُّه : ينبغي أن يرى العمل محبوباً دون الحضور والجمعية فإنهما من المواهب وعزيزي الوجود وليسا تحت الاختيار وفقدانهما موجب للكسل والفتور ، **بخلاف العمل فإنه من المكاسب وتحت الاختيار والمواظبة عليه موجبة للجمعية والحضور** ، فإن الفتور متطرق إلى الجمعية والحضور وذلك واقع بالخاصية . انتهى عبارته ٢٠٢ .

ولقد وجدنا كثيراً من المريدين يطلبون الأحوال ويريدون علم حركة القلب وارتعاشه وحصول الذوق واللذة في الذكر وظهور الأشياء في النظر ، لكن الإمام الرباني قال : إنه[1] داخل في اللعب واللهو ، **بل كلما توجد المشقة في الذكر يكون أفضل وأنفع** . انتهى . من « مكتوباته » في ١٤ ج٣ .

---

(١) أي طلب ذلك .

فينبغي للمريد أن يعلم أن علم الأحوال لا يعطى لكل أحد ، فمن المريدين من يعلم ، ومنهم من لا يعلم ، **وعدم علم الأحوال لا يضر في شيء ، بل العدم المحض أسنى الأحوال** كما قال به شيخنا سيف الله قدس سره . وقد قيل : إن طالب الأحوال ليس بطالب للحق تعالى . وقيل : مقصودك[١] معبودك .

وإذا علمت هذا فاللازم عليك يا ولدي أن تذكر الله تعالى ، لمجرد امتثال أمر الله تعالى لا طلباً للعوض ولا للغرض ، وكل شغل من أشغال الطريقة كالرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ينبغي لك أن تؤدي جميعها بملاحظة امتثال الأمر لا غير ، ففي جميعها ورد الأمر الإلهي ، قال تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[٢] وقال ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وقال ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ إلخ . . وقال ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ إلخ . . وقال ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إلخ .

واعلم يا ولدي أن ذرة واحدة مِن عبادة[٣] مَن أخلص عمله لله تعدل عبادة ألف سنة من عبادات أهل الأغراض الذين يقصدون بها الحظوظات النفسانية ، فالعاقل لا يضيِّعُ الجواهر النفيسة بجوز الأحوال الذي هو الثواب المعجل الذي ينقص به الثواب في الآخرة ، ولا ريب أنّ من علم الأحوال تلذَّذ بها ، **وكل من تلذَّذ بشيء في الدنيا ينقص الله تعالى له بقدره الثواب في العقبى**[٤] . والله ولي التوفيق .

وأما أقوال العلماء الربانيين في كون لفظة الجلالة ذكراً منفرداً

---

(١) يعنى إن كان مقصودك الأحوال فأنت عبد الأحوال ، فافهم (منه) .

(٢) هذا دليل الرابطة ، فافهم .

(٣) راجع « المنن » .

(٤) كما هو مذكور في « منهاج العابدين » (منه) .

فكثيرة ، وذكرُ الجميع عسير لكني أذكر هنا نبذة منها ، فقد قال صاحب « الرحمة الهابطة »[1] : وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وفي رواية « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله » فهذا الحديث مصرّح بأن الله الله من الأقوال التي تقال ، وأنه إذا انصرم الزمان لم يبق أحد يذكر الله بهذا القول وحينئذٍ تقوم الساعة . انتهى .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة : وعند ذلك يلقنه - أي يلقن الشيخ المريد- ذكراً من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس مثلاً ويقول : (الله الله) ، أو : (سبحان الله) أو ما يراه الشيخ من الكلمات . انتهى .

وفي حزب الإمام النووي : الله الله الله ربي لا أشرك به شيئاً ، الله الله الله ربي لا إله إلا الله . انتهى .

وفي الصلاة المشيشية : الله الله الله إن الذي فرض عليك القرآن . . إلخ والكلام على كونه اسماً مفرداً أو جملة كثيرٌ ، وقولُ بعضهم : (الذكر لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ، حتى يثاب عليه وإلا فلا) ممنوعٌ كما ذكره الخاني في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ .

وفي « الرحمة الهابطة » : وقال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه « أسرار التنزيل » : وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة (الله) فلهم فيه وجوه :

الحجة الأولى : أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب .

الحجة الثانية : أن مَن قال لا إله إلا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي

---

(١) راجعه في ٢٠٠ من هامش « الدرر » ج١ .

لا يجد من المهلة ما يصل منه إلى الإثبات! وحينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات! وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار.

الحجة الثالثة: أن المواصلة على هذه الكلمة متشعبة بتعظيم الحق، والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار، وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد، فمن قال: لا إله إلا الله فهو مشتغل بغير الحق، ومن قال: الله فهو مشتغل بالحق، فأين أحد المقامين من الآخر!!

الحجة الرابعة: أن نفي الشيء إنما يُحتاج إليه عند خَطَران ذلك بالبال، وخطور شريك نقصان في الحال، فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نكلفهم بنفي الشريك، بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا في خيالهم إلا ذكر الله، فلا جرم يكفيهم أن يقولوا (الله).

الحجة الخامسة: قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ فأمره بذكره ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم، والقول بالشريك من الأباطيل ففيه خوض في ذلك الكلام وكان الأولى الاقتصار على قولنا «الله». انتهى راجعه في ٢٠٢ من هامش الدرر ج١.

وقال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابه «الكبريت الأحمر»: العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الأنفاس[1] مع الله، ويكون دخولها

---

(١) وإجماع العارفين على هذا، وهو صحيح ومعناه ظاهر وهو مقام الكمل، وما ذكره النووي أن الأفضل الذكر باللسان والقلب جميعاً فهو مقام دون هذا المقام كما صرحه الإمام الرملي في «فتاواه»، فراجعه في ٣٦٢ من هامش «الفتاوى الكبرى» لابن حجر من الجزء الرابع ففيه زيادة. وهذه بشارة عظيمة للنقشبنديين فإن بدايتهم نهاية سائر الطرق. ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة والسلام «منه رحم الله إفلاسه آمين».

وخروجها بذكر الجلالة وهو قولك (الله الله) و (لا إله إلا الله) وهو الذكر الخفي الذي لا تتحرك به الشفتان . انتهى « الرحمة الهابطة » عبارته ٢٠٧ .

وفيه : أن رجلاً سأل الشبلي : لِمَ تقول (الله) ولا تقول (لا إله إلا الله) ؟ فقال : إن الصديق أعطى ماله فلم يبق معه شيء ، فتخلل الكساء بين يدي النبي ﷺ فقال له : « وما خليت لعيالك ؟ » فقال : الله . فكذلك أنا أقول الله . فقال السائل أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : أخاف أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ فقام السائل ، فزعَق[1] زعقة ، فقال الشبلي : الله . فزعَق ثانياً . فقال الشبلي : الله . فزعق ثالثاً ومات ، فاجتمع أقارب الفتى وتعلَّقوا بالشبلي وادّعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فدخلوا عليه وادّعوا الدم ، فقال الخليفة للشبلي : ما جوابك ؟ فقال : روحُ حنَّت[2] فرنَّت[3] وسمّت[4] فصاحت ، ودعيت فسمعت ، فَعلِمَتْ فأجابت ،

---

(١) صاح صيحة « منجد » .

(٢) عطف الله قلبه « منجد » .

(٣) رفع صوته بالبكاء (منه) .

(٤) حسن الخلق (منه) .

*وأخرج البخارى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » . انتهى . وأخرج ابن ماجه عن أم هانئ قالت قال رسول الله ﷺ « لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » « خزينة » عبارته ١٨٤ .

فما ذنبي ! فصاح الخليفة : خلّوا سبيله . انتهى عبارته ٢١٠ .

يا ولدي إن أردت أن تعلم أزيد من هذا فراجع « الرحمة الهابطة » ففيه البسط الزائد ، ولم أذكره هنا خوفاً من الإطالة والسآمة ، فعليك الاشتغال بذكر هذا الاسم الأعظم الذي حصل به الفضل لـ(لا إله إلا الله) فلو قالها مكلف ولم يتمها به عمداً كفر ، وأَعْرِضْ عمن أنكر وعن الحق استكبر ، وادع لوالديك واتق الله تعالى ما استطعت ، ولازم العلم النافع ودع الناس جانباً ولا تكن من الغافلين . وفقك الله تعالى لاتباع السنة واجتناب البدعة . آمين .

ولم أذكر سائر اللطائف اكتفاءً بما في كتب النقشبنديين ، ويكفي للمشتغل بذكر اللطائف نفعاً حفظُه من زوال الإيمان كما هو مذكور في هامش « المناقب الأحمدية » . ورفع الحجب السبعين ألفاً ، بكل لطيفة عشرة آلاف حجاب ؛ كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » في ١١٦ فراجعهما .

الترغيب السادس

في بيان فضائل (لا إله إلا الله)

قال الشيخ أحمد بن زيني دحلان رحمه الله تعالى في « تقريب الأصول » في ١١٦ : وعن محمد بن علي الترمذي قال : يأتي العبد يوم القيامة فلا يجد لا إله إلا الله في الميزان فيقول : يا رب لا أجدها في ميزاني ! فيقال له : لا يسعها الميزان ولا تسعها السماوات ولا الأرض ، بدليل قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده تملأ ما بين السماء والأرض والحمد لله تملأ الميزان » فإذا امتلأ الميزان « بالحمد لله » لم يسع ما بعدها ، وما من عبد يقبض إلا شخصت له ملائكة السماوات والأرض تنظر بماذا يختم له ، فإذا قبض على الإيمان فرحوا . قال ابن عطاء الله : وكيف لا يفرحون وقد قال تعالى ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ؟ أتحسب أنك إذا قلت لا إله إلا الله تفرغ أو تنقضي آثارها ! ! كلا ، ومثال ذلك كالنجار يعمل الباب ويفرغ منه ويبقى بعد موته دهراً طويلاً فقوة الذكر ، على حسب الذاكر فإن كانت همته قوية يتوجّه ذكره إلى الله ، **ليس الشأن لمن اتَّجَر لنفسه بل الشأن لمن اتجر الله له ،** لأنه يخلق من (لا إله إلا الله) ملائكة ثم يخلق من تلك الملائكة ملائكة آخرين .

قال ابن الصباغ : أعرف من يقول (لا إله إلا الله) فتخرج منها دائرة ثم يخرج من الدائرة ملك يقول لا إله إلا الله وعنى به نفسه ، ولا عبادة أنفع من الذكر ؛ لأنه يمكن المريض والشيخ الكبير الذي لا يستطيع القيام والركوع . انتهى عبارته .

ورأيت في « جواهر المعاني » أن الحروف اللفظية يوجد منها عالم الأرواح ، معناه أن كل كلمة تلفَّظ بها خلق منها ملك يسبّح الله تعالى ، فإن تكلم بكلمة من الخير خلق منها ملك رحمة ، وإن تكلم بكلمة شر خلق

منها ملك عذاب ، وكان من جملة ملائكة العذاب ، فإن قدر الله وتاب من تلك القولة خلعت على الملك الذي خلق منها خلعة وانقلب بها مَلَك رحمة . انتهى عبارته راجعه في ١٩٩ ج١ .

مهم في تطور الأعمال على صور الملائكة

وقد ذكر الشعراني كلاماً في حق تطور الأعمال في « مننه الكبرى » وقال بعد كلام في ذلك :

وسمعته رضي الله عنه - يعني شيخه علياً الخواص - مرة أخرى يقول : لا يكمل إيمان العبد الكمال المتعارف بين القوم حتى يصير يشهد تطور كل حرف يقوله من القرآن أو غيره ملكاً على صورة حاله فى الإخلاص أو الرياء من حسن أو قبح ، ولا يخلو ذلك من موافقته لأحكام الدين الخمسة ، فإن المندوب يقارب الواجب في الحسن ، والمكروه يقارب الحرام في القبح ، فالملك الحسن الصورة يصعد مستغفراً لمن نطق به ، والملك القبيح يصعد لاعناً من نطق به .

وسمعته يقول : إذا كمل جلاء قلب العبد من الشهوات المذمومة صار يرى تطور الآيات وهي صاعدة ، حتى أن بعضهم كان يسأل الآية إذا غلط فتردُّ عليه الآية الغَلْطَة .

قال الشيخ : وقد رأيت الآية مرة تطورت في صورة أبي قردان فردت عليّ الغلطة ، فقلت له : يا سيدي القرآن كلام الله تعالى فكيف قَبِل الصورة ؟ ! فقال : الذي تطور إنَّما هو تلاوتي لا المتلو . انتهى .

ويؤيد ذلك حديث « إذا قال العبد لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أبيض فيرفرف[1] تحت العرش فيقال له : اسكن . فيقول : وعزتك لا أسكن

---

(١) رفرف : الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه « مختار » .

حتى تغفر لقائلها » انتهى عبارته في ٢٣٠ ج٢ .

وقال بعيد هذا : وأخبرني الشيخ أحمد السروي أنه رأى الملائكة بأقلام من نور يكتبون كل حرف يلفظ به المصلّون على رسول الله ﷺ في صحيفة .

وقال لي مرة أخرى : رأيت مرة كل حرف نطق به العبد يتطور ملكاً يذكر الله تعالى بذلك الذكر ، ثم يتطور كل حرف من أذكار الملك ملكاً كذلك ، ثم يتطور من أملاك الدور الثالث ملائكة وهكذا ، فلو كشف للعبد لرأى الجو مملوءاً ملائكة من تطورات أفعاله وأقواله . انتهى عبارته في ٢٣١ .

فهذه المذكورات مما ينبغي للمريد أن ينصبها بين عينيه ولا ينساها ولا يغفل عنها ، وقد كتبتها هنا لكونها من أجلِّ المسائل التي غفل عنها أكثر الناس والله ولي التوفيق .

وقال الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » .

وأما خواصها[(١)] : فروي أن من قالها سبعين ألف مرة فداه الله تعالى من النار .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما قال أحد (لا إله إلا الله) مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر » .

وعن الصحابة : مَن قال (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه ومدَّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر .

ومن كان يخشى شيئاً فليقل بعد صلاة الصبح أستكفي كل شر بـ« لا

---

(١) أي لا إله إلا الله

إله إلا الله » مائة مرة فإنه يكفى ما يخاف .

ومن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة انشرح صدره وانبسط فكره وتيسَّر أمره وزال همه وانجلى كربه ، ولا يقع بصر أحد إلا أحبه .

ومن كتبها في جام بعدده ومحاه بماء وشربه على الفطور أحيا الله تعالى قلبه بنور الإيمان ، وفجَّر من صدره أنوار العرفان .

ومن داوم على شربه وقاه الله تعالى شر قساوة القلب ، وشرح باطنه لقبول الحقائق الإيمانية[1] والأسرار الروحانية .

ومن كتبها على خاتمه وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه رأى ما رآه في نومه بشرط العزلة والطهارة ، وهذا وَفقه .

٥٢	٥٥	٥٤
٥٧	٥٥	٥٤
٥٧	٥١	٥٨

وفي « المعارف » : إن من قالها ألف مرة على الطهارة في صبيحة كل يوم يسَّر الله له أسباب الرزق .

ومن قالها عند منامه ألفاً باتت روحه تحت العرش .

ومن قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن .

ومن قالها عند رؤية الهلال أَمِنَ من أسقام الأجسام .

ومن قالها عند دخول مدينة أمن من فتنتها .

ومن قالها بجمع فكره وأرسلها لظالم أو لجائر قطعته .

ومن قالها بقصد التطلع إلى العلويات كُشف له عن غيب ما قصده ولها خواص كثيرة وهذه نبذة ترغيب . انتهى عبارته ٣٣ .

---

(١) وفي نسخة : الحقائق الربانية .

وفي « النور الساطع » : ولا إله إلا الله رأس الذكر وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ، ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ورياضة النفس وتهذيبها ، ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب[1] نفوسهم . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » انتهى عبارته .

وفي « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به . قال : قل لا إله إلا لله . قال : يا رب كل عبادك يقولون لا إله إلا الله ! قال : قل لا إله إلا الله . قال : يا رب إنما أريد شيئاً تخصُّني به ! قال يا موسى : لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة[2] ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله » . انتهى عبارته .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « ما من عبد قال لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » . انتهى .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « يستخلص الله تعالى رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ، حتى إذا ظن أنه هالك أحضرت له بطاقة[3] فيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتوضع في كفة والسجلات في كفة ، فتطيش[4] السجلات وتثقل البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء » . وكان ﷺ يقول :

---

(١) التهذيب – التنقية ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق « مختار » .

(٢) الكف – واحدة الأكُف وكفة الميزان بكسر الكاف وفتحها والجمع كفف بكسر الكاف ، والكافة الجميع من الناس « مختار » .

(٣) البطاقة بالكسر رقيعة « مختار » .

(٤) الطيش – الخفة « مص » .

« لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » . انتهى عبارته فراجعه . من الخاتمة في الجزء الأول .

قال الشيخ في كتاب الوصايا في « الفتوحات » : إيّاكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه[١] ، وأطال في ذلك . ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك . والله تعالى أعلم . انتهى « يواقيت » عبارته ٤٦ ج١ .

ويؤيده قول الإمام الرازي رحمه الله : إن العبد يأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به . انتهى .

اعلم يا ولدي لما وجدت عادة مشائخنا النقشبندية والشاذلية تلقين الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر بلفظة الجلالة والنفي والإثبات ذكرت ما في جميعها من المنافع والفضائل لتكون سبباً للحث وباعثة للمواظبة عليها ، وقد أجازني **شيخنا العسلي** في تلقين الطريقة النقشبندية ، وكذا أجازني السيد الشريف **سيف الله الحسيني** في الشاذلية والنقشبندية[٢] وكتب لي صك الإجازة بيده المباركة ، وأمرني أمراً أكيداً بتلقين الشاذلية خاصة ، لكونها موافقة لأحوال الناس في هذا الزمان ، وكذا أجازني في القادرية بالمشافهة ، وكان قدس سره يقول بلسانه ويكتب إلينا بقلمه ويوصينا بالاجتهاد لإدارة الطريقة النقشبندية والشاذلية

---

(١) والإزراء – التهاون بالشيء يقال أزرى به إذا قصر به وازدراه أي حقره « مختار » .
(٢) وفي نسخة : والنقشية .

خاصة لما أنه لم يكن في ولايتنا من له الإجازة التامة في تلقين الطريقة إلا النادر فالنادر ، وكان يقول إن ذلك يكون سبباً لمنع الناس عن وقوعهم في شبكة المتشيّخين وقيدهم ، وكان قدس سره يستعيذ منهم وممن وقع في أيديهم[1] ، وقد أمرني بلسانه وكتب إلي بقلمه **الشيخ الحافظ شعيب الباكني** بالنظر والتوجه إلى مريديه والالتفات إليهم ، ولأجل كوني مأموراً من هؤلاء المشائخ بهداية الخلق إلى طريق الحق وجب عليّ أن أُبيِّن للناس ما يحضُّهم ويرغِّبهم إلى السلوك[2] في سبل الخيرات .

ومما ينبغي أن يعلم أني وإن خاطبت كثيراً[3] في هذا الكتاب لمحمد عارف خاصة لوقوعه سبباً للتأليف ، لكن يدخل فيه كل من أخذ مني الطريقة ، لأنه لا فرق بين ولد الجسد وبين ولد الروح ، والأستاذ في الحقيقة هو الأب الحقيقي بل هو مقدم على أب الجسد ، لأنه أب الروح كما هو مذكور في الكتب في غير موضع .

وأما بيان كيفية أوراد النقشبندية فقد أعرضت عن كَتْبتها لأني قد بينتها في تأليفاتي[4] بالبسط التام ، والقادرية قد عرضت إليها في « تنبيه السالكين » .

وأما الشاذلية فأورادها كما في « النور الساطع » : (أستغفر الله) مائة مرة ، (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) مائة مرة ، (لا إله إلا الله) مائة مرة ، سيدنا

---

(١) فقد جاء لدينا أبعاض من مريدى هؤلاء القوم ولم نجد منهم من حصل له حياة القلب وإن دام على ما علّمه شيخه في زعمه عشرين سنة ، فهذا علامة عدم كون ذكرهم تلقينيًّا غفر الله لنا ولهم آمين « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

(٢) سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل « مختار » .

(٣) بقولي يا ولدي أو أيها الولد ، فافهم .

(٤) كـ« خلاصة الآداب وتنبيه السالكين » (منه) .

محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة ، وذلك مرة في الصباح ومرة في المساء ، وما كتبه الشيخ بعد المغرب[1] .

وأما الشيخ خالد سيف الله قدس سره كتب في صك الإجازة بدل أستغفر الله : (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) بغير (العظيم) . انتهى . وذلك هو الأكمل في الاستغفار . وأما في الصلاة فلم يبين الصيغة بل أطلق وقال والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . فهذه الأوراد أراها مثل أوراد الطريقة التجانية بلا فرق كثير فقد قال محمد الغالي في « جواهر المعاني » أما أوراده[2] رضي الله عنه الذي يلقِّن لكافة الخلق الذي رتَّبه له سيد الوجود وعلم الشهود هو : أستغفر الله مائة مرة ، والصلاة على رسول الله ﷺ بأي صيغة كانت ، ثم الهيللة مائة . وهذه الأذكار بعينها هي التي رتب له ﷺ وأمره بتلقينها لكل من طَلَبَه من المسلمين على أي حالة كان ؛ كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى ، **طائعاً أو عاصياً** لا يمنعه من أحد طلبه منه ، وكون الصلاة على رسول الله ﷺ بـ« **صلاة الفاتح لما أغلق** » أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم[3] الذي لا يقدر قدره إلا الذي امتنَّ به من فيض فضله العميم وفضلها سيأتي في محله إن شاء الله تعالى ، وبعدها في الفضل (روح الصلوات) وهي : (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى اَله وصحبه وسلم تسليماً) ، ثم (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله) . فأنت مخير ، وباجتهاد الملقِّن الذي يلقن الورد فله النظر إن كان مَنْ يأخذ الورد من أهل الدين والصلاح وفيه أهلية ونسبة فيلقنه الفاتح لما أغلق ، ويأذنه

---

(١) وهو داخل في المساء فإن المساء ما بين العصر ونصف الليل ، فراجع (منه) .

(٢) أي الشيخ أحمد التجاني .

(٣) وقد جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام بالضم وبابه ظرف والجسام بالكسر جمع جسيم « مختار » .

في مرتبتها الظاهرة فقط لا غير ، وإلا يلقن روح الصلوات ! ووقته بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، **ومن فاته في هذين الوقتين لعذر فالنهار كله له وقت والليل كذلك ، ومن فاته ورد فليتداركه على ممر الدهر ، ومن أخذ هذا الورد وتركه تركاً كليّاً أو متهاوناً به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك** . انتهى عبارته .

وفي كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » ومن ترك هذا الورد[1] ولم يفعله حتى غربت الشمس فلا قضاء عليه ، ومن أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك ، وفيه فضل عظيم لأن المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق وقت السحر تعدل خمسمائة مرة منها في غير وقت السحر . انتهى ما هو المقصود فراجعه .

وفيه : قال في « جواهر المعاني » : وسألته[2] رضي الله عنه : فمن احتلم في السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه ؛ هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد ؟ ! فأجاب رضي الله عنه بقوله أنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره ، إلا الفاتحة بنية الاسم فلا يقرأها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة . انتهى عبارته ٩٠ ج٢ .

وقال في « جواهر المعاني » : **ومن ترك الورد فعليه قضاؤه ومن ترك الوظيفة[3] فلا قضاء عليه** . انتهى عبارته ٨٧ ج١ .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : أن من أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك . انتهى .

(١) أي : الورد الخاصّ الذى هو يرتب في ذلك الوقت المخصوص في يوم الجمعة لا مطلقاً (منه) .
(٢) أي : التجاني (هامش الأصل) .
(٣) وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية الشاذلية من الوظائف (منه) .

ورأيت فيه أيضاً وللمسافر إذا صلى الظهر أن يقدم ورد المساء ويفعله بعد صلاة الظهر لمشقة تداركه في التأخير . انتهى .

قال مؤلف « النور الساطع » قدس سره بعد ذكره ما مر من أوراد الشاذلية : فإن تهذبت منه الأخلاق وشد للخدمة النطاق ، وانشرح للذكر قلبه واطمأن به لبه يلقَّنه حينئذ الذكر الخاص المقصور على الخواص ، لأن ذاكره يحتاج إلى استعداد كبير ، وتخلٍّ عن كل ما يشغله من جليل وحقير ؛ مع مخالفة هواه ومفارقة ما يهواه ، وتقليله من لغو الكلام والأكل والشرب ليقل نومه ويخف بدنه فيسهل عليه القيام والتهجد والناس نيام ، **ويكون في حال الذكر طاهر البدن والثياب على وضوء مستقبل القبلة حاضر القلب مع الله بالحضور التام** ، مستوحشاً من الخلق مستأنساً بالحق ، سائراً بالصدق مخلصاً في أعماله إخلاصاً كاملاً لمولاه لا يريد بها سواه ، صارفاً همّته في الوصول ، غاضّاً نظره عمن سواه ، وهو المأمول ، مشمراً عن ساعد الجد . انتهى عبارته .

وفي « الرسالة » في فضائل الذكر : و**أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء** ، وكذلك التسبيح والتحميد والتهليل . انتهى عبارته في١١ .

وفيه في ١٢ : فيؤكد ذكر الله تعالى في جميع الأحوال لكن يستثنى من الذكر القرآن حال الجنابة بقصده ، فإنه حرام ويستثنى من عمومه أيضاً المجامع وقاضي الحاجة فيكره لهما الذكر اللساني ، **أما القلبي فمستحب على كل حال** . انتهى عبارته .

وفيه في ١٣ أن أفضل ما أعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر ، وأفضل ما أعطاهم في العقبى النظر إليه سبحانه وتعالى . **فذكر الله في الدنيا كالنظر إليه في الآخرة .**

وفيه في حديث « اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب » أي لأنه مساعد لك في تحصيل مطلوبك ، لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يذكر ولو من فاسق ، فإذا ذكره ثم دعاه أعطاه ما تمنَّاه ، ولهذا قال بعض الصوفية : الإعراض عن الذكر يشوش الرزق المعنوي ويضيق المعيشة الروحانية . انتهى ١٣ .

وكتب الشيخ خالد سيف الله قدس سره إذا سئل عن الاسم الخاص المذكور آنفاً بما نصه : الاسمِ المفرد الخاص هو الله الله . ثم اعلم أيها المأمون هو مقام عظيمُ الأَسْمى عليُّ المرمى يحتاج إلى بسط بسيط فاكتفينا عن ذكره عملاً بالأسهل ، لكن نختصر بأخصر عبارة بإتيان بيان قليل وإن كان خارجاً عن المراد : إن للأسماء حقائق وخصائص ليس هذا محل ذكرها ، فالمقامات مثلاً محصولة على سبع وسبعة سير مع أذكار وأسماء .

فالمقام الأول : النفس الأمَّارة مقام الظلمات والكدورات المتعلقة للأغيار والذكر في البدن لا إله إلا الله ، وواردة الشريعة وسيره إلى الله .

والمقام الثاني : نفس لوامة مقام الأنوار وذكره الله الله ، وواردة الطريقة وصفاته اللوم والحسد ، عالمه البرزخ ، حاله المحبة ، سيره من الله .

والمقام الثالث : نفس ملهمة ذكره هو هو هو ، وارده المعرفة ، عالمه الأرواح ، محله الروح ، سيره على الله ، وصفاته العلم والسخاء ، وحاله العشق .

والمقام الرابع : مقام كمال نفس مطمئنة ، ذكره حق حق حق ، وارده بعض أسرار الشريعة ، عالمه حقيقة محمدية ، محله سر سيره مع الله ، حاله الاطمئنانية الصادقة ، صفاته الجود والإيثار والتوكل .

والمقام الخامس : نفس راضية وهو مقام الوصال ، ذكره حي حي ، ليس له الوارد ، وعالمه اللاهوت ومحله سر السر ، وسيره في الله ، وحاله الفناء .

والمقام السادس : نفس مرضية وهو مقام تجليات الأفعال ، ذكره قيوم قيوم ، وارده الشريعة ، وعالمه الشهادة ، محله الخفي ، سيره عن الله ، وحاله الحيرة ، وصفاته التخلق بأخلاق الحق .

والمقام السابع : نفس كاملة مقام تجليات الصفات والأسماء ، ذكره قهار قهار ، وارده هي الواردات التي تبين جميع النفوس ، وعالمه الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة ، ومحله الأخفى ، وسيره بالله ، وحاله البقاء ، وصفاته هي الأوصاف الحميدة من جميع صفات النفوس .

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ويقال لها الأسماء الإلهية ، وهي أيضاً أصول الأسماء ، فلكل نفس اسم خاص ، وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية يستعملون كذلك ، ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى من خطه قدس سره .

وأما فضل طريق الإمام الشاذلي فمذكور في الكتب ، ولأجل الترغيب كتبت هذه الكلمات وفق ما فيها ، ومن أراد له فوز عز الدارين فليدخل في طريقه يوماً أو يومين ، وفي رواية عنه : من أراد غنى الدارين فليدخل في مذهبنا يومين ، فطريق الإمام الشاذلي فإنه واضح في الفضل[1] عند من

---

(١) قال محمد المغربي : أعطي الشاذلية ثلاثاً لم تحصل لمن قبلهم ؛ ولا لمن بعدهم . الأول : أنهم مختارون في اللوح المحفوظ ، الثاني : أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو ، الثالث : أن القطب منهم إلى يوم القيامة .

وقال – أي الشيخ الشاذلي قدس سره – : أعطيت سجلاً مدَ البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار . « متممات » « جامع الأصول » ١٠٢ .

في المشرقين ، فضع ولو قدماً على ما آثره فإن ذاك كالأخذ منه باليدين ، وهو أفضل الطرق وأسهلها بعد النقشي[1] عند أرباب العِلْمين[2] ، ويأخذ يدَ من سلكه سريعاً وليس فيه مشقة الرياضتين[3] ، وقد قال : إن ابتداء طريقه نهاية طريق الكيلاني بلا مَيْن[4] فإن طريقه على الشكر مبني ورؤية الفضل والمن وعلى اللين ، وليس فيه كدُّ المجاهدة ولا عَناءُ رياضةٍ وتعب دفع رَيْن ، بل الاعتدال في الأمور ، يصحبها أهل السلوك بغير غبن ولا غين ، انتفت عن نفسهم هموم الرياضة ، فينبغي للأحرار المشي إليه بالرِّجْلين ، فكل صعب في غيره من الطرق ففيه سهل فخذه تملأ اليدين ، واشكر للخالق حيث أن أُهِّلت له ، أطعه يطعك واحمده على المنن ، تمسك بحبهم تشرب من مشربهم ولا تعدُ عنهم عيناً يوماً أو يومين . انتهى .

ولما كان في هذا الطريق السماع والوجد خلاف طريق النقشبندي كتب إلينا الشيخ المحترم سيف الله هذه الأبيات ليقرأها المريدون في مجالس الاجتماع للذكر ، وأنا أوردها هنا للتبرك ، وينبغي للسالك أن يحفظها ليقرأها في أثناء الذكر ليزيد بها الشوق والنشاط ، لأهل المجلس : قال رضي الله عنه :

---

(١) أي : بعد طريق النقشبندي ، وأما هو فهو أم الطرق وسلطانها كما هو مذكور في الكتب (منه) .

(٢) أي علم الباطن والظاهر .

(٣) وقال – أي الشيخ الشاذلي قدس سره – : لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد لأنه عين طريق النقشبندية

(٤) كذب .

اللهْ   اللهْ   اللهُ[1]   اللهْ   اللهْ   اللهُ   اللهْ   اللهْ   اللهُ   اللهْ   اللهْ   اللهُ

يازُمْرَةً قَدْ تَاهُو   قُولُوا جَمِيعاً يَاهُو   اللهْ   اللهْ   اللهُ   بالقُـوَّةِ الـقَـلْبِيَّةْ

فَنَحْـنُ الشَـاذِلِيَّةْ   كُؤسُـنَـا مَـلِـيَةْ   مِنْ كَـفِّ شَاذِلِيٍّ   حَامِي حِمَى البَرِيَّةْ

غَوْثِي أَبُـو الحَسَنِ   قُطْبُ الهُدى اليَمَنِي   سُـلالَةُ الـمَدَنِي   مِنْ نَفْحَةِ السبطِية

يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي   يَا نُورَ عَيْنِ العَلِي   يَا بَهْجَةَ البَتُولِي   ذُو الهِمَّةِ السَّنِيَّةْ

أَشْعَـارُهُ أَسْـرَارُ   آثَـارُهُ أَنْـوَارُ   أَتْبَاعُـهُ أَبْـرَارُ   أَعْلامُ الإِسْلاَمِيَّةْ

دَانَتْ لَـهُ الرِّقَابُ   وَذَلَّـتِ الصِّعَابُ   وَزَالَـتِ الـعتابُ   بِالـوَارِدِ الـغَيْبِيَّة

هُنَّا لَـه الأَحْبَابُ   وَارْتَفَعَ الخِطَابُ   فَدَارَتِ الأَكْوَابُ   بِالخَمْرَةِ الهُوِيَّة

بِـذِكْـرِهِ طَـرِبْنَا   مِنْ راحِـهِ شَرِبْنَا   مِنْ حُـبِّـهِ سَكَرْنَا   بِالْجَذْبَةِ الفَـيْضِيَّةْ

بِذَوْقِهِـمْ قَدْ طَابُوا   عَضُّوالِمَا اسْتَطَابُوا   بوَجْدِهِمْ قَدْ غَابُوا   فِي اللَّذَّةِ الأُنْسِيَّة

يَا رَبَّنَـا وَفِّـقْنَا   بِقُرْبِكُـمْ حـقِّـقْنَا   بِالشَّاذِلِـي رَوِّقْنا[2]   شَرَابَ الـوَاحِدِيَّة

طَيِّبْ لـنَـا المُذَاقَا   وَزِدْ لَنَا التَّوْفِيقَا   وَعَافِنَـا النِفَـاقَا   بِلُطْفِـكَ الـوَفِيَّة

كَمْ هَـامَ فِي هَوَاهُ   كَمْ حَامَ فِي حِمَاهُ   كَمْ فَازَ مَنْ لاقَاهُ   بِالصُّحْبَةِ المَعِيَّة

كَمْ قَدَّ مَنْ آذَاهُ   كم شَذَّ مَنْ شَاذَاهُ   كَمْ نَالَ مَنْ وَالاهُ   لـلخـط القيومية

وَكَـمْ لَـهُ آيَـاتٌ   بَـدَتْ وَكَـرَامَاتٌ   وَكُـلُّـهَا أَثْـبَاتٌ   بِالغَوْثِ وَالفَرْدِيَّة

يَا رَبَّنَـا مَتِّـعْنَا   فِي فَيْضِ شَاذِلِينَا   بِـخُلْقِـهِ أَيِّـدْنَـا   يَـا بَاسِطَ العَلِيَّة

صَلَّـى اللهُ وَسَلَّمْ   عَلَى الهَادِي المُكَرَّمْ   مَعْ صَفِّهِ المُفَخَّمْ   وَالسَّادَةِ الصُّوفِيَّة

مِسْكِين خَالِد سَيْفُ اللهْ   أَقَـلُّ عِـبَـادِ اللهْ   رجائهُ عَفْوُ اللهْ   مِنْ فَرْطِهِ النَّفْسِيَّة

---

(١) وفي نسخة : الله الله الله و .

(٢) وراق الشراب صفّاً وبابهما قال « مختار » .

❊ وأما سلسلته وإنه لبس الخرقة من الشيخين الإمامين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن المعروف بابن حرازم ومن الشيخ أبي عبد الله عبد السلام بن مشيش والأول منسوب إلى الصديق الأعظم والثاني إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . « متممات » « جامع الأصول » عبارته ١٠١ .

وذيله الحقير بذكر سلسلة المشائخ على وزن نظمه قدس سره فقال :

حَسَنْ حِلْمِي عَبْدُ الله مُحِبُّ رِجَالِ اللهْ مَطْلُوبُهُ فَيْضُ اللهْ بِالرَأْفَةِ الوَهْبِيَّة

وَإِنَّهُ مُفْلِسٌ مِنْ نَفْسِهِ آئِسٌ فِي الوِزْرِ مُنْغَمِسٌ بِالفِطْرَةِ الأَصلِيَّة

لَكِنْ يَرْجُو النَّوَالاَ وَيَطْلُبُ الافْضَالاَ وَيَكْرَهُ الفُضُولاَ بِالهِمَّةِ العَقْلِيَّة

يَا رَبِّ اغْفِرْ أَوْزَارَا وَإِنْ عُدْنَا مِرَارَا وَاقْبَلْ مِنَّا أَعْذَارَا بِحَقِّ الشَّاذِلِيَّة

وَكُنْ لَنَا يَا رَبِّي وَارْضَ عَنَّا المُرَبِّي وَشَيْخَنَا المُذَبِّي وَسْوَسَةً صَدْرِيَّة

وَارْزُقْ لَنَا القَبُولاَ وَدُلَّنَا السَّبِيلاَ وَحَرِّزِ الأَعْمَالاَ عَنْ حَظَّةٍ نَفْسِيَّة

بِجَاهِ مَنْ قَدْ بَدَا مِنْهُ الكَوْنُ وَهَدَى مُحَمَّد قَد عَدَا أَعْدَاءً شَيْطَانِيَّة

عَلَيْهِ أَذْكَى الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ وَلاَ تَطْرُدْ لَنَا الأَعْمَالاَ بِالسَّادَةِ العَلِيَّة

بِحَقِّ عَلِيِّنِ الْـعَلِيّ ثُمَّ ابْنِهِ الْـ الحَسَنِ وَالجَابِرِ المَيْمُونِ بِالتَّبْعِيَّة

وَالقُطْبِ الشَّيْخِ سَعِيدْ وَالقُطْبِ فَتْحِ السُّعُود وَسَعْدٍ ثُمَّ سَعِيدْ أَكْرِمْنَا بِالفَيْضِيَة

بِأَحْمَدَ المَرْوَانِي وَإِبْرَاهِيمَ البَصْرِي زَيْنِ الدِّينِ القَزْوِينِي قِ الحَالَةَ الفَحْشِيَّة

بِحقِّ شَمْسِ الدِينِ بِحَقِّ تَاجِ الدِينِ عَلِيٍّ نُورِ الدِّينِ جَمِّلْنَا بِالمَرْضِيَّة

بِحُرْمَةِ فَخْرِ الدِّينِ بِحَقِّ تُقَيِّ الدِّينِ عَبْدِ الرَحْمَانْ مَجْدِ الدِّينِ ذِي السُّنَّةِ السَّنِيَّة

وَالقُطْبِ عَبْدِ السَّلاَمْ عَلِيٍّ قُطْبِ الأَنَامِ وَالمُرْسِي سَامِي الكَلاَمْ أَدِرْ لَنَا العَطِيَّة

ومُظْهِرِ الحِكَمِ مُحَكِّمِ الكَلِمِ ابْنِ العَطَا الفَهِمِ ذِي الشِّيَمِ الرَّضِيَّة

وَدَاوُدَ البَاخِلِي فِي فَيْضِهِ أَمَلِي بَدْرِ الرَّشَادِ الجَلِي ذِي الخَصْلَةِ البَهِيَّة

مُحَمَدْ بَحْرُ الصَّفَا عَلِيُّ بْنِ الوَفَا ويَحْيَ زِدْ شَرَفاً يَا بَارِئَ البَرِيَةْ

بِأَبِي العَبَاسِ أَحْمَدْ وَسَيِّدْ زَرُّوقْ أَحْمَدْ إِبْرَاهِيم مُعْطِي المَدَدْ بِالجَذْبَةِ الوَهْبِيَّة

سَيِّد عَلِي الصّنهَاجِي عَبْدِ الرَّحمَنِ النَّاجِي يُوسُفِ الفَاسِي الرَّاجِي لِلرَّحْمَةِ القُدْسِيَّة

عَبْدِ الرَّحمَنِ سَيِّدِي مُحَمَّدْ مُعْتَمَدِي غَوْثِي قَاسِمْ سَنَدِي ذِي الخُلْقَةِ العِلْمِيَّة

أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدْ سَيِّدِي العَرَبِي قَدْ حَظَى الفَيْضَ وَالمَدَدْ مِنْ حَضْرَةٍ ذَاتِيَّة

بِحَقِّ أَبِي الحَسَنْ أَطْلُبُ مِنْكَ المِنَنْ فَطَيِّبْ مِنِّي العَلَنْ وَالخَطْرَةَ القَلْبِيَّة

بِسَيِّدِي العَرَبِي وَزِدْ بِكَ جَذْبِي مُحَمَّدْ فِنْجِير أَبِي أَرْوَاحُنَا العُلْوِيَّة

ثُمَّ حَبِيبِ الرَّحْمَنْ بَحْرُ أَهَالِي الإِيمَانْ إِلَيْهِ كُلُّ الأَمَانْ بِالنَّظْـرَةِ الجَلِيَّة
مُحَمَّدْ عَلِي ظَاهِرْ مُحَمَّدْ صَالِحْ طَاهِرْ وَسَيْفِ اللهِ البَاهِرْ بِالكِسْوَةِ القُطْبِيَّة
وَقَدْ فَازَ سَيْفُ اللهْ حَظّاً من تَجَلِّي الله فَـانٍ وَبَاقٍ باللهْ بِالرَّحْمَةِ الوُسْعِيَة
وَتَـمَّ بَقَـاؤُهُ نَقْشُبَنْدِيٌّ وَهُـوْ كِيـلاَنِيٌّ رَبَّـاهُ لاَقَـاهُ بِالرُّوحِيّة
فَصَـارَ أُوَيْسِـيّاً رَاضِيـاً وَمَرْضِيّاً حَازَ حَظّاً وَهْبِيّاً فِي الزُّمْرَةِ العُلْوِيَّة
لَكَ الحَمْدُ يَا رَبِّي لَكَ الشُكْرُ يَا رَبِّي وَجِّـه لَنَـا المُرَبِّي بِالوَجْهَـةِ الكُلِّيَّة
وَصَلِّ عَلَى الهَادِي مُحَمَّـدٍ سَيِّدِي وَآلِهِ المُـهْتَدِي بِالـسُّنَّةِ الشَّرعِيَّة

انتهى .

اعلم يا ولدي أن لكل طريق مطلباً خاصّاً ، ولكل شيخ مقصداً خالصاً ، فمن المشائخ من يجتنب السماع والرقص والاضطراب كالإمام النقشبندي ﵁ . قال قدس سره ما معناه : نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطريق الخاص بنا ، ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشائخ آخر . انتهى . **فينبغي لمن أراد الوصول إلى المطلب الخاص بهذا الطريق**[1] **المتوسط أن يجتنب عن هذه الأمور** ، ومنهم من يجوزون السماع والتواجد ويجعلون الآثار المترتبة عليهما من المطلب الخاص بطرقهم وينشدون الأبيات والأوزان لما فيها من التأثير ، ففي « الإحياء » إن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه ، أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب القلب وتشوش ، **فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر** . انتهى عبارته ٣٠٠ ج٢ .

وفيه : والسماع يؤثر في تصفية القلب . انتهى .

(١) أي : الطريق النقشيّ .

وفيه : وينبعث نشاط القلب بقوة السماع . انتهى .

وفيه : وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي ، واستجلاب العازب من الأفكار ، وحدة الكال من الأفهام والآراء ، حتى يثوب[١] ما عزب[٢] وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويخرج في كل رأي ونية ، فيصيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطىء . انتهى عبارته .

ومن عادات السادات الشاذلية إنشاء الأشعار ليحصل بسماعها الوجد والحال ، **لكن ينبغي للسالك أن يتفطن وينضبط نفسه مع القدرة إلا عند غلبة الحال** لئلا يقع في التصنع والرياء ، وهي أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك .

وفي « الإحياء » : إن ذلك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة . فراجعه في ٢٠٤ ج٢ .

وفيه : فإن قلت : الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ، ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ، ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً و مصاحباً في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده ، **فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود** فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ، ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق ﷛ : كنا[٣] كما كنتم ثم قست قلوبنا . معناه قويت قلوبنا

---

(١) أي : يرجع « اتحاف » .

(٢) أي : غاب (منه) .

(٣) قال ذلك حيث رأى الأعراب يقدمون من سكان البوادي إلى المدينة فيسمعون=

واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال ، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا ، طارئاً علينا حتى نتأثر به . انتهى عبارته .

وقد أنشدت هذه الأبيات ليقرأها النقيب[١] في مجلس الاجتماع لقراءة ختم الشاذليين فقلت[٢] وبالله التوفيق :

شَاذِلِي چَكُ وُكِبْ زَمَانَ نِجِي شِچُ ‌ ‌ ‌ اِصُـــلْ هُـرْمَدَ بِرْچَنْ فَيْدَ بُسِز شچ[٣]

اِصْدِ خُنْ صُحْبَةْ هَبُنْ بَرْكَةْ طَلبْ هَبِزِي ‌ ‌ ‌ اِصُـلْ زَمَنَيَلْدَ رِجُنْـكِ نِـجْ رُكِنْجُ[٤]

كِنِّك اِوْ وُقِيَلِ اِصُـلْ اَثَـارَلْ هَـرُنْ ‌ ‌ ‌ بِچَصْدِ عَكَرْ لِـزِ اِوْ وَاسِـطَه لُِـنْ كُّـنَ[٥]

يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي اَمَنْ نِجِيْ شَفاعَةْ ‌ ‌ ‌ كِعَنْ عَـصِيَلْ نِـكِ هَـبِ نِجِي كُـمَكْ[٦]

=القرآن ويبكون (منه) .

(١) والنقيب - العريف وهو شاهد القوم وضميمهم وجمعه نقباء وقد نقب على قومه ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة « مختار » .

(٢) هكذا وردت الأبيات في الأصل . ووردت في أصل آخر وتحت كل بيت ترجمته ، وحرصاً مني على ضبط النص كما ورد مع إكمال الفائدة من الترجمة فقد أوردت ترجمة كل بيت في هذا الهامش هكذا :

(٣) وقد قيل : النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى من « المنن » ٩٣١ ج١ . وفي الحديث « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله » . انتهى .

(٤) فقد يصل المريد بصحبة واحدة مع شيخ إلى ما لا يصل إليه بمجاهدته في سنين عديدة ، لأن الشيخ يتصرف في المريد ويزيل عنه ما يحبط عمله من الرياء والعجب من حيث لا يشعر أو يقله بحسب استعداده وقد قيل إن للصحبة تأثيراً عظيماً والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة . راجع .

(٥) قيل : إن محبة الشيخ كافية في الاستفاضة ، وفي الحديث « المرء مع من أحب » . وقال الشاذلي قدس سره : من أراد عز الدارين فليدخل في طريقنا هذا يوماً أو يومين وقال : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا . انتهى « أي فله مالنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة » « هامش » .

(٦) وقد قيل : ادعوا الله بلسان لم تعصوا الله تعالى به ، وذلك إذا توسل إلى الله=

مُنْكِ رَقُلْ وُقَرَبْ بَيْتُ الْمَالْ هَبْ دُنِيالْ   بِرْدَ مُنْ وِكُلَرِبْ جُنْتَرَبْ هَبْ زَمَنَ[١]

اُرْخُلَ شَهَرَلْدَ شَاذِلِي طَدْ كَدَرَبْ   عِشْقُلَ دُنْ رَقَلْدِ اَبُو الحَسَنْ وُقَرَبْ[٢]

عَجَبَا هَلْ عُرَلْكُ لِمْ قُنْ رَقَنْ أُنَرِلْ   فَيِضْ شَخُلِبْ رَلِدْ رَقُلِ قَرَلْدَص

تَمَشَ هَبْ رَقَلْدَ عُرْشَنَبْ خِرْ بِجُلِبْ   بَرْكَةْ شَخُلِبْ سَحَابْ دُنْيَالْ تُنْ نَقُلُ لِدَلْ[٣]

=بالولي يقول الملك للولي إن فلاناً قد سأل الله كذا وكذا بك ، ثم يسأل الله تعالى بقضاء حاجته ، راجع « لواقح الأنوار » . وقد قال الشاذلي قدس سره : إذا عرضت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم بي عليه . قال واحد : فكنت والله لا أذكره في شدة إلا تفرجت ، ولا في أمر صعب إلا هان . كذا في « الأنوار القدسية » في ٣٧ .

وقال الإمام محمد النقشبندي قدس سره : أُعْطِيتُ من الحق سبحانه مرتبة عظيمة تقضى بي الحوائج وتدفع بي البلايا فالجؤوا إلى تقض حوائجكم . كذا في « المناقب الأحمدية » . فراجعه في ٦ .

(١) فكيف لا يتأسف على موت الولي ، وقد قيل : موت العالم موت العالَم ، وبموته تبكي السماوات والأرض فكلما بعد الزمان من الأخيار تقل البركة وتزيد الأشرار ، وفي الحديث : « ما من عام إلا الذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربكم » وفيه : « ما من عام إلا ينقص الخير فيه و يزيد الشرّ » . الحديث . وفي « الحفني » حاشية « جامع الصغير » قوله : ما من عام بل ولا يوم إلاّ واليوم الذي بعده شرّ منه – أي غالباً فلا يرد زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج وزمن سيدنا عيسى آخر الزمان ، فراجعه في ٧٦٢ من هامش « السراج المنير » من الجزء الثالث ، (منه رحمه الله إفلاسه آمين) .

(٢) وذلك أن بركة الولي يصل إلى كل موضع نزل به ، وقد يتبرك بما مسه أو قعد عليه أو وضع قدمه عليه ، كما هو مذكور في الكتب ، ولذا ينبغي أن يغتبط بمكان وصل إليه قدمه و دفن فيه جسده ، وقد يؤخذ الفيض من القبور ، ومن الأمكنة التى جلس عليها الأولياء ومن اللباس الذي لبسوه ، و لذا جرت عادة بإلباس الخرقة كما هو معلوم . انتهى (منه) .

(٣) يعنى إنما تمطر السماء وتنبت الأرض ببركة الأولياء ، وهم يكونون في الدنيا بعدد الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، ولو نقص واحد منهم لما أمطرت السماء قطرة ، ولما أنبتت الأرض ، نظرهم شفاء للعلل المعنوية ، وكلامهم دواء للأمراض الباطنة ، بهم يمطرون ، وبهم يرزقون كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » راجعه (منه) .

اِبِلْ خُنْ نَخِ تَرَلْ أَيْتَامَلْ عَدِنْ نِجْ تُنْ اَرَوِشْخَ شَاذِلِي مَلأُ الاَعْلَى يَلْدِي[١]

بَرْكَ دُيِ هِبْ أَلْجَنْ شَرَبْ دُيْ هَنْجِ رَاحَةْ أَمَنْ نِجِيْ شَفَاعَةْ شَ نِجْكِ دُرْ رَكَلْدِي[٢]

يَا رَبِّ نِجِرْ اَللّٰهْ شَاذَلِيَصِ عُلُ هَبْ نِجِرْ مَجْلِسْ دُصَ لِكَبْ مَجْلِسِلِنْ هَبِ[٣]

كِنَلْكُ شَاذِلِيَلْ شَيخْ زَبَزِ عُلُ مُنْ كُرِبْ خِيَالْ دُصَ رَكَلْدِ شِّزتُكِ[٤]

يَادَنْ دِلِرَبْ قُوَ رِخْصِ نُجُصَّ اَللّٰهْ اَللّٰهْ كُرِبْ كُجُنْ تُنْ رُصَ نُجْ اَللّٰهَ صْدِ

مَزْلَدَ رَكْكِ رِقُنْ اَبِ نُجْ اَللّٰهْ اَللّٰهْ كَمِلَبْ حُضُورْ هَبُنْ حَلْقَيَلْدِ دَنْ دِلِنْ

سُسَزُلْ[٥] كِرَلِكِ كُّنْ كِنَزْكُ اَبِ اَللّٰهْ بِجَصُلْ حَضْرَتَلْدَ رَخُنْ جُنْ خُشُوعَلْدَ

---

(١) والمريدون كالصبيان عند المشائخ ، وهم لهم آباء أرواحهم ، وقد قالوا : إن أبا الروح – وهو الشيخ – مقدم على أبي الجسد فإذا ماتوا يبقى المريدون كالأيتام بل أضعف منهم وأفقر لما أن لبن ثدي فيوضاتهم قد انقطع منهم فيبقون كالرضيع ماتت أمه اللهم إلا إنّ كمل المريدين يأخذون الفيض من الشيخ الميت برابطة المحبة والاعتقاد وقليل ما هم . (منه) .

(٢) وإذا مات المؤمن يفتح إلى قبره باب من أبواب الجنة ويصير روضة من رياضها بل الشهداء أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنان كيف شاءوا ونرجوا منهم الشفاعة لأنهم يشفعون لمن توسل بهم أو ذكرهم بخير وإن لم يعرفوه ولم يروه . راجع « الإتحاف » و« عقد اليواقيت » . (منه) .

(٣) وفي الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وفي حديث أبي ذر ﷺ إن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض . انتهى . (منه) .

(٤) لأن الخطرات هي الحجب المانعة عن الحضور والمشاهدة ، والحضور روح العبادات ولو خلت عن الحضور والوقوف القلبيّ فهي كصورة بلا روح ولا يمكن توجه القلب إلى الله تعالى إلاّ بنفي الخواطر فينبغي للسالك نفيها والاجتهاد في جلب الحضور وأسبابه وقد قال الشعراني في « المنن » : فإن الذكر باللسان إنما هو وسيلة لحضور القلب . انتهى . وفي « شرح تائية السلوك » فرب ذاكر لله لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى (منه) .

(٥) لما أن العادة قد جرت بين الشاذليين على أنهم يتحلّقون يذكرون الله بـ(لا إله إلا الله) ثم ينشد واحد منهم شعراً لائقاً بالمجلس ليحصل لهم به النشاط والوجد=

غَفْلَةْ نَخِ اِنْزَبُنْ اَحْدِ نُجْ اَللهَ صْدِ   اَللهْ اَللهُ يَاهُو اَللهْ اَللهُ يَاهُو

عَلِي الشَّاذِلِيَصُلْ بَرْكَةْ شِّزَبِ يَاهُو   نِجْ اِصُلْ طَرِيقَلُّلِپ رِطُنْ جِّزَرِ يَا هُو

دُيْ عُلُ دَنْدِلِپَرَلْ نِجْ چُرُكْ رِشَّكِ   اِسْتِقَامَةْ تَوْفِيقْ قِ يامَنْ لَيْسَ إلاَّ هُو

اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ

=ثم يذكرون الله تعالى بلفظ الجلالة وبـ(هو هو) والحال أنهم قائمون آخذون بأيدي بعضهم بعضاً وذلك للتفاؤل ليأخذ الناجح* منهم يد الهالك (يوم الفزع الأكبر) كذا ذكره شيخنا خالد سيف الله الحسيني قدس سره و نور ضريحه و رزقنا فيضه وبركته آمين (منه رحم الله إفلاسه) .

* النجح بوزن النصح والنجاح بالفتح الظفر بالحوائج « مختار » .

وكان أبوهما صالحاً وفيه دليل على أن تقوي الأصول تنفع الفروع « صاوي » عبارته ١٩ .

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ﴾ . . إلخ . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمّته فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم والقرآن من السطور بل التلقي له سر آخر . « صاوي » عبارته ٥١ .

الترغيب السابع

في بيان وظائف الشاذليين[1] الذي أجازني فيها الشيخ الكامل خالد سيف الله قدس سره وفي بيان منافعها وخواصها وفضائلها

فمنها حزب[2] البحر لسيدي أبي الحسن علي الشاذلي نفعنا الله به آمين .

قال مؤلف « رماح حزب الرحيم » : وأما حزب البحر فهو من إملاء رسول الله ﷺ عن شيخ الطريقة والحقيقة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه ثم أخذه شيخنا وسندنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وقيل : إن فيه اسم الله الأعظم وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه ، وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه ، ومن أرادها فليطلبها من أربابها ويأت[3] البيوت من أبوابها . انتهى . وفي « جواهر المعاني » .

قلت[4] : فها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه ، أما فضله فيتبين بوجوه :

أولها : أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وقد تضمن نحواً من ست وثمانين آية من كتاب الله تعالى ، ومن الأذكار المذكورة ست أحاديث ، ونحواً من أربعين اسماً من أسماء الله تعالى ، وقال بعض أكابر الأولياء إن فيه اسم الله الأعظم في ثلاثة مواضع .

---

(١) غير ما ذكر من الأذكار (منه) .

(٢) الحزب : الورد يعتاده الشخص من صلاة ، وقراءة ، وغير ذلك . وهو الطائفة من القرآن وغيره يوظّفها على نفسه يقرؤها . « مطالع المسرات » ١٣٤ .

(٣) وفي نسخة : ويأتي .

(٤) وفي نسخة : انتهى ما في « جواهر المعاني » . قلت . . . إلخ .

وثانيها انتشاره وشهرته في الأقطار حتى لقد أتهم[1] وأنجد وغار وطار في الأفاق كل مطار ، وشاع في البدو والحضر ، وسار في الناس مسير الشمس والقمر ، مشرقاً ومغرباً وشاماً وحجازاً ومصراً ، وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها ، وكم من قرية هو مشهور فيها ، وقد حفظه الكثير من الصالحين والأولياء والصديقين يكررونه في الحاجات وعند الضرورات ، وفي المساء والبكرات ، ويستعيذون به عند المخوفات ، قد حفظه الأكابر والعلماء ، واعتنى به الأخيار والصلحاء ، وقد صار تمائم على الصدور ، وجعل حرزاً على النحور ، وعلى الدواب والحيوان ، ومسطوراً في البيوت والجدران ، وشاع في الناس وذاع ، وملئت به الأفواه والأسماع والأماكن والبقاع ، كما قيل :

وأتهم[2] حزب الأحمدية مشرقاً ... كبدر تمام في الأنام وأنجدا[3]

وسار به من لا يسير مشمراً ... وفاه به من لا يفوه مردداً

وتسمعه إن شئت مشرقاً ومغرباً ... وشهرته في الخلق كالنجم موقداً

وفي الركب إن ساروا تلوه تبركاً ... وفي القوم إن خافوا به يأمن العِدَا

وفي الطفل إن يرقى تجده مباركاً ... وفي الحاج أن برجاً ترى النجم قد بدا

وفي البحر فاذكره يريك عجائباً ... وتيسير أسباب وأمراً مسدداً

ترى البحر مطواعاً ترى الريح ليناً ... ترى اللطف من قرب ترى الوقت مسعداً

فأكرم بهذا من دعاء مبارك ... عظيم حجاب ظاهر النفع والحدا

---

(١) (حتى) غاية (لقد) اللام للتأكيد ، وقد للتحقيق (أتهم) أي : دخل واشتهر وانتشر في بلدة أَتْهَمَ (وأنجد) أي : في بلدة نجد وبلدة (غار) . راجع (منه) .

(٢) أي : دخل في تهامة .

(٣) وانجد أي : دخل في نجد . وتهامة ونجد هما بلدتان من بلاد العرب (منه) .

وإنما قلت : (وأتهم حزب الأحمدية) مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال (وأتهم حزب الشاذلية) ! ! ليكون شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ مشافهة ، يقظة لا مناماً ، فلذلك نسبته إليه رضي الله عنه وإلى أهل طريقته رضي الله عنهم أجمعين .

ولهذه الكثرة والانتشار سرٌّ باطن وعناية من الله تعالى ، ولولا وجود نفع به وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار ، والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان .

والوجه الثالث : تجربته في الحالات وعند الضرورات ، وهذا باب واسع فكثير من الناس وجدوا البركة وحالة صادقة وأموراً ظاهرة ، وحكايات تجربته كثيرة منتشرة يضيق الوقت عن ذكرها .

قال بعضهم : وقد اتفق لي منه أمور في بعض الحالات ، ولا سيما في الحروب ما يطول ذكره .

وأما بعض خواصه! فقد جاء عن الشيخ أنه قال : لو قُرىء حزبي في بغداد لما أُخِذَت ، وهو العدة[1] الوافية والجنة[2] الواقية التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب ، وما قرىء في مكان إلاّ سلم من الآفات وحُفِظَ من حوادث العاهات[3] ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومَن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله تعالى دعوته وفرج كربته ، ورفع بين الناس قدره ، وشرح بالتوحيد صدره ، وسهل أمره ويسر عسره ، وكفاه شر الإنس والجن ، وآمنه من شر طوارق الليل والنهار ، فلا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ، وإذا قرأه عند

---

(١) والعدة ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح « مخ » .

(٢) والجنة بالضم ما استتر به من سلاح (منه) .

(٣) العاهة : الآفة « مختار » .

جبار أَمِنَ من شَره ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله تعالى عن خلقه ، وآمنه من حوادث دهره ويسر عليه أسباب السعادة في حركاته وسكناته ، ومن أراد أن يبلغ مراده فليقرأ عقب صلاة الصبح سورة يس عشر مرات ، ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة ، فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه ، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله تعالى محبته في القلوب .

قال بعض العلماء : من كتبه على شيء يكون محفوظاً بحول الله تعالى وقوته ، ومن استدام قراءته لا يموت غريقاً ولا حريقاً ولا بريقاً[١] ولا شريقاً[٢] ، وإذا احتبس الريح على أهل سفينة وذكروه جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى ، ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار مديراً عليها حرس الله تعالى تلك المدينة من شرِّ طوارق الحدثان والآفات .

وله منفعة جليلة في الحروب ، وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم .

قال الشيخ أحمد زروق : **وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمة**[٣] يتصرف به في الجلب والدفع ، وينوي المراد عند قوله : (وسخر لنا هذا البحر) كما قال ابن عباد رحمه الله تعالى فيما رأيته بخطه ، وهو صحيح ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه لذكرت هنا العجائب والغرائب وفي ما كتبناه كفاية . انتهى عبارته ٩٦ ج٢ .

وفي « كشف الظنون » وهو دعاء مشهور ؛ سمي به[٤] ! ! لأنه وضع في البحر للسلامة فيه حين سافر[٥] في بحر القلزم ، فتوقف عليهم الريح

---

(١) أي : بإصابة البرق .

(٢) وقد شرق من باب طرب أي غصّ « مخ » .

(٣) الهمة تطلق على العزم القوي فيقال له همة عالية « مصباح » .

(٤) أي بحزب البحر .

(٥) شاذلي .

أياماً فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه فقرأه فجاء الريح ، ويسمى أيضاً (بالحزب الصغير) انتهى عبارته ٤٣٤ ج١ .

قال العلامة زين العابدين المناوي في شرحه للحزب المذكور : نقل بعض المشائخ الراسخين في تلاوة هذا الحزب أن التأثير موقوف على الإجازة والاستئذان ، ومن لم يستأذن فهو كالقاصد لجواز البحر من غير سفينة « فتح الملك المجيد » عبارته في ٥٧ .

شروط قراءة حزب البحر

وفي « الفيوضات الربانية » اعلم أن من الشروط في الدعوة بهذا الحزب الشريف التوبة النصوح وتقديم الصدقة بشيء من الحلال ، وأن يكون على طهارة كاملة هو وثيابه ، ويقعد مستقبل القبلة بالخضوع والخشوع ، ويقرأ الحزب بالحضور قبل طلوع الشمس وبعد العصر مرة ، ويبدأ أولاً بالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص ثم قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ الآية ثم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الفتح ثم ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ إلى آخر السورة ثم حروف الهجاء ٢٩ حرفاً بنفس واحد وهي أ ، ب . إلخ ثم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم الصلاة على النبي ﷺ وهي « اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله بعدد العدد والمدد من الأزل إلى الأبد » ، ثم يستحضر روحانية سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره العالي كأنه حاضر لديه ويستمد منه ، ويسأله العون على كل ما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا علي إلخ انتهى عبارته ١٠١ .

ورأيت في هامش « مجموعة الأحزاب » ما نصه : وكيفية قراءة هذا

الحزب أن تستفتح بالآيات الثلاث الآتي بيانها : الأولى[1] : من الأنعام ، والثانية[2] : من آل عمران ، والثالثة : من آخر[3] الفتح ، ثم تقرأ الحروف التسعة والعشرين ، ثم يقرأ الحزب المبارك . انتهى .

ورأيت في هامشها أيضاً ما نصه : فإذا وصلت إلى قولك حم السبع توجهت إلى الجهات الست : يمين وأمام ويسار وخلف وفوق وتحت ، ثم تقول رفعت بالله كل بلاء يأتي من هذه الجهات الست واستجلبت بها كل خير يأتي من هذه الجهات الست ثم قل حم السابعة وخُط بها نفسك وجوانبك وامسح بها وجهك ، واستحضر مرادك في قلبك ، وكذا في موضع الإشارات المشار إليها في الحاشية بـ (قِفْ) . انتهى .

وفي هامشه أيضاً في موضع الحواميم ما نصُّه : محل الإجابة يقرأ هنا هذا الدعاء سمعنا من الأستاذ : اللهم لا تقتلني بغضبك ولا تهلكني بعذابك وعافني قبل ذلك ، اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني وكفّ أيدي الظالمين عني يا حفيظ احفظني ويسر أموري وحصل مرادي .

وفي هامشه أيضاً ثم عند قولك (كهيعص كفايتنا) تضم إصبعاً من أصابع يدك اليمنى عند كل حرف منها وتبتدىء بالخنصر وتجعله للكاف وللهاء البنصر وللوسطى الياء وللسبابة العين وللإبهام الصاد لا تزال ضامّاً للأصابع إلى أن تصل إلى قولك (حمعسق حمايتنا) فتفتح الذي ضممت أخرى واعتمد على ذلك . انتهى بحروفه .

وسألت شيخنا خالد سيف الله عن القول المار (وخُطَّ بها نفسك)

---

(١) ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلخ .
(٢) ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ ﴾ إلخ .
(٣) ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلخ .

إلخ وعن كيفيته فأمرَّ إصبعه على وسط نفسه ودارت بحم السابعة وخَطَّ بها نفسه كالدائرة . انتهى .

وسألته رضي الله عنه أيضاً عما مرَّ من ضم الأصابع عند قوله (كهيعص) وانفتاحها عند قوله (حمعسق) فقال ما معناه : يبتدىء بالضم من الخنصر[1] إلى الإبهام ، وفي الافتتاح يبتدىء من الإبهام إلى الخنصر . انتهى . لكن المفهوم من « المناقب الأحمدية » أن يبدأ بالخنصر[2] في القبض والبسط كما يأتي .

وأردت أن أورد هنا ما وصل لديَّ من فوائد « حزب البحر » وإن طال الكلام ولعل ذلك لا يخلو عن فائدة .

قال مؤلف « المناقب الأحمدية » في ١١٣ :

المقام الرابع في بيان بعض الفوائد والإشارات في دعاء حزب[3]

---

(١) فقال مُسَبِّحَةَ لْطَلُنْ رَهِ أَبُنْ كِ بُكُ خَ دِرْ وَسْ . انتهى (منه) .

(٢) أي : في غير هذا الموضع ، أي : في قوله (كهيعص) (حمعسق) فافهم (منه) .

(٣) ومما ينبغي أن يعلم أن قراءة الأحزاب ليس من وظائف المريدين بل هي وظيفة الخليفة الذي صار مرجع الطلبة ويفيد بتلك الأحزاب أرباب الحوائج والمضطرّين ، وأما المريدون فلا يلتفتون إليها إلاّ إذا وقعت الحاجة لدفع مكروه أو جلب محبوب لأن الواجب عليهم الذكر والفكر كما هو المفهوم مما في هامش « المناقب الأحمدية » في ١١٣ . وفي « تقريب الأصول » : ما رأينا قطّ أحداً وصل إلى الله تعالى بمجرّد قراءة الأحزاب والأوراد . انتهى . وفيه أن أمثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلاً ونهاراً أن الله تعالى يزوجه بنت السلطان . انتهى عبارته راجعه في ٩٢ . فالحاصل لا شيء أنفع للمريد المبتدىء من ملازمة الذكر في جميع الأحوال والأوقات . ومما يوضح لك ذلك أن السيد علي بن ميمون المغربي لما تصرف في الشيخ علوان الحموي وهو كان مفتياً مدرساً ، فنهاه عن الكلّ وأشغله بالذكر فطعن الجهال فيه بأنه أضلّ شيخ الإسلام ومنعه عن نفع الأنام ، ثم بلغ السيّد أنه يقرأ القرآن أحياناً ، فمنعه منه فقال الناس : أنه زنديق يمنع من تلاوة القرآن الذي هو قطب الإيمان وغوث الإيقان لكن طاوعه المريد إلى أن حصل له المزيد وانجلت مرآة قلبه وحصل له مشاهدة ربه ، فأذن في قراءة القرآن ، فلما فتح=

البحر على ما هو معمول حضرة سيدي الوالد أسكنه الله تعالى في أعلى الدرجات : كان يقول ﷺ طريق نصابه أن يقرأ ثلاثمائة وستين مرة ، وإذا أراد أن يكون عاملاً به فليقرأ في ثلاثة أيام في كل يوم مائة وعشرين مرة مع ترك الحيوانات الجلالية[1] والجمالية ؛ أي اللحم واللبن والسمن والعسل ، وترك الثوم والبصل وأمثالهما ، وإذا أراد أن يشرع في الحزب المذكور لا بد أن يغتسل أولاً ، ويستعمل الطيب على بدنه وثوبه ، ويلبس غير مخيط ؛ جديداً كان أو غسيلاً ، ويشتغل بالقراءة في المسجد معتكفاً صائماً ومستقبلاً ، فإن سبقه الحدث يتوضأ ويصلي شفعاً ويتم الحزب ويغتسل عند شروعه في كل يوم ، ويجعله ورداً بالشرائط المذكورة ، وإلا خيف عليه الرجعة ! فلا بد أن لا يجعل شرطاً منها مفقوداً إلى إتمام الدعوة ، وبعد فراغه الأفضل أن يجعل القراءة مقررة في الأوقات الخمسة ، أي : عقيب الصلوات الخمس ، ولو لم يؤدّ في وقت تداركه في وقت آخر .

وبالجملة لا ينقص من خمس مرات في كل يوم وليلة ، فلو لم يستطع فلا يجعل أقل من ثلاث مرات ؛ بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب ، وإذا وقعت حاجة أحياناً فليقرأ فقرة من الحزب المذكور مناسبة لمطلبه مع اسم من الأسماء الإلهية ، أو آية من الآيات القرانية ملائماً لمقصوده سبعين مرة ويكررها جاعلاً صورة المطلوب في نظره ؛ بأن يشرع في الحزب أولاً وإذا انتهى إلى الفقرة قرأها بالطريق المذكور ، ثم يتم الحزب ، هكذا يفعل سبع

=المصحف فتح عليه الفتوحات الأزلية والأبدية وظهر له كنوز المعارف والعوارف الظاهرية والباطنية ، فقال السيّد : أنا ما كنت أمنعك من القرآن وإنما كنت أمنعك من اللقلقة والغفلة عما فيه من البيان في هذا الشأن ، والله المستعان . رواه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه ، انتهى كلام « المرقات » كذا في « كنز المعارف » لسيف الله من خطه ١٤٢ .

(١) قوله : (الجلالية) وبالجملة الحيوان جلالي ، وما يخرج منه جمالي عند المتقدمين من هامش « مناقب الأحمدية » .

مرات في الخلوة بعد الغسل والصلاة بالحضور والتوجه التام ليتوجه حين القراءة إلى روح الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره مستمدّاً منه حتى يكون مؤثراً تامّاً .

وقال جماعة من أهل الدعوة : من أراد العمل في حزب البحر يصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة مع الإعتكاف وترك الحيوانات الجلالية والجمالية بنية النصاب ، ويقرأ كل يوم بعد الغسل والصلاة مائة وعشرين مرة ، ويقرأ في اثنى عشر يوماً أيام ازدياد نور القمر [كلّ] يوم ثلاثين مرة .

يقول الفقير عفى الله تعالى عنه : اختيار هذا العدد لأجل أن درجات الشمس ثلاث مائة وستين في ضمن المثلثات الأربعة ، أو البروج الاثني عشرية والله أعلم .

وإذا خاف من السلطان أو السبع فليقرأ هذا الحزب سبع مرات ، فينفخ على يده اليمنى فيمسح بها جميع بدنه .

ولو تحير في أمر يقرأ في مقام خال نظيف بعد الغسل والصلاة خمس مرات أو سبع مرات . وللحب اثنى عشرة مرة أو سبعة يقرأ على ماء الورد وإذا بلغ إلى قوله (وهب لنا) كرر سبعين مرة قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ثم يقول : يا رب اجعل محبة فلان ابن فلان في فلان ابن فلان ويفعل على هذا الترتيب ثلاثة أيام ، وإذا استقبل ذلك الشخص فليأخذ قليلاً من ماء الورد يدلكه على كفه ويمسح به وجهه .

ولقهر الأعداء يقرأ اثنى عشر يوماً في كل يوم ثلاثاً ، وعند بلوغه إلى قوله و(اطمس على وجوه أعدائنا) و(شاهت الوجوه) يشير إلى العدو والله تعالى أعلم .

وأيضاً يقول رضي الله عنه من قوله (**يا علي**) إلى قوله (**رحيم**) هذه الفقرة

داخلة في الجمال بمعنى أن للصورة المثالية التي تظهر من طلب هذه الفقرة مناسبة لإصلاح النفوس ، فالمناسب أنَّه إن كان ملكاً أو رئيساً وكان في خاطره أن لا يخالفه الرعايا بل أن يوافقوه ويحبوه وتظهر تربيته لهم على وفق الشرع والعقل ويتهيأ أموره من الغيب فليداوم على هذه الفقرة وليعتمد عليها .

ومن قوله (**نسألك**) إلى قوله (**الغيوب**) من وقع من حسن الحال إلى خلافه كالتبذير والفسق واللهو والجبن والعي أو يشوِّشه حديث النفس تناسبه هذه الفقرة كثيراً ، فإكثارها منج من البليات المذكورات .

ومن قوله **فقد** : ﴿**ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**﴾ إلى ﴿**غُرُورًا**﴾ يصلح لمعنيين باعتبار أعمال تصريفه : **الأول** : أنه يعالج به من ابتلي بحزن القلب ، وتشتت الخاطر ، وحديث النفس وهجوم الخواطر ، فليقرأ هذه الفقرة مع سابقها كثيراً . **والثاني** : من وقع في حادثة واتفق أحباؤه مع أعدائه في القيل والقال فأراد تدارك هذا الخلل لا بد من تلاوة تلك الفقرة مع فقرة (**فثبتنا وانصرنا**) مع المبالغة ، ويتذكر صورة الأحباب ومقاولاتهم عند التلفظ بهذه الفقرة إلى قوله تعالى ﴿**شَدِيدًا**﴾ أو يشير بيده إلى الرد والإبطال ، ويلاحظ صور الأعداء ومجادلاتهم حين التكلم بقوله ﴿ **وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ**﴾ إلى ﴿**غُرُورًا**﴾ مشيراً إلى الرد والإبطال .

ومن قوله (**فثبتنا**) . . إلى ﴿**بِكُلِّ شَيۡءٍ**﴾ إذا تحارب جمع مع أعدائهم ، وهيأ كلٌّ عدداً حسب وسعهم طالباً للغلبة على الآخر بجهدهم وهممهم ، فهذه الفقرة بكثرة تلاوتها صالحة لأن يتحقق حال الحرب لطيفة غيبية ويحصل الفتح على الأعداء ، وكذا إذا استقبله أمر مغلق عجزوا عن تدبيره ، أو مرض صعب لا يقدر الأطباء على معالجته ، فبإكثار تلاوة هذه الفقرة تظهر لطيفة غيبية يحصل حل الأمر المشكل بها والشفاء عن عضال الداء .

ومن قوله ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ إلى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذه الفقرة داخلة في سعادة الزهرة ؛ ففي باب الزروع وحسن نبات الأشجار لابد من جعله مكسراً في مثمن ليحصل سعادة المشترى أيضاً ، وليكتب على لوح من الخشب بالخط الجلي ، وليعلق على البساتين والزروع في موضع عال ، وليكتب لثمر الشجر المعين على ورق بعصارة ثمره ، وللجمال والقبول ولفرح الشخص يكتب على كاغذ بالمسك وماء الورد فيشده على رأسه ، وإن كانت امرأة تكتب مخمساً بهذه الصفة من (انصرنا) إلى (ارزقنا) .

ومن قوله ﴿وَهَبْ لَنَا﴾ . . إلى ﴿قَدِيرٌ﴾ ، هذه الفقرة بإكثار تلاوتها صالحة لوصول اللطيفة الغيبية في كل وقت ومكان من حيث لا يدري ، ويكون سبباً للنصرة على أعدائه ، ولإزالة الآفات والمصائب ، فإن كان نفقة الغيب ! فليقرأ أربع عشر مرة يا وهَّاب ، وثلاثاً ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ، وإن كانت الفراسة[1] والإشراف على القلوب مرغوبة يقول أربع عشر مرة يا عليم يا مبين يا خبير ، وثلاثاً ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ . . إلى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وإن طلب ظهور آثار الرقي والدعاء يقرأ أربع عشر : يا مجيب ثم ثلاثاً : ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ .

ومن قوله (**اللهم يسر لنا**) . . إلى (**يرجعون**) هذه الفقرة صالحة لوصول أنواع اليسر لداعيه من الغيب في كل ما توجه إليه ، وإذا شرع في أمر يقرأ قبله واحداً وألفا في كل مجلس وقعت فيه خصومة في مسألة من المسائل الدينية أو في قضية من القضايا الدنيوية ، وكان الحق في جانب الداعي والخصم بطلاقة اللسان والجسارة[2] غالب أمره ، يقرأ

---

(١) والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيراً . . إلخ . وفي الحديث « اتقوا فراسة المؤمن » « مختار » .

(٢) وجسر على كذا : أقدم ، يجسر بالضم جسارة بالفتح وتجاسر أيضاً ، والجسور=

ثلاثاً : (**واطمس على وجوه أعدائنا**) . . إلى (**ولا يرجعون**) . وينفخ إلى جانب الخصم يظهر الإسكات والتحيُّر والاعتقال فيه .

ومن قوله ﴿**يسٓ**﴾ . . إلى : ﴿**ظُلْمًا**﴾ . من ابتلي بحزن أو كيفية لا يلائم استقامة النفس ؛ كالخوف والغضب والحقد والتشويش في أمر المعاش وغيرها فَلْيَتْلُ منها خمس آيات إلى ﴿**غَٰفِلُونَ**﴾ ، وينفخ على قلبه .

وإن أراد عالم أو قاض أن يقع درسه أو قضاؤه على نهج مستقيم فليكتب تلك الآيات في مثمَّن ويحفظ معه ويلازم تلاوتها بعد كل صلاة .

ومن أراد أن يمر بين الأعداء من غير أن يروه ويتعرضوا له فليقرأ ﴿**لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ**﴾ . . إلى ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ وينفخ على الحصى ويرميهم به ، أو يأفف[1] نحوهم .

ومن أبق عبده وأراد تحيره فليتل تلك الآيات أو يكتب اسم العبد على ورقة أو خرقة ويكتب حوله تلك الآية بطريق الدائرة ويعلقها في مكان كان العبد فيه ، أو يلقي في القدر ويجعل اسمه في مُومٍ ويدفن في الخلاء في مقبرة قديمة .

ومن خاصمه أحد بغير حق يقرأ هذه الآيات ﴿**وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ**﴾ . . إلى ﴿**ظُلْمًا**﴾ سبعاً ويأفف إليه ، أو يكتب على ثوبه ويدفنه في مقبرة قديمة أو صحراء غير معمورة ، أو يقرأ على خزف مأخوذ من مقبرة ويلقي في بيته .

وبالجملة أول الآيات إلى ﴿**غَٰفِلُونَ**﴾ صورتها المثالية مناسبة لسعادة المشترى ، وآخرها إلى ﴿**ظُلْمًا**﴾ مناسبة لنحوسة زحل ، وفي

=بالفتح المقدام « مختار » .

(١) أي : ينفخ .

جميع أعمال المشتري وزحل تستعمل هذه الفقرة .

ومن قوله ﴿طسٓ﴾ . . إلى ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ هذه الفقرة صالحة في أنه إذا وقع التناشز بين الزوجين وأشرف نظم صحبتهما على الانقطاع ، أو تخاصم الشريكان في المعاملة فبالتمسك بهذه الفقرة تلاوةً وحملاً يسكن الشغب[1] وتحبس الألسن من المخاصمة والمشاتمة .

ومن قوله ﴿حمٓ﴾ . . إلى ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ هذه الفقرة في إسكات الأعداء وطلب الحشمة[2] والجاه مؤثرة تأثيراً كثيراً ، يقرأ سبعاً فينفخ إلى الخلق أو على سبع حصاة فيرميها إليهم .

ومن قوله ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ . . إلى (**مصير**) نافع من مكائد الشيطان ولطخات السوء ؛ كالسحر وشر العين ، ولاستمطار الجود الإلهي ، وكفاية المهمات وتوسيع الرزق ، ورفع الصيت[3] وعظم الجاه كآية الكرسي .

ومن قوله (**بسم الله بابنا**) . . إلى (**حمايتنا**) هذه الفقرة حصن منيع للداعي من آفات اللصوص والشياطين والظلمة ، ويتخيل حين القراءة إحاطة نور القرآن وليدير يده على أطرافه وحواليه ، ويخط بالعصا حول أمتعته .

وإذا ذهب عند ظالم وغلب عليه خوفه وسطوته يقرأ : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليمنى ويقول : كفايتنا ، ويقرأ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليسرى ويقول : حمايتنا . فإذا وصل إلى مقابله يفتح يديه ويأفف[4] إليه .

---

(١) الشغب بالتسكين - تهييج الشرّ « مختار » .

(٢) أي : الحرمة .

(٣) أي ذكر جميل بين الناس .

(٤) أي ينفخ .

ومن قوله ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ، هذه الآية أنفع الأشياء لطلب الكفاية من شر الأعداء ، فإن كان الداعي ذا حظ من الصلاة يقرأها على نهج صلاة التسبيح في أربع ركعات ثلاثمائة مرة ، أو في ركعتين في كل ركعة خمسين ، وإن كان ذا حظ من الذكر يقرأ واحداً وألفاً إلى سبعة أيام ، وإن لم يتيسر يقرأ بعدد اسم « كافي » مائة وإحدى عشر .

ومن قوله (**ستر العرش**) . . إلى (**محفوظ**) حصن بليغ من شر العين وضرّ الجن والسحر وكل لطخة سوء ، ومن قوله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أبلغ سبب في حفظ النفس والأموال والأولاد من الشر المتوقع . فمن أراد حفظ متاعه من السوس أو اللصوص فليكسره في مربع على كاغذ أو خزف فيجعله في متاعه . ومن خاف قطاع الطريق أو اللصوص أو ظالم يريد التعدي عليه فإن وجد أكثر الحلاوة في الصلاة يصلي على صفة صلاة التسبيح أربع ركعات ويقرأ هذه الكلمات فيها ثلاثمائة ، وإن كان لذته أكثر في الذكر يقرأها واحداً وألفاً إلى سبعة أيام ، وإن قدر كل يوم يقرأ في أحسن الساعات كنصف الليل أو الزوال أو بعد العصر أو قبل الطلوع .

ومن قوله ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، لهذه الآية تأثير بليغ في نفقة الغيب وتحصيل النظام البدني والمنزلي ، فإن كان الداعي من أهل الصلاة يقرأ على هيئة صلاة التسبيح ، وإن كان من أهل الذكر يقرأ بعدد اسم (ولي) بعد كل صلاة .

ومن قوله ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ للحفظ من المضار وطلب نفقة الغيب والنصرة على الأعداء ، هذه الكلمة كيمياء عجيب التأثير ، يقرأ بعدد « رزاق » وبعدد « كافي » وبعدد « حفيظ » وبعدد[1] . . .

---

(١) كذا في الأصل ، والله أعلم .

وبالجملة بعدد كل اسم مناسب لحاجته مؤثر .

ومن قوله (**بسم الله**) . . إلى (**عليم**) لهذا الدعاء تأثير بليغ في حبس كل ضار عن ضرره كالسبع والهامَّة[١] ، والماء البارد للمبرود والحار للمحرور ، ودواء وغذاء يحتمل ضرراً أو عيناً عليه ، أو السحر والأوجاع والأورام وأمثالها ، وإن خاف من وقاحة من له سوء الخلق يقرأ ثلاثاً وينفث على ما يخاف منه أو إليه ، وإن لم يكن حاضراً يستحضر صورته في الخيال ويقرأ بنيته مكرراً .

ومن قوله (**لا حول**) . . إلى (العظيم) مؤثر بليغ في رد السحر والعين ، والرجعة في دعاء السوء وهمة أهل الهمة وأمثالها والتأثير العميق .

(باسم الله الذي) إلخ . . في دفع المضار المحسوسة ، وأغلب تأثير (لا حول) في غير المحسوس .

وأيضاً يقول رضي الله عنه : يقرأ حروف الهجاء من أولها إلى آخرها بنَفَس واحد ، ويتصور الشيخ أبا الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى ويستمد منه .

وفي (سخِّر لنا هذا البحر) يشير إلى المقصود ، وإذا قرأ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كرره ثلاثاً ويضم في المرة الأولى مع كل حرف أصابع يده اليمنى ويتخيل حصول المطلوب ، ويفتحها في الثانية متخيلاً فتح المطلب ، ويفعل في الثالثة كالأولى .

وإذا قرأ (انصُرنا) فتح الخنصر ، ويفتح البنصر في آخر (وافتح لنا) ، والوسطى في آخر (واغفر لنا) ، والسبابة في آخر (وارحمنا) ، والإبهام في آخر (وارزقنا) وليبدأ بالخنصر في القبض والبسط .

---

(١) والهامة : من طير اللّيل « مختار » .

ومن (واطمس) . . إلى (ولا يرجعون) يشير باليد اليمنى إلى الأعداء والشياطين متخيلاً لهم ، ويكرر ثلاثاً (شاهت الوجوه) ويضرب يده اليمنى على الأرض ملاحظاً هلاكهم ، ويفتح بـ﴿حمٓ﴾ الأول : أمامه ، والثاني : خلفه ، والثالث ، يمينه ، والرابع : يساره ، والخامس : فوقه ، والسادس : تحته . ثم يقرأ على نهج الدعاء رافعاً يديه من (رفعت) . . إلى (عاهات) ويلحظ مطلبه ، ثم يقرأ سابع الحواميم وينفخ على يده فيمسح تمام ما يصل إليه اليد من البدن .

وفي ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الثاني يضم أصابع اليد اليمنى بكل حرف فيقول (كفايتنا) ويفتحها في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ بكل حرف فيقول (حمايتنا) ويكرر ثلاثاً كل واحد من ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ومن ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ومن ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ وعند بعض سبعاً في الآخر وهو أولى ومن (**بسم الله الذي**) إلى (**العليم**) ثلاثاً وكذا من (لا حول) إلى (العظيم) ويكرر آمين ثلاثاً .

الأسماء الجمالية والجلالية

وأيضاً يقول رضي الله عنه **وقدَّسنا بسره الأقدس** : يقرأ في الأمور الجمالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجمالية مثل يا ناصر يا فتاح يا غفار يا رحيم يا رزاق يا حافظ يا وهاب ، وفي الجلالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجلالية مثل يا قابض يا خافض يا مُذلّ يا جبار يا قهار ، مثلاً من (يا علي) إلى (رحيم) فقرة واسمها « يا كافي المهمات » يقرأ لكفاية المهام سبعين مرة .

ومن (نسألك) إلى (الغيوب) فقرة ، والاسم يا حفيظ يقرأ للمحافظة وترقيات الباطن سبعين ، وكذا (يا عاصم) اسم هذه الفقرة يقرأ للعصمة

عن المناهي والمعاصي سبعين .

ومن (فثبتنا) يا مثبت القلوب للطمأنينة وسكينة القلب . وفي (انصرنا) يا ناصر للنصرة سبعين ، وفي (سخر لنا) إلى (كل شيء) يا مسخر لتسخير القلوب بالعدد المذكور ، وفي (وافتح لنا) إلى (الفاتحين) يا فتاح للفتح بالعدد المذكور ، وفي (واغفر لنا) إلى (الغافرين) يا غفار للمغفرة سبعين ، وفي (وارحمنا) إلى (الراحمين) يا رحيم للترحّم سبعين ، وفي (وارزقنا) إلى (الرازقين) يا رزاق ارزقني للرزق ، أو آية ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أو اسم يا رزاق ارزقني رزقاً طيباً واسعاً بغير حساب (سبعين) ، وفي (واحفظنا) إلى (حافظين) فقرة ، والاسم يا حفيظ يقرأ سبعين للمحافظة ، وفي (واهدنا) إلى (الظالمين) الاسم يا هادي للهداية (وهب لنا) إلى (قدير) يا وهَّاب للهبة وإعطاء المقاصد .

وفي (يسر لنا) إلى (أبداننا) يا ميسر لكلِّ عسير لسهولة المشكلات .

وفي (وكن لنا) إلى (أهلنا) يا حافظ للمحافظة في السفر .

وفي (واطمس) إلى (يرجعون) يا شديد الانتقام لهلاك العدو أو يا مذل للذلة .

وفي « يس » إلى « حم » يا عليم لزيادة العلم ، وفي (حسبي الله) إلى (العليم) لتليين قلوب المؤمنين .

والعدد في كل واحد سبعون ، ومن قرأ هذه الفقرة سبعاً في الصبح وسبعاً في المساء لكل قصد جعله الله تعالى صادقاً فيه صادقاً كان أو كاذباً . انتهى ما في « المناقب الأحمدية » ١٢١ .

حزب النصر

ومن وظائف الشاذلية حزب النصر للإمام الشاذلي .

قال رحمه الله تعالى وأمدنا بمدده : من قرأه أو حمله رزقه الله النصر على أعدائه ، وكفَّت أيديهم عن أذيته ، وعقدت ألسنتهم عن غيبته ، وطمست قلوبهم عن ذكره ، وإذا كان في جيش لا ينهزم بإذن الله تعالى كما جرّب وصح ، ومن قرأه أو حمله فقد نجا من كل بلاء وسوء ، وله فضائل لا يعلمه إلا الله تعالى . انتهى من خط محمد طاهر القراخي قدس سره .

وفي « الأنوار القدسية » : حزب النصر وهو لتدمير الظالم وله سرٌّ عجيب وأمر غريب ، يقرأ في المهمات وللتبرك في سائر الأوقات . انتهى عبارته ٢٢٥ . وله شرح لطيف وخواص كثيرة ولم أذكرها هنا خوف الإطالة والملالة فإن أردت الاطلاع عليها فاطلبها من هامش « مجموعة الأحزاب » للقطب أحمد ضياء الدين قدس سره من الجزء الأول تجد البيان .

الحزب الكبير « حزب البر »

ومن وظائف الشاذلية أيضاً الحزب الكبير المسمى بحزب البر الذي كان الشاذلي يقول في حقه : إنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه ، وقال : من قرأ حزبي هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

قال سيدي عبد الله رحمه الله تعالى : يعني له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة . انتهى .

وقال : من حفظه فإنه من أصحابي . نفعنا الله بِمنّه وكرمه وله شرح نفيس عجيب سمّي بـ« تنوير الصدر » قد جمع فيه مؤلفه رحمه الله من

العلوم والفوائد كل مهم ، وهو مكتوب في هامش « مجموعة الأحزاب » من أول الجزء الأول .

وفي « الإتحاف » شرح « الإحياء » ما يصرح أن لمؤلفه رحمه الله شرحاً لهذا الحزب لكن لم نره ولم نصادفه ، و للشاذلي أحزاب كثيرة وكلها مجموعة في « الأنوار القدسية » و« مجموعة الأحزاب » فمن أراد فليراجع إليهما .

الصلاة المشيشية

ومن وظائف الشاذليين الصلاة المشيشية الْمَمزوجية التي جرت عادتهم بقراءتها صباحاً ومساءً ، وقد أجازني بقراءتها وتلقينها الشيخ المحترم سيف الله قدس سره ، وكتب لي بذلك مكتوب الإجازة بخطه الشريف . وذكر صاحب « أفضل الصلوات » كلاماً في حق الصلاة المشيشية فقال : هذه صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش وهي من أفضل الصيغ المشهورة ذات الفضل العظيم .

قال العلاَّمة السيد محمد عابدين صاحب « حاشية الدر » في ثبته : صلاة الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى والدال عليه ذي الطريقة السنية المستقيمة ، والأحوال السنية العظيمة ، شريف النسب وأصيل الحسب سيدنا ومولانا السيد الشريف عبد السلام ابن بشيش - يقال بالباء فى أوله وبالميم - الحسني المغربي ، التي أولها : اللهم صل على مَن منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار . . إلخ . قد أوردها الشهاب أحمد النخلي وتلميذه الشهاب المنيني في ثبتيهما ، وذكر النخلي أنها أخذها عن الشيخ أحمد البابلي والشيخ عيسى الثعالبي قال : وأمراني أن أقرأها بعد صلاة الصبح مرة وبعد صلاة المغرب مرة .

قال ورأيت في بعض التعاليق : يقرأ ثلاث مرات بعد الصبح وبعد

المغرب وبعد العشاء ، وفي قراءتها من الأسرار ومن الأنوار ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبقراءتها المدد الإلهي والفتح الرباني ، ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر ميسَّر الأمر محفوظاً بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبليات والأمراض الظاهرة والباطنة ؛ منصوراً على جميع الأعداء ، مؤيداً بتأييد الله تعالى العظيم في جميع أموره ، ملحوظاً بعين عناية الله الكريم الوهاب وعناية رسوله ﷺ وعلى الآل والأصحاب ، وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ** ﴾ انتهى .

وقد زاد بعض أكابر العارفين من مشائخ الطريقة الشاذلية فيها زيادات شريفة مزجها بها وجعلها وظيفة له يقرؤها أهل طريقته العلية صباحاً ومساء ، نفعنا الله بهم . انتهى عبارته ١١٠ .

ورأيت في هامش « دلائل الخيرات » ما لفظه هذا : ومن واظب على قراءتها بالنية الخالصة يكون من أهل الحظوة . انتهى .

اعلم أيها الولد – جعلك الله ممن يقر عيني به آمين – أن الشيخ المحترم خالد سيف الله قدس سره بعد ما أجازني في تلقين الطريقة الشاذلية كتب إليّ مراراً بتلقينها وتكثير أربابها ، والاجتماع لقراءة أورادها ووظائفها ، بيد أنّ الناس في ديارنا لما كانوا منذ زمان قد أَلِفوا بالنقشبندية والحال أنهم لم يعرفوا الشاذلية ولم يسمعوها ولأجله كنت قصّرت في إجرائها وتلقينها نظراً إلى قلّة رغبة الطالبين إليها ، ولعله قدس سره اطلع على هذا بكشفه فحينئذٍ كتب إليَّ ما نصه : **واعلم أيها المحبوب أظن أنكم تستقلُّون قدر الشاذلية وتسامحون في إدارتها ، فأسألكم بالله تعالى أن تجتهدوا في إدارتها وتحضُّوا إليها الناس ، فشمس هذه الطريقة تطلع وتقوى يوماً فيوماً** ، ولا تغرب شمسها بعد ويكثر أهلها ومحبّوها ، ففضائلها غير معدودة ، وهي معنعنة من الأغواث والأقطاب ، وفيها

فضائل مخصوصة ليست في غيرها ، وعَضَّ عليها بالنواجذ ، ولأجل عدم أهلها صارت الآن كعنقاء مغرب ، فعن قليل يتشعشع نورها ويزيد نماؤها ويكثر أربابها ولعلك لا تترك ختمها بل توسع دائرتها وفق الإمكان ، والله المستعان . انتهى . من خطه رضي الله عنه .

وسألته رحمه الله تعالى : هل يجوز اجتماع الشاذليين والنقشبنديين في مجلس واحد ؟ وهل يجوز أن يقرأ كل منهم ختم الآخر أم لا ؟ فكتب قدس سره في الجواب بما نصه :

ولقد سرّني هذا الخطاب الذي يُعْلن محبة اجتماع بعضهم بعضاً في الذكر ، لما أنَّ ذلك إن شاء الله تعالى من **علامة الجمع والوداد الذي هو رأس الدين الحنيفيّ** الذي قال تعالى في حقهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ إلخ . .

فاعلم أيها الأعز أنَّمَا مرادنا الأهم الجمع لا الفرق ، فتحرضهم على الجمع كيف كان ليجمع عند الله وعند الناس شملهم[1] ، **وترخِّص للنقشبنديين للذهاب والجلوس في الختمات مع الشاذليين وبالعكس ،** فأما ذهاب الشاذليين لختمات النقشبنديين فأمره واسع بل هو مستحسن حيث كانوا من والد واحد خاصة ، ومن آبائنا المعنوية من له الإجازة التامة في خمس طريقة[2] ، بل في عشر بل أزيد حتى قال شيخنا وروحي فداه - : **كان شيخنا سيدي السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني قدس سره مأذوناً في أربعين طريقة .** هكذا سمعت من فمه ، ومَنْ التقانا من السادات في عدة[3] طرائق كثيرة من مشائخنا ، وكذا من مريديهم ،

---

(١) وجمع الله شمله أي : ما تشتت من أمره ، وفرق الله شمله أي : ما اجتمع من أمره . « مختار » .

(٢) عله طرائق (هامش الأصل) .

(٣) أي الكائنين (منه) .

وأما في حق ذهاب النقشبنديين لختمات الشاذليين فذلك ليست بمحال ، بل يحتمل أن يفوزوا بكلتا الحسنيين وينالوا بذلك فوز الدارين ، ولقد سألت العارف ذا الجناحين الحاج خَصْبُلات أفندي النقشبندي الكُستاكي خليفة القطب محمود الفعال قدس سره عن جلوس المريدين بعد الصلوات المفروضات معه بالحلقة بالذكر الجهري وفيهم الأجنبيون الذين نهى السادات عن دخول أجنبي لكن[1] في الختم وهل[2] لذلك وجه ؟ فأجاب لي ولله الحمد ، وقال : سألت شيخنا العارف القطب الغارف من بحر الفيوضات شيخنا ومرشدنا محمود الفعال صدوق المقال قدس سره عن ذلك السؤال بعينه ، **فأجابه** : إن كان المريد أتم أوراده المعتادة فله اختيار حينئذ للجهر والجلوس في الحلقة بإذن الشيخ ورأيه ، وكفى لنا هذا من هذا العلامة ، وسوى ذلك أن الشيخ في ذلك أمين ، وطبيب للقلوب القاسية والقدسية ، فله أن يأمر المريدين بالمعروف عنده مصلحةً للدين والطريقة .

وأما اصطلاح النقشبنديين بإخراج الأجنبي في الختم ! فهو أمر

---

(١) أي : لكن النهي ، والله أعلم .

(٢) ورأيت في هامش « مناقب الأحمدية » ما نصه : تنبيه ، لا يشترط في الختم والتوجه غضّ البصر ، ولا التخلية من الأغيار ، لأن الأصل عندهم الخلوة في الجلوة ، وهي المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة الطرق قولاً وفعلاً . اللهم إلا أن يشوش الحال ولا تحصل الجمعية التي هي المقصود الأصلي أو يكون موجباً للفتنة في محل . وأظن أن اختراع حضرة مولانا خالد عليه الرحمة إنما يكون لذلك فلا يعمّ فاعرفه ، فراجعه في ٨٤ . ومعلوم متيقن أن الخلوّ عن الأغيار في الختامات والتوجهات أولى وأنسب في زماننا هذا ، ولأجل ذلك مشى أشياخنا على ما مشى عليه القطب خالد قدس سره ، وقد أخذ في جواز منع الأغيار عن مجلس ختماتهم ولو من المساجد فتوى من خاتمة المفسرين محمود الألوسي ، فإن أردت ذلك فراجع « نور الهداية » في ١١ نسختي لمحمد أسعد قدس سره ، ففيه البسط التام (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

ورد من سيد الكائنات ﷺ خوفاً من الأجنبي عن الانتقاد[1] والإنكار ، ولئلا يقع الاختلاف والطعن بسببهم بين المريدين خوفاً من التلفيق ، وأما إذا كان مريدو الطرق من منبع واحد وأمن من الوحشة والفرق ولم يخف من الانتقاد ، فجمعهم هو الجمع الجامع ما لم يخرجوا من اصطلاح القوم ، بأمثال البدعات المخترعة من أنفسهم . وأنت إن شاء الله أمين في حقهم ، وفي حق طرقهم ، ومأذون بالإذن التام المطلق العام ، وأمرهم مفوّض إليك في حق تربيتهم كتربية الطيور نظراً إلى الأحوال والزمان ، وفقك الله ولأتباعك لما يحبه ويرضاه .

وأما قولكم : وإلا[2] فينقبضون ويطلبون ببواطنهم دخولهم في سلك النقشبنديين إلخ . . عياذاً بالله تعالى أيها الموفق عن انقباضهم وتركهم الطريقة العلية ، فمن شذ ! فقد شاذَّ الشاذلي ، فكم قتل بأمثال ذلك ، وكم أمات وأحيا ! فليتوبوا من ذلك ، فإنما هو قطعة كبد الرسول ﷺ ، ونور حدقة[3] عين البتول ، وملجأ الأقطاب ، وفصل الخطاب ، أذاقنا الله تعالى وإياكم من محبته ، ومحبة محبيه آمين .

وأما المريدون الذين ينقبضون بعدم إدخالهم في الختمة فلا تثريب عليهم ، لشربهم بالذوق محبة سماع النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها ، ولقرب العهد لهذه الطريقة الشاذلية **فيعلو أمرها ثانياً** ، **ويتلذذون يوماً فيوماً** ما دامت نياتهم صحيحة وطويتهم صادقة ، فيا لله أيها العزيز ! تجاهد بالله في جمع كلمة المريدين وفق طاقتك ، بل أرجو أن تقع بينهم محبة راسخة نبوية ما دامت إخلاصهم ، **فليذهب كل أحد من الطرفين إلى الآخر بلا إنكار** ، لكن إن قوماً من المبتدعين الدَجَّالين يختمون الختم

---

(١) وناقده : ناقشه في الأمر . « مختار » .

(٢) أي : وإن لم يرخصوا للاجتماع في مجلس النقشبنديين فافهم . (منه) .

(٣) حدقة العين : سوادها الأعظم . « مختار » .

كيف كان بما رأوا في الكتب ، ثم يقومون وقد أدوا جميع ما عليهم ! كأنهم خرجوا من قيد التكليفات فلا يبتئسون بشيء من الذكر وعدمه ، فبه عليكم تعليم المريدين بأنه يلزم عليهم الاجتهاد في الذكر ، خاصة بعد الختمات ! ليكون شكراً لله وذكراً على ما رزقهم من النعم التي لا يقابلها شيء ، لما **أن الختم كأنه كأداء الفدية لجبر ما نقص أو أفرط في ذكرهم** ، ليسألوا عند الختم من الله العفو مما أفرطوا في جنبه تعالى ، وأداء حقوق آداب السادات ؛ أدرجهم الله تعالى مدارج الكمالات ، وأذاقهم حلاوة العرفان والفيوضات ، وأحيانا الله تعالى وإياكم وحيَّانا بالأعمال الصالحات آمين .

فكن أيها الأعز ضنيناً على الختمات . فكما أن الحج من واجبات الإسلام ! والختم أيضاً من لوازم بعض الطرق ووظائفها ، على ما تواتر إلينا من السادات باستجاب الدعوة وإجابتها فضلاً من الله تعالى ، **وهو السبب السني لحضور أرواح السادات** – قدس الله أسرارهم آمين – إلى مجلس الختمات إن كانت سالمةً من البدع . انتهى من خطه قدس سره .

مطلب : كيفية ختم الشاذلية

وسألته رضي الله عنه عن ختم الشاذليين وكيفيته ، فأجاب بما نصه : **فاعلم أيها الولد** الأعز نعم إن لهم ختماً ! وكيفية الختم هكذا قدس الله أسرار أهاليها وذلك أن الختم يكون في يوم الجمعة .

وأكملها أن الشيخ بعد تمام صلاة الصبح يشتغل بالورد وقراءة الصلاة المعهودة ، فبعد إتمام بالجلوس يقوم الشيخ ويفعل الحلقة مع المريدين ، وبقيامه في وسط الحلقة يتوجَّه إلى قلب كل أحد من المريدين بالدوران ، ثم يقول في تلك الحلقة (لا إله إلا الله) كم عدد شاء ، ثم بعد ذلك يقول : الله الله باسم الذات ، ثم يجلس الشيخ مع أولئك المريدين في الحلقة ، ويقرأ قدراً من القرآن وبعض ينشد من القصائد اللائقة للمجلس ، ثم بعد

تمام صلاة الجمعة يجتمع الحلقة ويقول : (لا إله إلا الله) بالإخلاص قائماً ، وهم أيضاً يقولون ثم يجلسون بالذكر ، ثم يقومون ويأخذ كل أحد يد مَنْ يليه ويقومون متحلقين متسلسلين بالأيدي ، وفي أخذ أيدي بعضهم يد بعض معنى لطيف[١] بينهم ، ولا يأخذ يد الشيخ أحد ، ولا الشيخ يأخذ يد أحد لكن الشيخ يكون في الوسط قائماً حينئذ ويكون ذكرهم : (لا إله إلا الله) ، ثم : (الله الله) بقدر الطاقة ، والشيخ يدور في وسط الحلقة بالذكر المذكور معهم ، ثم بعد ذلك يجلسون ويقرأ القرآن الكريم مَنْ هو اللائق من بينهم للقراءة ، ثم بعض منهم برأي الشيخ يقرأ القصائد ، وينشد أبياتاً لتحريك الشوق مما كانت لائقة بالمجلس ، كقصائد سادات الطرق يُحرِّض المريدين إلى الشوق والوجد ولا ضرر في ذلك في اصطلاح هؤلاء السادات ، ثم يتممون أورادهم من بعد صلاة العصر إلى المغرب .

وأما القيام والقعود بعد القيام ! فمفوض لإرادة الشيخ ورأيه ؛ متى شاء يأمرهم بالقيام أو الجلوس .

وللشيخ أن يجلس في طرف الحلقة جهة القبلة ؛ ناظراً إلى جهة المريدين وإقامة خليفته في الوسط للتوجه إليهم قائماً معهم ، وهذا القول وإن لم يكن في رسالة الشيخ مذكوراً لكن العمل كان كذلك ! وسادات الطريقة وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقام التربية لاختلاف الأزمنة والأمكنة وأحوال المريدين فالمقصد الجامع واحد ، وهو الإخلاص في

---

(١) وكتب قدس سره في مكتوب آخر بما نصه : وإن لهذه الطريقة العلية المدنية - يعني الشاذلية - قدس الله أسرار أهاليها ختم يوم الجمعة بعد صلاة المغرب أو العصر ، لكن بالوقوف على الأقدام بربط القلب بأخذ يد كل أحد من المريدين أيدي بعضهم كوضع السلسلة ، مع وقوف الشيخ في الوسط ، **وذلك منهم على سبيل التفاؤل** ، ليأخذ الناجح يوم الفصل الأكبر يد الآخر ، وقد يحصل هنالك المواجيد والصياحات من البعض كما من المجذوبين ، فلا تبتئس بما كانوا يعملون ، انتهى من خطه قدس سره (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

العبادة لما أن لكل وقت دولة ورجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل طريقة اصطلاح وقتيٌّ يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ، ولذلك ترى في كل طريقة ما يخالف الأخرى اصطلاحاً ، كاختلاف اصطلاح النقشبندية السنية الصديقية قدس الله أسرار أهاليها مع اصطلاح هذه الطرق **وإن كان مرادهم واحداً ألا وهو التقوى** ، كما ترى ذلك من كتب القوم ، فيلزم علينا وعلى أمثالنا التسليم في حقهم لأنهم عاملوا الله بقلب سليم ، وما جهلنا من أمرهم أو عثرنا بعدم إدراك العقول يسعه حسن الظن بهم ، وفوق كل ذي علم عليم . كما قال بعضهم : **الاعتقاد ولاية ، والانتقاد جناية** . نرجو الله أن يجعلنا في سلك مسالكهم ، ويحفظنا كما حفظهم عن الخروج في رعاية أدبهم .

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة إلى أن يصل إلى المقام الحقيقي .

واعلم أيها الأمين أن أكثر أمثالنا جلسوا على بساط التربية بالرسم ، ورضوا من النسبة بمجرد الاسم ، وادَّعوا أنهم وصلوا إلى الكمالات ، وخلصوا من رقِّ الشهوات ، وإن كانت طريقة القوم مصونة من الآفات ، ومحفوظة من الدعاوي والارتباكات[1] . ونحن منهم أيضاً ، بل أدناهم ودونهم إلا أن تداركنا رحمة ربنا بحسن ظننا بالله وبعباده الصالحين فقط . فلأجل ذلك لازمٌ علينا القيام التام على رعاية الأذكار والأوراد ، مستعدين وفق الطاقة بكمال الاستعداد .

ومن الناس من يتعرَّضون عن الطرق بناء على اختلاف الواقع في الطرق - كما كان الفقير كذلك مدة - إلى أن يمنّ الله لنا حصة حسن الظن لجميعهم ، وذلك التعرُّض إنما يقع منه[2] - سامحهم الله تعالى منهم - لجهلهم اصطلاحات أربابها ، لما أنه يقع الاختلاف في التعليم حتى

---

(١) وفي نسخة : الارتكابات .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي نسخة (منهم) سامحهم الله تعالى .

باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح ، وسبب الاختلاف فيه مع انفراد القصد وعدم ما ينافيه هو اتساع المجال في طريق الأعمال ، خاصة في هذه الطريقة الشاذلية السنية ﴿**فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ**﴾ وكلها مقررة في كتب القوم ، كما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

وقد قالوا : إن للذاكرين قواعد اصطلاحية فللنقيب أن يراعيها ، وعلى حالة مرضية وأصول شرعية يلزمه أن يجريها ، وعلى الخصوص اسم الصدر[1] يراعي فيه عدم تغيير الاسم ما دام المريد مالكاً لحاله ، وله قوة على ضبط أحواله ، وأما إن غلب عليه الغرام! وحكم على ذاته سلطان الاصطلام[2] فالأمر واسع عند أربابه وللعارفين حكم على أسبابه ، فلله درُّ من قال :

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ... وخامرنا خَمر الغرام[3] تَهتكنا

فلا تلم السكران في حال سكره ... فقد رُفِعَ التكليف في سكرنا عنَّا

وأما إن كان الجمع قليلاً أو حصل مانع فيقتصرون على قراءة الصلاة المشيشية المذكورة ثم يشتغل كلٌّ بورده منفرداً .

وذكر السر ليس له حدٌّ محدود ، **ومن استغرق في الذكر فقد استغرق في بحر مدد الله العظيم** ، ﴿**وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ**﴾ وهكذا مذكور في « الأنوار » ، والله يحكم في عباده ويختار .

ثم إن من المعلوم لديكم **أن نور الذكر وترقِّيه قدره يكون على قدر**

---

(١) وهو الله ، علّه .

(٢) الاصطلام : الاستئصال . « مختار » .

(٣) والغرام : الولوع ، وقد أغرم بالشيء أي : أولع به « مختار » .

حال الذاكر ومقام المريد وترقِّيه يكون بقدر مقام شيخه عنده ، لما أن مقام المريد عند الشيخ يكون على قدر مقام الشيخ عند المريد بلا فرق ، وقد يتعرض[1] المريد على الشيخ ، بقلة ملكة الشيخ أو بعدم حصول نتيجة ما من الصحبة معه ، وذلك لجهالته وعدم ذوقه وخراب عقيدته ، **لما أنه يريد من الشيخ أمانيه ولا يريد تخليص اعتقاده** ومحبته للشيخ إلا أثراً كاذباً من الظاهر ، **وليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرد إرادته** مع عدم خلوصه ومع خراب اعتقاده ، وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط ، واستعداده لذلك بالصدق المرغوب وإلا فلا يحصل له المراد ، ولا يصل إلى المقام بمجرد المصاحبة بالانتقاد ، ولو كان شيخه قطباً أو غوثاً فرداً جامعاً ! ويكفي شاهداً لأمثاله ما شاهد في النبي ﷺ وأصحابه ؛ لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى عليه بقوله عز وجل ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ كيف لم يقدر منه ﷺ إتيانه إلى الحق بذلك الاجتهاد والجهاد العظيم لعدم رؤيتهم إياه رسولاً ؟ بل ساحراً أو مجنوناً ! وكيف فاز من فاز بمجرد رؤيته حتى عُدَّ من أهله ! كسلمان رضى الله عنه ، وبمجرد سماعه ؟ كأويس القرني حتى صار معشوقاً لرسول ذي الجلال ، كما قيل :

فموسى[2] الذي ربّاه جبريل كافر ... وموسى الذي ربَّاه فرعون مرسل

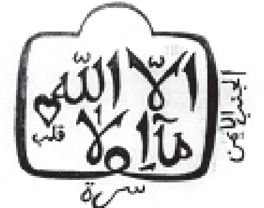
---

(١) يعترض عله (منه) .

* ويقال أن الأخوين إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل ﴿ **أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ** ﴾ « الإحياء » ١٥٨ ج٢ من الجلد الكبير .

(٢) وهو السامريّ ، كان ولد الزنا وقد طرحته أمه إلى الصحراء فربّاه جبريل عليه السلام ، وكان اسمه موسى ، راجع (منه) .

ثم اعلم أيها المأمون أن المحققين من أهل هذه الطائفة قالوا : إن وجود الصادقين في هذا الزمان قليل لاختفائهم حذراً من فتنة أبناء الزمان ، وذلك لكثرة المدعين لهذا الشأن فالمدَّعون كثيرون ، والمخلصون قليلون ، ولا نزكي أنفسنا أيضاً ، وقد اشتبه الأمر على طلابها وتاهوا من الدخول في بابها ، وعمَّت الفترة ، وما نفعت الكثرة ، لأجل استغراقهم في أسباب جمع الحطام حلالاً أو حراماً ، فإذا كان أكثرهم على هذا ! فالويل لأمثالنا المفلسين ، سوى أنا كيف كان لا نيأس من رحمته لمجرد حسن الظن على الله تعالى وعباده ، فلعل الله تعالى أن يجود لنا بفضله ، ويعاملنا بكرمه والله تعالى ولي التوفيق .



وقولكم لقَّنت أوراد الشاذلية إلخ ، لكن علَّمتهم بأنّ كيفية ذكر النفي والإثبات على ما هو المفهوم من كتبهم هكذا مع نقش دائرة هكذا[1] :

مثلاً أقول : جزاك الله تعالى عني بخير حيث تتبعت آثارهم عند الضرورة بما في كتب القوم ، بيد أن الفقير معذور عن الإجابة لهذا الأمر ، لأجل أن ساداتنا لم يفصلوا لي ذلك كذلك ، ولم أقع على مخلص[2] ذلك في الكتب ، إلا أن قالوا : قولوا (الله الله) ، أو (لا إله إلا الله) بالقوة القلبية . فأمر ذلك مفوّض إليك فأنت أمين سرّ الله سبحانه وتعالى - إن شاء الله تعالى - فيما لا يخالف الشرع النبوي عليه الصلاة والسلام . ونسأل الله تعالى ونرجوه بجوده

---

(١) يبتدئ بـ (لا إله) من السُّرَّة إلى الجنب الأيمن ويجرُ منه (إلا الله) ويضربه على القلب كما هو مذكور في « النور الساطع » . (منه) .

(٢) كذا في « الأصول الخطية » ، وفي هامش أحدها : علّه ملخص .

وفضله وكرمه أن يفتح بصائرنا للحق بالحق والصدق ، ويجعلنا معكم أمناء الدين الحق ، والله تعالى يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم إني أوصيكم بما أوصى به ساداتنا بتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلانية ، ورعاية المداراة التي لا تخالف الشرع مع أبناء الزمان لأجل المصلحة العامة ، وأن تدعو لولاة الأمور بالتوفيق والنصر ، وبصلاحية ذات البين ، والأمر لله تعالى وليس لنا من الأمر شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

وأوصيكم أيضاً بالاجتهاد التام لتوسيع نطاق الحلقة ، ولو بإقامة آحادٍ من الخلفاء في كل محلَّة ؛ مَنْ هو متأهل لذلك لأجل المصلحة ، وعسى الله تعالى أن يبقي لكم محاسن هذه الطريقة في ديارنا مدى الزمان ، ويكون سبباً لاندراس طرق المبتدعين والبدع ، وما ذلك على الله بعزيز .

ولقد كنت من قبل أدعوكم بالله بتقليل الأتباع في الطريقة النقشبندية بناء على قلة رعاتها فضلاً من الخلص الصادقين ، وذلك لئلا يكثر الشياطين بكثرتهم ، كما كان أربابها يوصون قبلي بذلك ، بيد أن **بعض الأحكام يختلف باختلاف الزمان لأجل المصلحة الدينية** ، وسوى ذلك : أن في هذه الطريقة وسعة عظيمة ، وذلك من الله تعالى فضل ورحمة ، ومع ذلك لا بدَّ لكم من تلقين النقشبندية ، ولو لبعض المتأهلين من رأيت لذلك أهلاً بلا تركها بالكلية ، فساداتهم شموس الهدى ، وأتباعهم نجوم في الاهتداء . قدس الله أسرارهم وجعلنا في بركاتهم آمين ، انتهى من خطه رضي الله عنه .

وسألته رضي الله عنه عن ترتيب أوراد الشاذلية ، من الاستغفار ، والصلاة على النبي عليه السلام ، والنفي والإثبات ، والصلاة المشيشية الممزوجة ، فبأيٍّ نبتدىء ونقدم من هذه الأوراد ؟ فأجاب بقوله رضي الله عنه : **لك اختيار للتقديم**

والتأخير نظراً إلى حصول الحضور بأيِّ كيفية رأيتها . ولقد كنت سألت من الشيخ حين عاهدت معه بتقديم الصلاة المذكورة المعهودة بينهم عن الذكر بالنفي والإثبات فأجاب : بأنه ﷺ هو الوسيلة المحمودة إلى ذكر الله تعالى ، **فتقديم الوسيلة للتوسل إلى ذكر**[1] **مستحسن** . وكان يقدّم الصلاة من الذكر مرة ، ويؤخّر مرة . وفي بعض الأوقات كانوا يقدِّمون الصلاة المعهودة[2] من الذكر ثم بعد الذكر كانو يصلّون بالصلاة المعروفة : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم . يصلون بها عدداً ، فأنت تفعل في حق ذلك بما رأيته حسناً . والله ولي التوفيق . انتهى من خطه نفعنا الله تعالى به آمين .

وسألته رضي الله عنه عن كيفية توجُّه الشاذلية . فأجاب بقوله : **أقول إنَّ التوجُّه هو التوجه المعروف في النقشبندية** ، بيد أن الرابطة من خصوصها ، ولم يأمرني الشيخ بالرابطة في هذه الطريقة سوى قوله : ينظر الشيخ بنظر روحانيته إلى روحانية المريدين . ومراده من ذلك توجُّهه بالقلب إلى قلوبهم ، لما أن **للشيخ وقتاً يفنى في المريد كفنائه في الشيخ** . **وهذا دقيق** فتأمله . انتهى من خطه رحمه الله تعالى .

وسألته رضي الله عنه عن الرابطة في هذا الطريق بذاتِ مَنْ يفعلها المريد فأجاب : أما الرابطة بذاتي فحاشا بذلك ، وأستعيذ بالله تعالى من الاستدراج والأمر بذلك وبأمثاله ! وإن كنت تريد التوجه كيف كان بالرابطة وإن لم أعهد منهم ذلك فالأليق لك بالقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذلي قدس سره العلي فمنه بلوغ المأمول ، وبواسطته حسن الوصول ؛ وصورته في الكتب مسطورة والله تعالى يوفقك إن شاء الله تعالى برؤية روحانيته أو بروحانية جدِّه عليه الصلاة والسلام . وما لي أن أتكلم وراء ذلك لئلا تقع

---

(١) وهكذا في « مفتاح الفلاح » . (منه) .

(٢) وهي الصلاة المشيشية .

العثرة أو الهفوة إن تجاوزت ، والله أعلم بالصواب . انتهى من خطه قدس سره . وسألته ﵁ مرة أخرى عن هذه المسألة المذكورة فقال : إني أرابط مرة بالشيخ محمد علي الظاهري الوتري ، ومرة بالشيخ أبي الحسن قدس سره . انتهى . قال ذلك بفمّه مشافهة .

وسألته ﵁ مرة أخرى عن تلك المسألة وقد كررت السؤال ، لما أنّ بعض الناس يطلبون الرابطة حين رأوا النقشبنديين يفعلونها . فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : **وأما ما قلت في حق الرابطة للشاذليين فمستحسن ، بل هي من محسّناتهم وهي كما عند النقشبنديين!** ويرابط السالك إما بذات القطب الغوث الفرد أبي الحسن الشاذلي - جعلنا الله تعالى في بركاته - أو بذات السيد محمد علي الظاهري الوتري المدني .

وأما قولكم : هل لا يجوز لي ولهم أن نفعل الرابطة بذاتي[1] ؟ فالجواب لذلك أيها الأمين : **إني لا آمر لأحد أن يفعل الرابطة بذاتي ما دمت في قيد الحياة ، وبعد الممات يفعل المريد على من شاء من السادات ، بذات من رسخت في قلبه محبته ، كما قال لي بذلك مولانا زين الله الشريفي المعموري قدس سره** ، وإني أستعيذ بالله من أمر لم يأمر بها ساداتنا سرج الهدى ومصابيح الطرق ، فإنما نحن في منهجهم وفق الإمكان ففي ذلك الغنيمة والإحسان . انتهى من خطه رضى الله عنه . **ومن هذا الكلام يفهم كون الإذن لرابطة ذاته قدس سره بعد مماته** . والله أعلم .

ومما ينبغي إيراده هنا - وإن كان خارجاً عن المقصود - ما كتبه قدس سره إلى الفقير الحقير قال ﵁ في أثناء مكتوبه : **ثم اعلم أيها الولد الأمين أن الطريقة العلية النقشبندية أفضل الطرق وأعلاها ، وأحوط المسالك وأصفاها** لخواصّ اشتهر لأربابها ، وأمور لا يعرف إلا ذويها ،

---

(١) أي بذات سيف الله (منه) .

لكن مع ذلك طفقت غريبة واقعة بأيدي الجهال مقلوبة ، وعن مسماها متفرقة بكثرة دعاويها مع عدم معرفة اسمها ومسماها ، وجهل اصطلاحاتها ورسومها ، **فلم يبق ظاهراً من أهل هذه الطريقة العلية إلا النادر فالنادر** ، وذلك مع التسمية لعالمها بالكذَّاب الغادر ، وإنْ اجتهدتم إلى جمع الناس إليها فمحال أن يقبلوا إلا بتخليط بعض البدع المستحسنة من الدجَّالين ، وإلا ! فلا يقبلون تلك الطريقة بسبيلها الواضح وسندها الناجح ، إلا الفرد بعد الفرد من الرجال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ! فإن صرت لا تقبل إلا المستعد الصادق ، أو الصالح الصَّفي الفائق ، فتبقى حميداً وحيداً ، وعن تربية السالكين جليداً جميداً إلخ . .

وإذا كان الحال كذلك لازم عليكم قطع النظر عن ذلك إلا إلخ . . وتربية الراغبين كيف كان ، وتكثير السواد منهم بجمعهم على مقتضى الإمكان . وقد كنت نهيتكم عن ذلك من قبلُ ، رعايةً لآداب أهل العرفان ، والله تعالى كل يوم في شأن .

ومع ذلك **لما كان تلقين الذكر للمريد في هذا الزمان في الطريقة النقشبندية باسم الإرشاد لقلة الصادقين خطراً ، وتلقين المراقبة لغير أهلها خطأً وعذراً ! رأيت أن نصحب معها الطريقة العلية الشاذلية الجهرية ، مستمنحاً من فيض فضله تعالى ونواله** ، بناء على أن سادة القوم ممن اختصهم الله تعالى بمحبته . وقد وردنا من أشياخنا السادات أن أكثر القوم يعكفون[1] في آخر الوقت إليها لأجل وصول أثرها سريعاً للسالكين المبتدئين ، لجهرها وسهولة مأخذها ، إلا لبعض النوادر الصادقين في الاستعداد ؛ الذين لهم قوة للخوض في أي بحر شاء .

وقد كنا تربصنا زماناً للجواب لاستعفائي عن إظهار هذه الفضيلة

(١) وعكف على الشيء : أقبل عليه مواظباً ، وبابه دخل وجلس « مختار » .

وإشاعة هذه الموهبة ، **فلما ظهر نور السعادة ولاح ، وكاد أن يرتفع غيم الظلمة وقرب الصباح ، بلغني الأمر المهم من سادات القوم بإجراء أمور الشاذلية ، من طريق الموهبة اللدنية** ، وإن كانت القسمة الكاملة والإجازة التامة في ذلك أزلية ، فأردت إظهارها - إن شاء الله تعالى - لما أن « كلٌّ ميسّر لما خلق له » . **فالتفت يميناً وشمالاً ، وجرَّبت فحولاً وجيلاً ، فلم أرَ أميناً لوضع هذه الأمانة ، وحافظاً لجوهرة هذه القلادة أعزَّ عندي ثقة وخلوصاً منك! فوضعت هذه السلسلة على مفاصلك لتؤدي حقوقها رغماً للدهر وأهله ، وإعانة لمشقة العصر وجورهِ** ، وأرجو أن تقبلها بقلب صحيح ورأي صميمٍ صريح ، فخذها نافلة لك عسى أن يبعثك مقاماً محموداً ، ويجعل سعيك مشكوراً ، فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمين ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، **فيدك يدي ، وأمرك أمري ، وأنت خليفتي في حياتي وموتي** . وأرجو منك تقوى وإطاعته ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، إلى آخر ما قاله قدس سره من خطه .

وسألته ﵁ حين طلب الناس مني المجيء إلى قراهم للتلقين والتعليم ، هل يكون الخير في الإجابة ، أم في القعود في البيت وعدم الإجابة لدعوتهم ؟ فكتب في الجواب بهذه العبارات :

أقول : إني التمست منك ذلك غير مرة ، وكم مرة كتبت إليكم بهذه العبارات ! كنت آمركم من قبل بتقليل الأتباع ، فالآن أسألكم بتكثيرها **فاعلم أيها الولد** أن الأمور مرهونة لأوقاتها ، وفي كل يوم هو تعالى في شأن ، وهذا الوقت وقت لا أقدر أن أصفها كما هي ! بيد أن الفقير يلتمس منك الاجتهاد بالكلية بالسعي والتلقين والتعليم وفق طاقتك ، **وأن تشمِّر ذيلك في نشر طريقتك ولو بأيِّ جدٍّ؛ لما أن ذلك منك جهاد عظيم ، خاصة في هذا الزمان الذي آل إلى الفساد والفتن** . فعليك أيها الولد بذلك المهم العظيم ، وكن مغناطيس الوقت لجذب القلوب إليكم ، والله تعالى

يوفقكم إلى صالح نياتكم . انتهى من خطه نوَّر الله تعالى ضريحه .

ومما كتبه قدس سره هذا المكتوب الآتي ، وهو آخر مكتوب كتبه بيده الشريفة باسمي ، وخاتمة رسالة أرسلها لديّ قبيل موته . ختم الله لنا بخير ، ونوَّر ضريحه ، وجعله فرطاً لنا ولأحبابنا آمين .

قال قدس سره : من العبد الآبق من مولاه خالد سيف الله إلى ولده وقطعة خَلَده ، أمين سره ، وسرور قلبه ؛ حسن أفندي وإلى حليفه ، وخليفه ومهربان[1] سره وسروره ، حبيبنا الحاج حبيب الله ، وإلى أولادهما وعيالهما ، والمرادين والمريدين أهل التقى والدين . السلام عليكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم ، وكان الله معكم ، وجعلكم من شرذمة السادات القادات الذين قال تعالى في حقهم : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ .

وبعد ! فإني أستودعكم الله تعالى من كل ما يورث لكم الندامة ، ومن كل ما يطغيكم ، وأسأله تعالى أن يجعلكم خلَفاء في الأرض ، ورثة للأنبياء ، وأسوة حسنة للمقتدين والمتجردين والصالحين ، وأوصيكم بالاستقامة وترك الدعاوي بالكرامات ، فإن نسبتكم السنية النقشبندية والشاذلية تدوم وتنمو يوماً فيوماً ، وتبقى هاتان النسبتان إلى آخرها صافية عن الكدورات ، مصونة عن البدعات ، رغماً لباقي المتشيخين . فإنّ آثارهم عن قليل تزول ، ولا يحصل لهم منها إلا الفتن والنزول . فاجتهدوا فيما كنتم عليه من الوراثة العظيمة ، وإن سبب أفول نجوم المتشيخين إنما هو بسبب كثرة دعاويهم بالمشيخة[2] مع عدم الإذن من شيخهم ، إلا بالافتراء على شيخهم بالأكاذيب القولية والعملية لمجرد حوز الحطام ؛ كما هو معلوم لكل أمين لبيب ، وسيظهر لكم بعد الآن منهم رجلٌ يكون سبباً عظيماً في إبطال الطريقة باختراع بدع فيها ، ولا يطول أمره أيضاً ؛

---

(١) وفي نسخة : قهرمان .

(٢) مَشْيَخَة : بفتح الميم والياء بوزن متربة . « مختار » .

فأصحابه يكونون فتّانين للخلق زمناً يسيراً ، والله تعالى يحفظ دينه القويم .
ثم اعلم أيها الولد الحبيب أنّ شأن الدنيا هكذا ! كل وقت تؤخر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص . وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم ، بيد أن الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ، ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته دهري بَلعَلَّ وعسى ، بيد أن الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا من خصه الله تعالى لها . **وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده وفي جميع الإجازات التي أجزت فقد أجزتك في جميعها** . وكذا في الثبات العلمية والطريقية والأويسية ، فإن ساعدني الإله في الأجل ولو قليلاً فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح الخان كرماني ، ومحمد نور البخاري ، وشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني ، وما لم تصل لنا الشجرة[1] بالرسم إلا بالقول المحض فلا نذكره ، فلا حاجة لذكرها وإطالة القول ، والله تعالى ولي التوفيق ، وبيده أزمَّة التحقيق .

ثم إني في هذه الأيام لفي ضعف ووهن ، والحامل ولدي غَزَمِّ يخبركم عن الحقيقة ، ولقد هممت غير مرة لدعوتكم لأراكم قبل أن أرتحل من هذه الفانية ، بيد أن أموراً مَنَعَنِي عن ذلك ، **ورؤية القلب والبصيرة آكد وأولى من الرؤية بالبصر ، وأنتم عن فؤادي لا تزالون ، وفي صميم قلبي نازلون** ، وقد أودعتكم ولدي أرسلان حسين ، فكونوا له آباء وإخواناً ، ولا تقطعوا عنه نصائحكم ، فعسى الله تعالى أن يجعله من صلحاء الأمة ، كما أخبرني وبشرني به سيدنا ومولانا الكيلاني قدس سره ، وعسى الله تعالى أن يظهر سرّه ، وذلك على الله يسير .

---

(١) وهي كناية عن صك الإجازة ، فافهم . (منه) .

وأما أمور هذا الزمان فهي كالطوفان تعمُّ الخلق ، ولا يخلص منها إلا النادر الشاذ - وأرجو أنكم منهم - فكونوا على بصيرة في كل أهبة مع مَن تبعكم كما قال تعالى ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وإياك والاستعجال بالإجابة بدعوة كل أحد ! لما أن الداعين ليسوا إلا لأغراضهم الشخصية ، وعسى أن يدعوكم داعي الحق للحق بالحق ، والله مع الصابرين . واقتصرت في الكلام بالضرورة لعدم الطاقة لرسمه ؛ هذا والسلام عليكم ومن العيال ألوف التسليمات ، وصنوف الدعوات ، وأوصيكم بالدعاء ، وباقي الأحوال منوطة للحامل غَزَمٍّ يخبركم ، ثم إن ما كتبت في حق فلان[1] فقد قطعت النظر عن كتبتها فقد ابتلي بالتلبيس - عياذاً بالله تعالى - ولا يطول أمره ، بيد أن المداراة مع أمثاله من علاجات أمراض الزمان فافهم . ومني التسليمات لجماعتكم صغاراً وكباراً ؛ ذكوراً وإناثاً ، وأوصيهم بالدعاء . انتهى من خطه قدس سره . فهذا آخر مكتوب كتبه لديَّ قبل وفاته .

---

(١) قوله فلان ، قد كان الشيخ قدس سره كتبه بذكر اسمه صريحاً ، لكني كرهتُ أن أذكر اسمه في الكتاب إلاّ بالكناية خوفاً من الفتنة ، وكان الرجل ممن أخذ عنا أوّلاً ، بَيْدَ أنّه أسآء معنا الأدب ثم ذهب لدى الشيخ سيف الله قدس سره وعلّمه الشاذلية لكن أسآء أيضاً معه الأدب ، وقال له : لو علمتُ أنّك لا تلقنني إلاّ الشاذلية لما جئتُ لديْك أبداً . وقد رأيت في المكتوب الذى كتبه الشيخ بخطه ما حاصله : أنّه تكلم بكلمة لو ألقيت في البحر لا نكدر به . فبشؤم سوء أدبه مع أشياخه قطعوا عنه النظرات فتغيّر حاله وادعى بعد ذلك القطبانية العظمى ، وزعم أنّه خليفة النبي عليه السلام وتكلّم بكلمات عجيبات مموّهة مزخرفة ، وارتكب أموراً ليس لها أَصْل ولا أثر . وقال : إنّه ليس في الدنيا طريق يفتح به باب الوصول إلا طريقته ، وإن طريقته ناسخة لجميع الطرق ، وصَنَّفَ كتاباً كأخبار الجنّ ، فلذا كنت سألت الشيخ رحمه الله عن أحواله بالقلم ، فكتب في الجواب هذه العبارات وقد ظهر الآن أمره بين الناس كنار على علم ، وافتضح وودعه الخلق بالسلام ، فللّه در القائل : من تزيّن بما ليس فيه فهو يفضحه مجربات الزمان . فنعوذ بالله من تلبيسات الشيطان وتسويلات النفس . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

لكن لاقيت معه بعد ذلك ، وألبسني خرقته البيضاء التي أورثها من شيخه قطب الوقت زين الله الشريفي المعموري الترويسكي قدس سره بيده المباركة ، والحال أنه قائم وأنا أيضاً قائم ، ودعا لي بـ : اللهم ألبسه لباس التقوى ، ولم أفهم من دعائه إلا هذا اللفظ . وقال بعد ذلك : يا ولدي إن واحداً من قوم فرعون لبس عليه مثل لباس موسى عليه السلام ، استهزاءً به وسخرياً ، ولأجل ذلك نجا من الغرق حين يغرق فرعون وقومه . قال ذلك لإعلام حصول البركة من لبس تلك الخرقة ، فحصل لي بعد لبسه حيرة ودهشة وبكى الحاضرون ، بل بكى بسبب رؤيتها الناظرون ، وكان هنالك الحاج حبيب الله وسَكِتَوْ وغزم ، وحين خرجت من المجلس لاقاني أخونا المحبوب العالم القاضي حبيب الله القحي فصاح صيحة ، وبكى بكاءً . وهكذا قد أثَّر برؤيتها الناس ، وأقرَّ الكل بتأثيرها . وقال الشيخ قدس سره وقتئذ : هذه الخرقة ألبسني الشيخ محمد مراد القزاني[1] صاحب « معرب الرشحات والمكتوبات » بأمر الشيخ زين الله المذكور ، لأنه كان لا يقدر أن يقوم لوهنه وضعفه ، وقال : هذه خرقة النقشبندية وسيصل إليك يا ولدي خرقة الشاذلية . انتهى .

وبعد المفارقة مرض هو في أيام ، وقال مَن كان معه بأنه لم يزل يذكر هذا الحقير الأقلَّ من كل قليل إلى آخر نَفَسِهِ ، حتى قال قبيل خروج روحه : هَيْ أَمَنْ حسن ما رأيتك جمعنا الله تعالى معك في دار السلام . انتهى . وأوصى قدس سره قبيل الموت بإعطاء تلك الخرقة إلى يد هذا الحقير ، فجزاه الله تعالى عنا وعن أهلنا وأحبابنا خيراً ، ولا حرمنا من بركاته وبركات أشياخه آمين . وقد كان قدس سره يَحُلّ[2] لنا كل إشكال ،

(١) وفي نسخة : المنزولي .

(٢) حلّ العقدة : فتحها ،فانحلت وبابه ردّ « مختار » .

ويكتب إلينا الغرائب وينصحنا ، وعندنا من مكاتبه ما يعسر عدُّها ، وقد جمعتها في مجلد ، وكان قدس سره يلاطفنا ويدارينا ويلاحظنا في المضرات والمسرات ، ويظهر الرضاء عنا ، وإن كنا غافلين قاصرين . أعاذنا الله تعالى من المكر والاستدراج آمين .

ومما كتبه قدس سره باسم الفقير الحقير هذه الأبيات الآتية وقد كتبتها هنا للتبرك .

يا حبيب القلب بالي في الخطوب[1] ... في أمور ليس لي غير الصعوب

يا أنيس الروح مالي مونس ... غيرك المرجوُّ في خطب الكروب

طيفك الميمون في قلبي سرى ... سيرك المحمود علام الغيوب

أنت نِعْمَ الِخل يا نجم الهدى ... أنت سرِّي أنت مفتاح القلوب

كيف لا أنت سرور الفقراء ... يا وَصيَّ القطب مفتاح الشعوب

عجباً كيف أتى تاريخكم ... جاء فيَّاضاً لإحياء القلوب

سيفك المغلول ساهٍ بالضنى ... يا حبيب القلب بالي في الخطوب

وكتب أيضاً :

أنا راضٍ منك يا كلَّ المنى ... بالذي تهوى على حكم الغرام

لست أبغي من زماني حاجة ... غير أن تحيا سعيداً والسلام

انتهى من خطه

غيره :

سلام على شوقي لمن كان غائباً ... سلام على صبري وإن ساءه فعلي

---

(١) الخطب : سبب الأمر ، تقول ما خطبك ، قلتُ قال الأزهري أي ما أمرك ، وتقول : هذا خطب جليل وخطب يسير ، وجمعه خطوب . انتهى « مختار » .

سلام على نور الهدى وأمينه　　سلام على حاوي المحاسن والفضل

أودِّعكم والقلب غير مودّع　　وأدعو لكم بالخير في سَجف الليل

انتهى من خطه .

وقد أكثرت الكلام في هذا الترغيب بكتبة مهمات من مكاتب الشيخ المذكور قدس سره مع أن مقصود الكتاب ليس إلا الترغيب ، لأن في هذه المذكورات تنبيهات نفيسات لمن تأمَّل وتدبَّر ، فلعل الولد المعلوم لا يسأم ، **فإن سآمة الولد لكلام الوالد من علامة سوء الخلق ، والاعتراض على فعله سمٌّ قاتل من حيث لا يدري** ، وإني ما كتبت في هذا الكتاب شيئا ما إلا لحكمة أعلمها ، فمن كانت بصيرته صافية يدركها وينتفع بها ، ومَنْ لا فلا ، والله ولي الهداية ومولي النعمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

الترغيب الثامن

في بيان آداب الذكر

أيها الولد قد مرَّ أن الذكر عبارة عن طرد الغفلة ، وأن الداعي والسائل ذاكر . . وإلخ وإلخ ، فينبغي لك أن تتعلم الآداب وتستعملها في مواضعها سواء كنت في الذكر ، أو في الدعاء والسؤال ، أو في التعليم والتعلم ، أو فى القراءة والتفهم فإن التصوُّف كله أدب ، وبه وصل من وصل ، وبتركه حُرِمَ من حُرِمْ ، ومن المعلوم أنّ من أساء الأدب عند الملك أو السلطان من خدمائهما رُدَّ إلى الباب ، ومن أساء عند الباب رُدَّ إلى إصطبل الدواب . فكلَّما يعده الناس أدباً مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى ، وعكسه بالعكس فافهم . فأقول وبالله التوفيق : قال سيدي عمر بن

سعيد الفوتي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم » اعلم أن للذكر آداباً لا بد من مراعاتها ، ثم اعلم أن المراد من الذكر تحقيق الأنس بالله تعالى والوحشة من الخلق . **وآدابه اثنان وعشرون** : خمسة منها سابقة على التلفظ بالذكر :

أولها التوبة : وحقيقتها ترك ما لا يعنيه ، قولاً وفعلاً وإرادة .

والثاني : أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث .

والثالث : السكوت والسكون .

والرابع : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر همَّة شيخه ، ويستحضره ، ويلاحظه ، ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ، ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الحاجة جاز . قال الشيخ جبريل الخرمابازي[١] قدس الله تعالى سره العزيز : فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدُّ منه ، إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية ، وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية ، فالذاكر إذا تصوَّر شيخه واستمدَّ من ولايته تفيض الإمدادات من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ﷺ ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على استعمال الآلة أي الذكر ، إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث[٢] ويقع محصِّلاً للغرض ، وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر ، قال ﷺ : « الذكر سيف الله » ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة بني السيف ؟ فإذا استمد من شيخه جاءه المدد

---

(١) وقد مرّ فى الترغيب الأول . (منه) .

(٢) وهكذا في النسخة التي عندنا ولعله يؤثر ، فافهم . (منه) .

لقوله تعالى ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ ، لأنه نائبه .

واثني عَشر منها في حال الذكر :

أولها : الجلوس على مكان طاهر متربعاً ، أو كجلوسه في الصلاة مستقبل القبلة إن كان وحده . وإن كانوا جماعة فيتحلَّقون . وفرَّق بعض المتأخرين بين المبتدىء والمنتهي ! فقال : إن المبتدىء يكون كجلوسه في الصلاة ، والمنتهي يكون متربعاً .

والثاني : أن يضع راحتيه على فخذيه .

والثالث : تطييب مجلس الذكر ، والبدن ، والفم ، وبعد الرائحة الكريهة ، لأن مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمني الجن ، **والروحانيون لا يقبلون الروائح الكريهة ، فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق** .

والرابع : لبس اللباس الطيب حلاً ورائحة .

والخامس : أن يكون المكان مظلماً ، حتى أن لو كان هناك سراجاً أطفأه إن كانوا في خاصة أنفسهم ، وهذا إن أمكن المكان المظلم .

والسادس : تغميض العينين لأنه أسرع في تنوير القلب ، فبتغميض عينيه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، **وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب** .

والسابع : أن يخيِّل خيال شيخه بين عينيه . وهذا آكد الآداب .

والثامن : الصدق ، وهو استواء السر والعلانية .

والتاسع : الإخلاص ، وهو تصفية العمل من كل شَوْب[1] ، بأن يفرغ قلبه عما سوى الله تعالى ، حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ، ولا ثواباً ولا ترقياً ، وإنما يذكر الله تعالى حباً في الله كما قال :

أحبُّك لا لي بل لأنك أهله   وما لي في شيء سواك مطالع

وبالصدق والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصِّدِّيقية[2] وهي أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه ، وإن لم يظهره كان خائناً[3] والله لا يحب الخائنين .

والعاشر : أن يذكر بهمَّة تامة ويميل برأسه إلى الجهة اليمنى بـ(لا) ويرجع بـ(إله) إلى جهة صدره ، وبـ(إلا الله) إلى جهة القلب وهو اليسار تحت الصدر الأيسر ، ويقتطفها من سُرَّته إلى قلبه ، حتى تنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديّة ، ويخفف ويمد الألف مداً طبيعياً أو أكثر ، ويفتح الهاء من (إله) ويسكِّن الهاء من (الله) .

قال الشيخ يوسف العجمي رحمه الله تعالى : قد اعترض بعض الفضلاء على الذكر بالجهر مستدلاً بقوله تعالى ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** ﴾ وقوله ﷺ : « خير الذكر ما خفي » وأجاب الشيخ يوسف المذكور فقال : إن الله تعالى خاطب عباده بمثل قوله ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ وخاطب الخاصة بقوله تعالى ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ** ﴾ وخاطب سيد أهل الحضرة محمد ﷺ بعد أن عرَّفه بنفسه وبربه

---

(١) الشوب : الخلط وبابه قال ، والشائبة واحدة الشوائب ، وهي الأقذار والأدناس « مختار » .

(٢) عبارة « المتممات » : التاسع : الإخلاص لأنه يصل به الذاكر إلى درجة الصديقية ، بشرط أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه . . إلخ . وراجعه في١١٧ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وحرم الفتح « متممات » .

بقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ فمن لا يعرف نفسه ولا ربه فكيف يذكر ربه في نفسه ؟ بل هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وأما الذكر الخفي ! فهو ما خفي عن الحفظة ، لا ما يخفض به الصوت ! وهو أيضاً خاص به ، وبمن له أسوة . وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته ! فقال النبي ﷺ : دعه فإنه أوَّاه والأوَّاه رقيق القلب .

وروي : أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر ، فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب ﷺ أن قوُّوا الذكر أي ارفعوا أصواتكم . قال الشيخ يوسف المذكور : والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما ، وبين الحديث والأثر : أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة ، وأما إذا كان الذاكر وحده ! فإن كان من الخواص فالأولى في حقه الإخفاء ، وإن كان من العوام فالأولى في حقه رفع الصوت .

والحادي عشر : إحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة ، ويصغي حال الذكر إلى قلبه مستحضراً للمعنى ، حتى كأن قلبه هو الذاكر .

والثاني عشر : نفي كل موجود من القلب سوى الله تعالى بـ (لا إله إلا الله) ليتمكن تأثير (لا إله إلا الله) بالقلب ، ويسري إلى الأعضاء .

وخمسة بعد الفراغ من الذكر :

الأول : أنه إذا ختم سكت وسكن ، واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه ، مترقباً لوارد الذكر ، فلعله يرد عليه وارد في لمحة ، ويغمر وجوده في لحظة ما لا تغمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع ، أو تحمل أذى ، أو سخاء ، أو كشف ، أو محبة ، أو غير ذلك . فإذا سكت وسكن وختم نفسه مراراً دار الوارد في جميع

عوالمه ، فيجب عليه التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب .

والثاني : مراقبة الله تعالى كأنه بين يديه .

والثالث : أن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة ، كحال الهرة عند اصطياد الفأر .

والرابع : يذم نَفَسه مراراً حتى يدور الوارد في جميع عوالمه ، لأنه أسرع في تنوير البصيرة ، وكشف الحجب ، وقطع خواطر النفس والشياطين ، **لأنه إذا ذم نفسه وعطّل حواسَّه صار يشبه الميت ، والشيطان لا يقصد الميت** .

والخامس : عدم شرب الماء إثر الذكر ولا في أثنائه ، لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجلِّيات والواردات والشوق والتهييج إلى المذكور ، وشرب الماء يطفىء تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية ، وكلما كثر كان أحسن ، حتى إن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية . انتهى ملخصاً من « الوصايا القدسية » و« تحفة الأحباب والخلان » والله تعالى الموفق بمنه للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب . انتهى عبارته ٤ ج٢ .

أقول - والله المستعان - قول يوسف العجمي المار ذكره آنفاً : (وأما الذكر الخفي) إلى (وبمن له أسوة) دليل صريح للنقشبنديين ، فإن مبنى طريقتهم على إخفاء الذكر ومنع الجهر ، وقد تعنعن الذكر الخفي من الصَدِّيق الأكبر ﷺ ووصل إلى المشائخ بالتسلسل ، وبكابر عن كابر ، وهم الذين لهم أسوة بالنبي عليه السلام ، وابتداء طريقتهم انتهاء غيرها ، وقد بقي هذه الطريقة على أصلها لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها شيئاً ، وأخذوا العزيمة التي لا إمكان لحصول الآفة فيها بنحو رياء أو عجب ، ولا مجال لإحباطها ، وهي الذكر الخفي القلبي الذي يزيد ثوابه على غيره

بسبعين ضعفاً ، كما ورد به الحديث ، وقد قال صاحب « شرح تائية السلوك » : فرُبَّ ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى . فإن قلت : فقد قيل إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ، ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد ، فلمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري ؟ أقول إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع ، فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ، ولكل واحد منهم وجهة مقبولة ، ولهم دلائل من الكتاب والسنة ، وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع . فإذا فهمت هذا علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها ، فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر ، وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء ، وعدُّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية ، وإن كان مستحسناً من وجه أخر ، ولذلك اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا[1] أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه لما أنه لم يرد في طريقتهم الخاصة وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة . والله أعلم .

وأيضاً أنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر[2] لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ، ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية ، فأخذوا حبل الاحتياط ، وتمسكوا عرى الإخلاص ، ولازموا على إخفاء الذكر الذي لا تسمعه الحفظة فيكتب ولا يطلع عليه الناس

---

(١) إلى أن يصلوا إلى مرتبة الإخلاص ، ويأمنوا من الرياء والعجب . وهذه لا تتم إلا في مراقبة الروح ، وحينئذ يُرخصون للجهر لمن تحقق له تلك المرتبة . والله تعالى أعلم (منه) .

(٢) مع أن طريقتهم ليست طريقة الشوق والوجد ، ليحتاجوا إلى ما يحركهما بل هي طريقة السكون والحضور وجذبهم وشوقهم مصروفان إلى بواطنهم ، فمن حضر لا يصيح ولا يتحرك ومن غفل قد يصيح ويتحرك ، فافهم (منه سامحه الله) .

فيرائي ويحبط ، ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذي يقول أهل الجهر إنه مبدأ الذكر الخفي القلبي ، وأنه وسيلة إليه ، ألا وهو التوجه المعروف عندهم ، المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ ، فقد قال الإمام الرباني : **فإن توجُّههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة ،** أو ما هذا معناه . راجع « المكتوبات » . فبالتوجه يحيى القلب ، كما يحيى القلب بالملازمة والمداومة على الذكر اللساني ، ولذلك قيل : **إنما يحيى القلب بقلب حي .** وأما الذين يجهرون في الذكر فلهم فيه دلائل يتمسكون بها ، ومقاصد يعولون عليها ، فلأجل كوني مأذوناً في الشاذلية[1] ، وكذا في القادرية اللتين جرت عادة أربابهما باستعمال الذكر الجهري ، كما كنت أيضاً مأذوناً في النقشبندية أردت أن أذكر هنا كلاماً في الجهري والاجتماع له ، كما هو المعلوم المشهور في الطريقة العلوية ، فأقول والله المستعان :

الترغيب التاسع

في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد

قال في كتاب « الرماح » : اعلم أن الاجتماع للذكر حضَّ عليه الشارع ، ورغَّب فيه ﷺ ، وجرى به عمل أهل الطريق من أهل الله شرقاً وغرباً .

وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم مرفوعاً : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » .

---

(١) من طرف سيف الله . (منه) .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً قال الله جل ذكره : « لا يذكرني العبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من الملائكة ، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى » .

وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات » . ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني ، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل ، ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل فيه فيقومون حتى يقال لهم : قوموا قد غفر الله لكم ، وبُدّلت سيئاتكم حسنات » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة » رواه أحمد بإسناد حسن . وعن جابر ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس إن لله تعالى سرايا[1] من الملائكة تحلُّ وتقف على مجالس الذكر في الأرض ، فارتعوا في رياض الجنة . قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ، فاغدوا وروحوا في ذكر الله ، واذكروه في أنفسكم . من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر منزلة الله تعالى عنده ، ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزاز والطبراني والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد . والرتع هو الأكل والشرب في خصب وسعة .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء

---

(١) جيوش .

ولا شهداء . قال : فجثى أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم ! فقال : هم المتحابُّون من قبائل شتى وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه » . أخرجه الطبراني بإسناد حسن .

وعن عمر بن عنبسة ﵁ قال : سَمعت رسول الله ﷺ يقول : « عن يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – رجال ليسوا بأنبياء ولا بشهداء ، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل . قيل يا رسول الله ﷺ من هم ؟ قال : هم جماع من نوازع القبائل ، يجتمعون على ذكر الله تعالى ، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى الثمر أطايبه » رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به ، وجماع بضم الجيم وتشديد الميم أي أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ، ونوازع جمع نازع وهو القريب . ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة ، وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى .

وعن أنس بن مالك ﵁ : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال حلَقُ الذكر » أخرجه الترمذي .

وأخرج الحسن البصري ﵁ أنه قال : ذكر الله خير لا شك فيه ، يذهب بالذنب ولا ذنب فيه .

وعن ابن عبد الرحمن الجيلي – أحد التابعين – أنه قال : إذا اجتمع قوم على ذكر الله تعالى خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد ، يقول لهم : هل قاموا بعد ؟ فيقولون : لا . فيضرب بيده فيقولون : مالك ؟ فيقول إنما أخشى عليهم الرحمة أن تنزل فلا يعذبون أبداً .

ويكفي في أفضلية الاجتماع للذكر ما تقدم في الفصل الذي قبل هذا الفصل من أن الجنيد رأى إبليس في المنام فقال : هل تقدر أن تمرَّ على

مجالس أهل الذكر ؟ فقال : كما أن أحداً منا يمرُّ على أحد منكم ويمسَّه ويصير مصروعاً ومجنوناً ! فمنَّا من يمرُّ على مجلس الذكر فيصير مصروعاً ونسميه بيننا مأنوساً ، كما تسمُّون المصروع بينكم مجنوناً ، انتهى . وكفى بهذا منقبة لمجلس الذكر والذاكرين جماعة .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : يقول الله عز وجل يوم القيامة : « سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرم ، قيل من أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر » .

وعن أبي الدرداء ﷺ حضور مجلس الذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وشهود ألف جنازة ، وعيادة ألف مريض . انتهى . وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم قال : فيحفّوُنهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم منهم - ما يقول عبادي ؟ قال : فيقولون يسبِّحونك ويكبِّرونك ويَحْمَدُونَكَ ويمجِّدونك . قال : فيقول[1] : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول[2] : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشدّ لك تحميداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال : فيقول الله : فما يسألونني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله يا ربي ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمِمَّ يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : فيقول : فهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : يقول : فكيف

(١) أي : الله .

(٢) أي : الله .

لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة . قال : فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة[1] . قال : هم **الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**[2] » رواه البخاري واللفظ له . انتهى عبارته ١٦٩ ج٢ .

وقال صاحب « الرماح » أيضاً بعيد هذا في ١٧٠ : فأما الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالي عنه « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر » . الحديث . وفي آخره : « فيسألهم ربهم : ما يقول عبادي ؟ فيقولون يسبِّحونك ، ويحمدونك ، ويكبِّرونك ، ويهللونك ، ويمجِّدونك » ، الحديث وهو صريح في باب الجمع لعين الذكر بالترغيب في سياقه ، وما وقع في آخره من أن فيهم مَنْ ليس منهم . فيقول تعالى : هم القوم لايشقى جليسهم . فأخذ منه جواز قصد الاجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله كحديث : « ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيهم إلا حفت بهم الملائكة وتنزَّلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » ، والذكر يؤول بالعلم مرة ، وبذكر الآلاء أخرى ، وحمل على ظاهره أيضاً ، فسقط التمسك به في أعيان الأذكار كدلالته على ما تأوَّل به لاحتماله .

قال : فإن قيل : يجتمعون وكلّ على ذكره . فالجواب : إن كان سرّاً فجدواه غير ظاهرة ، وإن كان جهراً فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلاً عن ذكر الله تعالى ، فلزم جوازه ، بل ندبه بشرطه .

---

(١) يريد به أنه لا يستحق المغفرة لأنه ليس من الذاكرين . « رسالة » في فضائل الذكر ، عبارته ١٧ .

(٢) وفيه أي : في هذا الحديث : أن مَنْ خالط السادات ينال السيادات ومَنْ جالس أهل السعادات يفوز بالسعادات رسالة في فضائل الذكر ، عبارته ١٧ .

نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذكار بالتوحيد من أبعد البعيد ، فتأويله غير معقول لبعده عن الأفكار ، إذ لا يخطر إلا بالإخطار ، وذلك من مقاصد الشرع بعيد جداً فافهم .

ثم قال بعد إتمام هذه القاعدة وإتمام قاعدة أخرى : فأما قول ابن مسعود ﵁ لقوم وجدهم يذكرون الله تعالى جماعة : لقد جئتم ببدعة ظلماً أو لقذفتم[1] أصحاب محمد ﷺ علماً .

فالجواب عنه : أنه لم يبلغه حديث الترغيب فيه ، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها ، وإلا فلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث . انتهى عبارته ١٧٠ « رماح » .

وقال صاحب كتاب « الرماح » رحمه الله تعالى بعد كلامه : ثم قال في « كشف القناع » وسئل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل ، هل ذلك مكروه أم لا ؟ فأجاب : بأنه لا كراهة في شيء من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار بذلك ، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، كما جمع النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن ، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها .

قال : - أي السيوطي - بعد أن أورد ما أورده من الأحاديث الواردة

---

(١) كذا في الأصل بحروفه ولم أعلم معناه (منه) . اللهم إلا أنّه في « المصباح » قذف بقوله : تكلّم من غير تدبّر ، انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون من المراد تكلمّهم في أصحاب محمد من غير تدبّر ولا تأمّل فتدبّره . (منه) . وأيضاً في « المختار » القذفة : واحدة القذف والقذفات ، مثل غرفة وغرفات ، وهي الشرف . انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون معناه : أو لقد شرفتم على أصحاب محمد ، والله أعلم ، فتدبر (منه قدس سره) .

باستحباب الجهر : إذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه **لا كراهة البتة في الجهر بالذكر** ، وأما معارضته بحديث : « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث « المسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة » .

وقد جمع النووي بينهما **بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام ، والجهر أفضل في غير ذلك** ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ويوقظ قلب القارىء ، ويجمع همَّه إلى الحضور ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط .

قال : وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القرآن والإسرار ببعضه لأن المسرَّ قد يملُّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلُّ فيستريح بالإسرار . قال : وكذلك نقول في الذاكر على هذا التفصيل ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

قال : **فإن قلت** : قد قال الله تعالى ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ** ﴾ وقد قال تعالى ﴿ **ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾ وقد فسر الاعتداء بالجهر بالدعاء .

فالجواب في الآية الأولى من ثلاثة أوجه أحدها : ما ذكره السادة الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ ، الكامل المكمل ، وأما غيره ممن هو محلّ الوساوس والخواطر الردية فمأمور بالجهر ، لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

والجواب في الآية الثانية من وجهين .

أحدهما : أن الراجح في تفسير الاعتداء أن يجاوز المأمور به ، ويخترع دعوة لا أصل لها في الشرع .

الثاني : على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر ، والدعاء

بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ، ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً . انتهى .

ومن كلام سيدي علي الخواص : ينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر ، فإنه أشد تأثيراً في جمع شتات قلبه ، وينبغي له أيضاً أن يذكر مع جماعة ، فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيراً في رفع الحجب ، لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد ، لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، **وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه ، وثواب سماع رفقته** . انتهى .

وفي « البحر المورود في المواثيق والعهود » للشيخ الشعراني : أخذ علينا العهد أن نكون هينين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعاً ، وفي الحديث الوارد في الأمر بتسوية الصفوف : « ولينوا في يد إخوانكم » .

واعلم يا أخي أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة والعجم أو الشناوية أو الرفاعية أو **غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت** ، ولا تخالفهم فتشوِّش عليهم ، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود أن نبسط لكلٍّ من تعرَّف بنا من أبناء الدنيا بساط التشوق إلى طريق الفقراء ، وإلى محبة ذكر الله تعالى صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً ، فإن أحب ذلك وواظب عليه قرَّبناه وعددناه من جملة الأصحاب ، وإن لم يجب لذلك ! فإن اشتغل جلوسه معنا في مجالس الذكر ونحوها وتعلَّل بالنوم مثلاً ، عددناه من معارفنا لا من أصحابنا ! وذلك لأن الصاحب شرطه أن يشرب من مسقاة صاحبه ، مع ارتفاع

الحاجز بين قلبه وبين صاحبه كما يرتفع الحاجز بين الحوضين ويصيران حوضاً واحداً وماء واحداً . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود إلى أن قال : وينبغي للشيخ معاتبة كل من غاب من الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ، ولو بالنوم في البيت بحجة الوفاء بحق العيال ، **وإذا كان الفقراء في مجلس وردهم فلا ينبغي لأحدهم الانصراف إلا بإشارة شيخ المجلس** ، ﴿ **وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٍ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ** ﴾ ، ومجلس الذكر أمر جامع بيقين . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بتعظيم الذاكرين لله تعالى والذاكرات من[1] نسبتهم إلى مجالسة الحق عز وجل حال ذكرهم في قوله تعالى : « **أنا جليس من ذكرني** » أي أنا معه ، ومن كان الحق معه لا ينبغي لمن له دين أن يتعرَّض له بأن ينوي له سوءاً في وقت من الأوقات ، وهذا الأمر وإن كان واجباً في حق المسلمين ! فهو في حق الذاكر أشد وجوباً . قال : **وما رأينا أحداً آذى الفقراء أو الصالحين ، أو أنكر عليهم بغير طريق شرعي ومات على نعت استقامة أبداً** . وفي الحديث القدسي : « من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . انتهى .

قال : **وعلامة الولي** الذي لا شك فيه : أن يكون مكثراً بذكر الله تعالى ، ويؤيِّده قول أبي على الدقاق رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطي منشور الولاية . انتهى . قال : فعلم أنه **لا ينبغي لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت بالذكر في المساجد ونحوها إلا بطريق شرعي** يسوغ له الإنكار فيها ، كأن يشوش على نائم ، أو مصلٍّ ، أو مطالع في علم شرعي ، ونحو ذلك ، فليبتعد المانع لهم نفسه ! والله بكل شيء عليم . انتهى كلام الشعراني[2] رضي الله عنه ، وهو نفيس . انتهى عبارته .

---

(١) أي : لأجل نسبتهم . .الخ .

(٢) من « رماح » ١٧٣ ج١ .

أيها الولد رزقك الله التوفيق والاستقامة آمين . قد يسأل كثير من الناس : هل يجوز أن يذكر الله تعالي في حالة قراءة القرآن في المسجد ، كما هي العادة الجارية في ديارنا بين المغرب والعشاء ، أم لا ؟ يقول والدك في الجواب : قال محمد حقي النازلي في « خزينة الأسرار » : إن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن ، وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرىء بناءً على قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ ففي الصلاة نعم ، وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابه . انتهى ٥٤ . وفي فتاوى محمد علي الچوخي رحمه الله تعالى أن استماع القرآن مندوب بشرط كونها صحيحة ، وصلاة التحية أيضاً مندوب لداخل المسجد ، فلا يترك مندوب لمندوب آخر ! على أن الإنصات المأمور به في الآية : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ إنما هو الإنصات بترك الكلام اللغو ، لا بترك مندوب آخر مثله كالصلاة والقراءة ونحوهما ! كما صرح به المناوي . انتهى عبارته ٥٨ .

والاستماع مستحب لا واجب . رملي . ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن . جمالين . وفي « الفتوحات » بسط في ذلك فراجعه .

وفي « رماح حزب الرحيم » وأما قول[١] القائل : إذا لم يستمعوا[٢] القرآن خالفوا قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ . وقد اختلف العلماء في هذا الأمر ، هل للوجوب مطلقاً ؟ أو للندب ؟ أو للوجوب في بعض الصور دون بعض ؟ مع اتفاق جمهورهم على أنه مخصوص بحالة الصلاة .

---

(١) أي : جوابه هذا .

(٢) أي : لم يستمع الذاكرون . (منه) .

وزاد بعضهم وفي الخطبة .

وقال بعضهم إنما ذلك في الصلاة المفروضة . أخرجه ابن جرير الطبراني بإسناد رجاله ثقات . ومن طريق طلحة بن عبد الله بن زكريا قال : رأيت عبد الله وعطاء يحدثان والقاصُّ يقصُّ فقلت ألا تستمعان ! فنظرا إلي ثم حدثا . فقلت ذلك ثلاثاً : فقالا : إنما ذلك في الصلاة .

وعن بعض الفضلاء : أن الأمر خاص بالنبي ﷺ وهو المأمور بالإنصات عند نزول الوحي بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال ابن عباس : أي انصت له فكان بعد ذلك إذا جاء الوحي أنصت له . الحديث . وعلى تقدير حمل الأمر على عمومه فلا يليق بمن له دين أن يعمد إلى الناس في عبادة فيتسبَّب في قطعها عليهم .

وقال العلماء فيمن صلى إلى غير سترة فى طريق المارة ، وكانت له مندوحة[1] في أن يصلي في غير ذلك المكان : أنه لا إثم على المارة ، لأن المصلي تسبَّب إلى ذلك . فكذلك هنا إذا تعمد قراءة القرآن – عند من يذكر الله تعالى ؛ لاعتقاده أن استماع القرآن واجب ، فيقطع الذاكر ذكره

(١) أي : وسعة ، وفسحة . « مصباح » .

* ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق ، وجميل البشر عند التقاطع . أنشدنا بعض العلماء الحكماء في معناه :

إن الكريم إذا تقضي وده   يخفى القبح ويظهر الإحسان

وترى اللئيم إذا انصرم حبله   يخفي الجميل ويظهر البهتاناً

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية ، ألم تستمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في أوله : يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر

فكذلك صفات المؤمنين على معاني اختلاف المؤمن الأعلى « قوت القلوب في معاملة المحبوب » من عينه في ٢١٥ من الفصل الرابع والأربعين في كتاب الأخوة في الله تبارك وتعالى .

ويستمع القرآن – لا يجب عليه في هذه الحالة أن يستمع ! وقد قال العلماء في الداعي المستغرق في الدعاء لا يشرع السلام عليه ، ولا يجب الردُّ في ذلك الحال . وكذلك هذا الذاكر إذا استغرق في ذكرهِ! وإذا سقط عنه ما هو واجب لولا الذكر فيسقط الاستماع عنه وهو واجب عليه في هذه الصورة المذكورة . انتهى عبارته ١٧٦ج١ .

وهذا الكلام لخصته من ذلك الكتاب من أجوبة ابن حجر العسقلاني لأسئلة فراجعه .

ووجدت في آخر مجموعة الرسائل لسليمان الزهدي قدس سره ما نصه : قال السيد ابن عابدين في « حاشية الدر المختار » : وفي شرحه « المنية » : والأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية ، لأنه لإقامة حقه بأن يكون ملتفتاً إليه غير مضيع ، وذلك يحصل بإنصات البعض ، كما في رد السلام . انتهى .

وكذا ذكر في « حاشية الحموي » عن الإمام الشعراني : **أجمع العلماء خلفاً وسلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها ، إلا أن يشوِّش جهرهم على نائم ، أو مصلٍّ أو قارىء .** انتهى . راجعه في ١١٠ .

أيها الولد إني ذكرت في هذا الترغيب نبذة قليلة من فضيلة الذكر والاجتماع ، ولنا في هذا المقام من كلام السادات ما يطول ذكره ، وقد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » و« خلاصة الآداب » نبذة نافعة أيضاً ، فإن أردت الزيادة فراجعهما .

يا ولدي! أوصيك بملازمة مجالس الذكر ففي تلك المجالس فوائد جليلة وكيف لا ؟ ! وقد ورد في الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وورد أيضاً « إن أهل الذكر

ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإن عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني .

يا ولدي إن لك في هذين الحديثين كفاية لو كان فيك شيء ما من العناية . رزقك الله تعالى الهداية والإنابة وجنَّبك عن الضلالة والغواية آمين .

الترغيب العاشر

في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم

من ترتيب الشغل ووظائف الأعمال

فاعلم يا ولدي أن أعمال الآخرة كأعمال الدنيا على حد سواء ، فقد يكون **بعض** العمل الكثير الشاق في الدنيا قليل الأجر بمقابلته ، والعمل القليل اليسير كثير الأجرة ! ألا ترى أن النجار أو الحداد مع المشقة التي يذيقانها قد لا يكون لهما إلا اليسير من الأجرة كالدراهم المعدودة أو غيرها ! وأن الفضاض ومهيئ الساعة قد يأخذان الأجر الكثير مع قلة التعب والعناء ، وكونه في ظل الدار والبناء ، فهكذا قد جعل الله تعالى بمنِّه وفضله وجوده الأجر الكثير في مقابلة بعض العمل اليسير . ألا ترى ما ورد في صلاة الفاتح لما أغلق على ما سبق ذكره ، وسورة الإخلاص ، أنها تعدل ثلث القرآن .

وقد قال عز الدين بن عبد السلام ما حاصله : إن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ، بل قد يأجر الله تعالى قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها . انتهى . كذا في « الرسالة » في فضائل الذكر ،

فراجعه في ١٢ . فإذا كان الأمر كذلك اختار أشياخ الطرق في طرقهم كل عمل مشقته وعناؤه قليلة يسيرة سهلة ، وجزاؤه وأجرته عظيمة جليلة كثيرة ، وذلك أخذاً واستنباطاً من الأحاديث والآثار لا اختراعاً منهم وابتداعاً ، فجزاهم الله تعالى عنا خيراً آمين . فكم وكم فضيلة سردوا[1] فيها ! وكم وكم وظيفة نافعة رتبوها ! فها أنا أردت أن أبيِّن لك يا ولدي ما في كل شغل من أشغال هذه الطريقة مما بقي ولم أذكره فيما سبق ،

فأقول وبالله التوفيق : فأولاً يأمر الشيخ المريد بإتيان خمسة ، أو خمسة عشر ، أو خمس وعشرين من الاستغفار ، والحكمة في تقديمه هذا : أن المتنجس بالأدناس والرذائل لا يصلح له الوقوف بباب الملك ، فضلاً عن الدخول ! فحينئذ الخدمة له أولى وأحرى ، وأما طمعه في دخوله مداخل الخاصة فسوء أدب وجراءة على الملك ، فكان اللائق بصاحب هذا الحال اشتغاله بما يطهره ، ويزيل عنه ما عليه من النجاسة والدناسة ليصلح للخدمة ، ومع هذا لا بد له من الوسيلة ، والوسيلة لا يجترىء على توصيله إلى الملك وهو متلطخ بالنجاسة ! والتطهر من تلك النجاسات لا يحصل إلا بالتوبة والاستغفار ، ولذا أمروا مريدهم بالشروع في الاستغفار .

ثم إنه لما أكمل من الاستغفار وتاب ، وعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له - كما ورد - قوي رجاؤه على أن يصلح الآن للوقوف بين يدي سيده وخدمته ، ولكنه مع ذلك في خوف شديد ، ووجل عظيم ، لما علم من عظمة هذا الملك وكبريائه وعلو شأنه ، وكونه مختاراً يفعل ما يشاء ، ولما علم ذلك خاف من الاستبداد[2] بنفسه ، والاستقلال بأمره ، لأن مثله لا يستحق بذلك إلا الطرد والإبعاد من الملك ، وهذا - والعياذ بالله - هو الذي كان يخاف أن يلحقه من جناب سيده ، ولعلمه أنه هو

---

(١) سردت الحديث سرداً من باب قتل : أتيت به على الولاء . « مصباح » .
(٢) استبدّ بالأمر : انفرد به بغير مشاور له « مصباح » .

وجميع الخلق في هذا الميدان على حد سواء رجع إلى التوسل إلى الله تعالى برسوله الذي هو وسيلة جميع المخلوقات إليه تعالى في جميع التوجهات والمطالب ، لعلمه بعلوِّ مقداره عند الله تعالى ، وشفوف[1] مرتبته لديه ، وعلوِّ اصطفائه على جميع خلقه ، وعلمه بأن الله تعالى لا يقبل العمل من كل عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ ، فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجُّه إليه دون التوسل به ﷺ ، معرضاً عن كريم جنابه ، ومدبراً عن تشديد خطابه ، كان مستوجباً من الله تعالى غاية السخط والغضب ، وغاية اللعن والطرد والبعد ، وضلَّ سعيه ، وخسر عمله ، ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به ﷺ . فإذا كان الأمر كذلك ! وخاف المريد أيضاً من أن يجترىء على جنابه ﷺ ، ويتخذه إلى الله تعالى وسيلة بنفسه وانفراده ، شرع في التوسل إليه ﷺ بواسطة المشائخ ، وبالتوجُّه إليهم معتقداً أنهم باب الفيوض وميزابها ، وأن قلوبهم مجرى الإمداد وقناتها ، وأن التقرُّب إليه عليه الصلاة و السلام بغير وساطتهم محال ، وقصد إلى الإلتجاء إلى أبوابهم رجاء أن يكونوا له ممدين ، فشرع في قراءة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، لعلمه ما في قراءتها من الثواب العظيم ، فأهدى ثوابها إلى النبي ﷺ وإلى أرواح أولئك المشائخ ، امتثالاً بأمر النبي ﷺ بقوله « تهادوا تحابوا » ، ثم إنه لما قصد التوجُّه إليهم والقرب منهم زاد خوفه ، فاستغفر الله ثانياً مائة مرة ، ليستحكم الطهارة عما بقي عليه من الدناسة ، فلما كان مراده من جميع ما ذكر أن يستفيض من شيخه ، ويجعله رفيقاً في طريقه ، ووسيلة إلى الوصول إلى جنابه ﷺ ، ويطلب غرفاً من فيوضاته وإمداداته ، ويصير أهلاً ببركة الوسائط للقرب إلى الله تعالى ووصوله ، مع علمه أن الفيض لا يؤخذ إلا من قلوبهم وأن قلوبهم موازيب الحكمة والمدد ، وقصد الشروع في ربط قلبه بقلب شيخه للاستفاضة ، ووجد قلبه

---

(١) أي : زيادة .

مملوءاً بالخواطر ، ومدنَّساً بحديث النفس ، احتاج لا محالة أن يشتغل أولاً بما يزيلها ليصفو توجُّهه إلى شيخه ، ويسهل تصوُّر صورته قبالة وجهه ، ولا شك أن علاج زوالها هو ذكر هازم[1] اللذات[2] ومكدّر التنعمات ، ألا وهو الموت ! الذي هو القيامة الصغرى ومفرق الأحباب . وباب البلية الكبرى . وقد سمعت شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : **إذا أطاق المريد أن يتصوَّر صورة شيخه كما هي يحضر لديه ، وإلا فلا !** فهذه المذكورات هي الحكمة التي وصل إليها عقل الحقير رحم الله إفلاسه ونوَّر الله تعالى ضرائح مشائخنا ، حيث أرشدونا إلى هذه المنافع آمين ، مع ما فيها غير ما سبق من الثواب الجزيل ، والأجر الكبير . **فتأمل يا ولدي** فيما أتلو عليك ، فأرجوك أن تكون من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه .

أما فضائل الاستغفار! فقد مرَّ في بابه .

مطلب : فضائل سورة الفاتحة

وأما قراءة الفاتحة ! ففضائلها كثيرة ، فمن ذلك ما نقل من عين « الرسالة » من حاشيته : روي أنه لما أنزل الله تعالى فاتحة الكتاب على محمد عليه الصلاة والسلام[3] بكى إبليس بكاءً شديداً حتى اجتمع عليه أولاده قالوا : وما يبكيك ؟ فقال : إن الله تعالى أنزل على محمد وأمته سورة أئسْتُ منهم . فقالوا : لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يتركوا شكر ما أنعم الله عليهم ، فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون لأن في أول تلك السورة الحمد لله رب العالمين . فقالوا : لا تَغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى ينكروا البعث ، فيعاقبهم الله تعالى ويعذبهم

---

(١) وفي نسخة : هادم .

(٢) ورأيت في « شرح عين العلم » ما نصه : وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت : أكثري ذكر الموت يرقَّ قلبك . ففعلت فرقّ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، انتهى عبارته ٨٨ ج٢ (منه) .

(٣) وفي نسخة : وأمته .

كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا : مالك يوم الدين . فقالوا : لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يعبدوا الأوثان ، فيعاقبهم الله تعالى ويعذبَهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا : إياك نعبد . فقالوا : لا تغتمَّ فإنا نجتهد كل الجهد حتى يتكاسلوا ويتركوا ما أمر الله ، فيعاقبهم ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالي علمهم أن يقولوا : وإياك نستعين فقالوا : لا تغتم فإنا نجتهد كل الجهد حتي نضلهم من الطريق فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأنهم يقولون : اهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخر السورة ، فقالوا : إنهم ليسوا بأفضل من آدم وحواء ، ومكانهم لا يكون أفضل من الجنة ! وأنت أخرجت آدم وحواء من الجنة . فصاح صيحة ، وانغمس في البحر انغماسة ومكث أولاده سنة ، فخرج من بعد السنة وقال : أبشروا يا أولادي ! جئت بشيء نهلكهم ونضلّهم . فقالوا : وماذا ؟ قال : نزيِّن المعاصي في قلوبهم ، ونمنع ألسنتهم من الاستغفار ، فيعاقبهم الله تعالى ، ويهلكهم كالأمم الماضية . فضحكوا كلهم مسرورين ، وأرادوا أن يرجعوا مسرورين ، **فنادى الله تعالى : يا لعين! إن منعتهم عن الاستغفار فمن يمنعني من الغفران ؟ أغفر لهم بقراءة هذه السورة ولا أبالي ، وإن ماتوا بغير الاستغفار! ليعلم عبادي أني أنا الغفور الرحيم** . انتهى .

ورأيت في « ذخيرة المعاد » أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل : لأعلمنّك أعظم سورة في القرآن . فسأله عنها . فقال له : الحمد لله رب العالمين ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم أوتيته . انتهى عبارته ٦٢ .

وقال في حديث السرية ، لما رقوا بها الملدوغ وأعطوهم قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة « إنها رقية حق ، حتى اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم ، وإنها شفاء من كل داء » . وفي أخرى « من السمِّ » .

وعن أنس ﷺ أنه قال عليه الصلاة والسلام : « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت » .

وفي أخرى « من قرأ أم الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فكأنما قرأ ثلث القرآن »

وفي أخرى « أنها تعدل ثلثي القرآن » . انتهى « ذخيرة المعاد » عبارته ٦٤ .

وفيه : وفي حديث آخر « إن الملائكة لا تقرأ من القرآن إلا الفاتحة ، وِإن قراءة القرآن خاصة بالبشر دون الملائكة ، وأنهم حريصون على سماعه من الإنس » .

فضائل بسم الله الرحمن الرحيم

وقال في فضل البسملة : عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق ، وسكنت الريح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، **وحلف الله بعزته وجلاله لا يسمى على شيء إلا بارك فيه .**

وعن ابن مسعود ﷺ **أنه قال** : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ليجعل الله تعالى بكل حرف منها جُنَّة من كل واحد .

وعن ابن عباس ﷺ مرفوعاً : « إن المعلم إذا قال للصبي قل : بسم الله الرحمن الرحيم . كتب للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار » . وأخرج الديلمي عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ، ومحى عنه

أربعة آلاف سيئة . ورفع له أربعة آلاف درجة » ، هذه الأحاديث والآثار ملخصة من « الدر المنثور » . انتهى عبارته ٦٤ .

وفيه : وقيل : خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش ، رأسه كرأس الآدمي ، له سبعون ألف جناح أمة . . من الملائكة ، مكتوب على خدِّه الأيمن آية الكرسي ، وعلى الأيسر ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ الآية . وعلى جبهته الفاتحة ، وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة يقرؤون الفاتحة من جبهته ، فإذا قالوا : إياك نعبد وإياك نستعين سجدوا . فيقول الله تعالى : ارفعوا رؤوسكم ، فقد رضيت عنكم . فيقولون : ربنا ارضَ عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ﷺ فيقول : أشْهِدُكم أني قد رضيت عنهم .

وقال نجم النسفي رضي الله عنه لما نزلت الفاتحة نزل معها سبعمائة ألف ملك . انتهى ٦٧ عبارته .

وفيه : فائدة : خلق الله تعالى القلم من درَّة بيضاء ، طوله خمسمائة عام ، النور منه ينبع كما ينبع المداد من قلم الدنيا ، ثم أمره أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فكتبها في سبعمائة عام ، فقال الله تعالى ، وعزتي وجلالي من قالها من أمة محمد ﷺ مرة واحدة ، كتب الله تعالى له ثواب سبعمائة عام . انتهى ٦٨ عبارته . قاله النسفي رحمه الله تعالى .

وذكر أيضاً أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج قبّة من درَّة بيضاء ، لها باب من ذهب ، وقفل من ذهب ، لو أن الجن والإنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل ، فأراد أن يرجع ، فقيل له : لِمَ لا تدخلها ؟ قال : لأنها مقفولة . فقيل مفتاحها معك ! وهو بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم فانفتحت ، فرأى فيها أربعة أنهار : من ماء غير آسن - أي غير متغير - يخرج من ميم بسم الله الرحمن الرحيم ، ونهر من لبن يخرج من هاء الجلالة ، ونهر من خمر

لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن ، ونهر من عسل مصفًّى يخرج من ميم الرحيم . فقال الله تعالى : يا محمد ﷺ من ذكر بهذه الأسماء من أمتك سقيته من هذه الأنهار الأربعة .

وقد مرّ أن من أسماء الفاتحة : « الماحية » لأن فيها خمسة عشر ميماً بالبسملة . فإذا قرأها العبد خرجت الميمات كالطيور ، فيتعلق بالعرش فيثقل على الحملة ، فيقولون : ربنا ما هذا الثقل ؟ فيقول الله تعالى : هذا ثواب سورة قرأها عبدي . فتقول الميمات : ربنا ما جزاء من قرأنا ؟ فيقول الله تعالى : انطلقوا إلى ديوانه وكل ميم تمحو عشر سيئات . فيقولون : ربنا زدنا ، فيزيدهم إلى المائة وعشرين سيئة إلى المائة ثم يزدادون فيزيدهم عشرين فيكون جملة ذلك ألفاً وثمانمائة ، **فيحصل لكل قارىء الفاتحة في اليوم والليلة في الصلوات الخمس ثلاثون ألفاً وستمائة حسنة .**

قال النيسابوري وغيره : أسقط الله تعالى من الفاتحة سبعة أحرف : الثاء من الثبور ، والجيم من جهنم ، والخاء من الخزي ، والزاء من الزفير ، والشين من الشهيق ، والظاء من اللظى ، والفاء من الفراق ، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلَّصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ، ولأن آياتها سبع أيضاً . انتهى عبارته ٦٩ .

وفيه ما نصه : مرَّ أن في وصل البسملة بالحمدلة – عن القرطبي – أن الله تعالى قال : وعزتي وجلالي وجودي وكرمي أن من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بالفاتحة مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت له ، وقبلت منه الحسنات ، وتجاوزت عن السيئات . انتهى عبارته ٦٩ .

وفي كتاب « الفيوضات الحسنى من مشاهدة الحبيب الأسنى »

للشيخ حسين بن عبد الشكور المدني رحمه الله تعالى يتضمن شرح صلاة أهل القرب وهو شرح قصيدة له سماها « الهدية السنية » وشرحها الأصل « الموارد الهنية » و« الفيوضات » كالحاشية على الشرح ، وهو كتاب جليل على نمط ، هو على غير مَنْ لم يعلمه الله تعالى العلم اللدني مستحيل ، أهداه مؤلفه لشيخنا الإمام الحبيب : عمر بن عبد الرحمن البارّ الأخير ، وقد عده في فهرسة مشائخه .

قال فيه : ذكر سيّدي الشيخ الأكبر في كتاب الوصايا من « فتوحاته » نفعنا الله به .

فائدة عظيمة ، وعائدة عميمة ، قال ﷺ وصية : إذا قرأت فاتحة الكتاب فَصِلْ بسملتها بها في نَفَسٍ واحد ، فإني أقول بالله العظيم ! لقد حدثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكتاري بمدينة الموصل سنة إحدى وست مائة إلى آخر سنده به ، وكل واحد من الرواة للحديث يقول بالله العظيم ! لقد سمعت فلاناً يقول إلى أن قال لقد حدثني أنس بن مالك ﷺ لقد حدثني المصطفى ﷺ وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! قال الله تعالى : يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة[1] بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على أني قد غفرت له ، وقبلت منه الحسنات ، وتجاوزت عنه

---

(١) هذا الوصل إنما هو في قراءتها في غير الصلاة ، وأمَّا فيها ! فالأفضل الفصل . كذا أفادني شيخنا القحي رحمه الله تعالى وأمرني بتعليقه هنا هكذا ، والسلام .

وأمَّا ما نقله ابن حجر عن المجموع من أنه يُسنُ وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . اتهى . فلم يرض به واعترضه برواية البيهقي والحليمي وغيرهما بأنه يُسنُّ الوقف على رؤوس الآي إلخ ، انتهى فراجعه (منه) .

السيئات ، ولا أحرق لسانه بالنار ، وأجيره من عذاب القبر ، وعذاب النار ، وعذاب القيامة ، والفزع الأكبر ، ويلقاني قبل[1] الأنبياء والأولياء أجمعين . انتهى « ذخيرة المعاد » ٧١ .

وفي حاشية الشيخ محمد الزرقاني على شرح المنظومة المسماة « بالبيقونية » في مصطلح الحديث : قال السخاوي : هذا الحديث باطل متناً وتسلسلاً ، وقد أثبته أهل الكشف ، وأجاب بعضهم عن أسباب بطلانه . انتهى . فراجعه في ٣٦ . لكن مؤلف « خزينة الأسرار » ذكره في الأحاديث الصحيحة . فراجعه في ١٠٥ .

وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني كلام كثير في حق الحديث ، وفيه ما حاصله : أن هذا الحديث قد ثبت عند ابن عربي وأضرابه من طريق الكشف . فراجعه في ٥٠ .

وفي « ذخيرة المعاد » : أن المتمرِّن[2] على حبس النَفَس في قراءة الفاتحة كلها مع البسملة في نَفَسٍ إذا تمادى عليه توسع له ضيقه ، فيمكنه أن يقرأ سورة الإخلاص ثلاثاً في نَفَسٍ واحد ، فيأتي على قراءة الفاتحة في ضمن القرآن لأنها أمه ، وأوله فاتحة الكتاب ، ويتحصل له في فضل الله تعالى ما وعده على الفاتحة بكرمه ، ويرجى له تحصيل قراءة القرآن كله معها في نفس واحد ، إلخ عبارته .

وفيه بعيد هذا : وفي الوارد الآخر تجزي[3] ما لا يجزي شيء من القرآن . ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان ، وجعل القرآن في

---

(١) وفي رواية : مثل الأنبياء .

(٢) مرن على الشيء من باب دخل ، ومرانة أيضاً تعوّده واستمرّ عليه . « مختار » .

(٣) يعنى الفاتحة .

الأخرى ، لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات في نفس واحد .

ولعل هذا أيضاً مما يرشد إلى حصول بيان شيء من فضل حصر[1] النَفَس بأمِّ القرآن في نفس واحد مع البسملة ، فتحصل قراءة القرآن سبع مرات للقارىء في نفس واحد . انتهى . ملخصاً في ٧٢ على ما هو المقصود ، فتدبر فيما ذكر .

ولكن قال في « فتح المعين » : ويُسنُّ وقفٌ على رأس كل آية ، حتى على آخر البسملة ، خلافاً لجمع . انتهى عبارته . قوله : ويُسنُّ وقف على رأس كل آية إلخ . وذلك لما صح أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ؛ يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف ، الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف ، قوله حتى على آخر البسملة غاية لسنية الوقف على ما ذكر وهي للردّ . وقوله خلافاً لجمع أي قائلين : إنه يسن وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . وتعجب منه في « التحفة » للحديث السابق . انتهى « إعانة الطالبين » ١٤٨ج١ .

قوله حتى في آخر البسملة هو معتمد « التحفة » قوله خلافاً لجمع أي في قولهم يسن وصل البسملة بالحمدلة وهو معتمد « المغني » و« فتح الجواد » . انتهى « ترشيح المستفيدين » عبارته ٦٣ .

وفي « جواهر المعاني » : وأمَّا فضل فاتحة الكتاب ! فقد ورد في الحديث أنها أعظم من القرآن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، إلى غير ذلك مما ورد في فضلها عن سيد الوجود ﷺ . قال[2] رضي الله عنه : « وأما الفاتحة ! فقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أن فيها بكل مرة ختمة من القرآن ، فقلت له ﷺ : إنه بلغني في بعض الأخبار أن من تلاها مرة فكأنما سبَّح الله بكل تسبيح سبَّحه به جميع خلقه في كورة العالم ! فهل يحصل فيها

---

(١) وفي نسخة : حبس .

(٢) أي : أحمد التجاني رضي الله عنه .

هذا الثواب كله ؟ فقال ﷺ : أكثر من ذلك ! ويحصل لتاليها في كل مرة بعدد حروفها وحروف القرآن بكل حرف سبع قصور ، وسبع حور . قلت : وقد قيل إن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون ألفاً وخمسة وسبعون ، فإذا ضربت في سبعة - وهي عدد الحور لكل حرف سبعة - يخرج ألف ألف ومئتا ألف وسبع وأربعون ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراً . انتهى .

وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفاً لكونها فيها فضل صيام رمضان ، وكل يوم منه باثني عشر ألفاً ، وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون ألفي ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرون . انتهى . فهذا في غير الصلاة ، وأما في الصلاة ! فيتضاعف مرتين إن صلى جالساً ، وأربع مرات إن صلى قائماً ، وهذا للفذِّ[1] فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات ، فإذا نظرت إلى عدد ركعات وهي سبعة عشر ركعة بين الليل والنهار يصير ثمانية عشر مائة وستة وثلاثون أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف وهو ألفي ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ، ومثله تسبيح العالم ، ومثله قيام ليلة القدر ، ومثله عبادة سنين ، ومثله ختمات من القرآن . الحاصل مَنْ قرأها في صلاة الجماعة ، فيعطى من الأجر في اليوم الواحد **أربعة آلاف ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وسبعمائة ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وستة وثمانون ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وثلاثة وستون ألفاً وتسعمائة حوراء**[2] ، مع الأجر المتقدم من تسبيح العالم ، وختمات القرآن ، إلى غيرها .

قال الشيخ رضي الله عنه : وفي الحديث : « من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة » . انتهى . ثم قال سيدنا رضي الله عنه : وهذا لمن لم يفهم معنى

---

(١) أي : للمنفرد .

(٢) هو بالرقم الكتابي ٤٨٧٦٠٦٣٩٠٠ .

التفسير ، وأما من علم التفسير فيتضاعف له الأجر مرتين وهو مئتا حسنة لكل حرف ، ثم قال سيدنا ﷺ : ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة - أعني قارىء الفاتحة - ثم قال - ﷺ - وهذا في غير نية الاسم[1] .

وأما قراءة الفاتحة بنيّة الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله تعالى ، ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله ، فإن فضل الله لا حدَّ له والسلام .

ثم قال ﷺ : قال لي سيد الوجود ﷺ : ويجاورني في علِّيين .

وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة ، وأما من تلاها وهو يعتقد أنه يتلو الاسم الأعظم معها - لكون حروف الاسم تامة فيها - فإنه يحصل له في كل مرة ثواب تلاوة الاسم وثواب تلاوتها ، وكل من تلاها فقد تلاه معها ، وهذه الخاصية في الفاتحة فقط ! دون ما عداها من المتلوات التي كملت فيها حروف الاسم .

واعلم أن من تلاها متعبداً لله من غير شعور بتلاوة الاسم معها كان له الثواب الأول ، ومن تلاها معتقداً أنه يتلو الاسم معها لوجود كمال حروفها فيها ، كان له ثواب تلاوتها وتلاوة الاسم في كل مرة ، لكن مع اعتقاد أنه الاسم الخاص بالذات العلية ، وليس للذات العلية المنزهة غيره . انتهى .

فهذا ما أبرزه لنا ﷺ ، وما هو مكتوم فيها ، فلا يعلم قدره إلا الله تعالى . انتهى ما أملاه علينا ﷺ . انتهى كلام « الجواهر » راجعه في ١٠٧ ج١ .

وأخرج الخلعي في فوائده عن عبد الله بن جابر ﷺ أنه قال عليه

(١) أي : قراءة الاسم الأعظم ، والله أعلم .

الصلاة والسلام : « **فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام** » والسام : الموت . انتهى . « خزينة الأسرار » عبارته في ٦٤ .

وفيه : وأخرج ابن قانع عن رجال الغنوي قال : قال رسول الله ﷺ « استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه ، وبما مدح الله به نفسه . قلنا : وما ذاك يا نبي الله ؟ قال : الحمد لله ، وقل هو الله أحد ، **فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله تعالى** » . انتهى عبارته ٦٤ .

وفي تسمية الفاتحة بالسبع المثاني[1] أقوال :

فمنها ما ذكره محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينة الأسرار » بما نصه : وقيل لأن آياتها سبع ، وأبواب النيران سبعة ، فمن قرأها غلقت عليه الأبواب السبعة ، والدليل عليه ما روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : يا محمد ! كنت أخشى العذاب على أمتك ، فلما نزلت الفاتحة أمنت . قال : لِمَ يا جبريل ؟ قال : لأن الله تعالى قال ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾** ﴾ وآياتها سبع فمن قرأها صارت كل آية طبقاً على باب من أبواب جهنم ، فتمرّ أمتك عليها سالمين . انتهى عبارته في ٩٤ .

وفيه في ١٠٦ : وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن » انتهى عبارته .

---

(١) والمثاني يحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء ، لما فيها من الثناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الاستثناء ، لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ، ويحتمل أن يكون من التثنية ، قيل لأنها تثنى في كل ركعة ، وقيل لأنها نزلت مرتين ، وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء ، وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية أثنى عليه الله بالإخبار عن فعله ، وقيل لأنها اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني ، وقيل لأنها مستثناة من سائر الكتب ، وقيل غير ذلك ، راجع « خزينة الأسرار » في ٩٤ (منه) .

وفيه في ١٠٨ وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ بالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وكأنما تصدق بكل آية قرأها بملء الأرض ذهباً في سبيل الله وحرَّم الله جسده على النار ، ولا يدخل الجنة بعد الأنبياء أغنى منه » . انتهى عبارته .

وفيه في ١٠٩ : وروي عن حذيفة اليماني ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : « إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً ، فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب : الحمد لله رب العالمين ، فيسمع الله تعالى ، ويرفع العذاب بسببه أربعين سنة » . كذا في تفسير الفاتحة ، وتفسير ابن عادل .

وفيه ١٠٩ : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى منزله فقرأ سورة الحمد ، وسورة الإخلاص نفى الله عنه الفقر ، وكثر خير بيته » كذا في تفسير الفاتحة . انتهى .

وفيه في١١٣ : وقال صاحب « درَّة الآفاق في علم الحروف والأوفاق » : من داوم على قراءة الفاتحة مع البسملة عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات بعدد آياتها فتح الله عليه أبواب الخيرات ما دام يقرؤها ، وكفاه الله ما أهمَّه من أمر دينه ودنياه ، ومن قرأها سبع مرات على قطن يتفل[1] عليه ثم يضعه على جراحة شفاه الله تعالى ببركة الفاتحة .

ومن داوم على قراءتها عقب كل صلاة مكتوبة عشرين مرة يبلغ كل يوم إلى مائة وسَّع الله تعالى رزقه ، وحسن حاله ، ونوَّر سرَّه على قدره ، ويسَّر أمره ، وفرَّج همَّه ، وكشف ضرَّه ، ويعطي قارئها مأموله من العزِّ والهيبة والعلو والرفعة والسيادة ، وبها تنزل البركات ، وترفع الحاجات ،

---

(١) تَفِلَ يَتْفِلُ ويَتْفُلُ : بَصِقَ . « قاموس » .

وفيها أسرار لأرباب البدايات ، وأنوار لأصحاب النهايات ، وهي تدل على الدين والصدق والإنابة ، والتوفيق والنصر والقهر والغلبة والطاعة ، والعطف والمحبة والكفاية والوقاية ، والأمن والتمليك والإرادة والعلم والبسط والسرور والفهم ، والزيادة في المال والجاه والأهل ، والحياة الطيبة ، وحفظ الخدم والأولاد من الضرر والفساد ، والاطِّلاع على لطائف العلوم ودقائق الفهوم بالغرائب والحكمة ، والتكلُّم بالحقائق والمعرفة ، وغيرها من المنافع والمراتب ، كلها ببركة الفاتحة والخصائص فيها ، وفتح الله عليه أبواب الخيرات بالزيادات ، ونفذت كلمته في الرياسات ، وآمنه الله تعالى من حوادث الدهر ، وشرِّ نكبات[1] الجوع والفقر ، وألقى محبته في القلوب ، ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ما سأل . ولا تحصل هذه الخواصُّ إلا بالمداومة عليها .

وبها الإجازة لمن داوم عليها كما أخذ الإجازة عن المشائخ عند حضرة النبي عليه الصلاة والسلام . وفي رواية إن الفاتحة تقرأ بعد صلاة الصبح ثلاثين مرة ، وبعد الظهر خمساً وعشرين ، وبعد العصر عشرين ، وبعد المغرب خمسة عشر ، وبعد العشاء عشر مرات ، تبلغ كلها إلى مائة فاتحة . وكلا الطريقين محمود . ومن داوم على قراءة الفاتحة مائة مرة دبر كل صلاة مكتوبة نال مقصوده سريعاً ، ومن دوام على قراءتها بعد صلاة الصبح بعدد حروفها - وهي مائة وخمس وعشرون مرة - أدرك غرضه ، ونال مطلوبه بلا شك ولا شبهة ، ولهذا الترتيب خواص عجيبة ، وأسرار غريبة . انتهى .

---

(١) النكبة بالفتح : المصيبة « قاموس » .

مطلب مهم لقضاء الحاجة مجرَّب

وفيه فى ١٤٤ وروي عن الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره : من كان له حاجة فليقرأ الفاتحة أربعين مرة بعد صلاة المغرب ، عند الفراغ من الفرض والسنة ، ولا يقوم من مكانه حتى يفرغ من قراءة الفاتحة ، وبعده يسأل مراده ، فإن الله تعالى يقضيه لا محالة . وقد جُرِّب فوجدناه نافعاً ، ثم يقرأ هذا الدعاء بعد الفراغ من قراءة الفاتحة : « **إلهِي عِلْمُكَ كَافٍ عن السُّؤَالِ ، اِكْفِنِي بحَقِّ الْفَاتِحَةِ سُؤَلاً ، وَكَرَمُكَ كَافٍ عَنِ الْمَقَالِ أَكْرِمْنِي بِحَقِّ الْفَاتِحَةِ مَقَالاً ، وَحَصِّل مَا فِي ضمِيري** » .

قال رسول الله ﷺ : « فاتحة مفتوحة لمقصد المؤمنين ، ومن قرأها بالوضوء سبعة أيام في كل يوم سبعين مرة ونفخ على ماء طاهر فشربه رزقه الله تعالى بفضله العلم والحكمة ، وطَهَّر قلبه عن الأفكار الفاسدة ، وجعله ذكياً لا ينسى أبداً ما سمعه » كذا في « سرِّ الفاتحة » .

فائدة : ومن خواص الفاتحة أنها إذا قرأت إحدى وأربعين مرة بين سُنَّة الصبح وفرضه على وجع العين يبرأ بإذن الله تعالى معجلاً ، وهذا الترتيب في هذا الزمان نافع بليغ للعين ، وغيرها من الأمراض ، وذلك قد جُرّب وصح ، والحمد لله ، **والسرُّ في ذلك كله حسن الظن من الوجيع والعازم** .

ومن قرأها بالعدد المذكور على الضرس الوجيع يبرأ بإذن الله تعالى .

ومن قرأ بالعدد المذكور في قفا المسافر حفظه الله تعالى وردَّه سالماً إلى وطنه .

فائدة : من خواص الفاتحة : مَنْ قرأها مائة وإحدى وعشرين مرة وهو مقيد - والعياذ بالله تعالى - ويتفل بعد القراءة عشر مرات على القيد فان القيد ينفكُّ بإذن الله تعالى . وقد جَرَّبه مَنْ كان مقيداً

وعلى الترسم فانفك القيد وخرج ، والحراس رقود ، ونجا بلطف الله تعالى وببركة هذه السورة .

ومن خواصها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال : **من وضع يده على موضع الوجع وقرأ الفاتحة سبع مرات** وقال : « **اللهمَّ أَذْهِبْ عنِّي سُوءَ ما أَجدُ وَفُحْشَهُ بدَعْوَةِ نَبيِّكَ مُحمدٍ ﷺ اَلْمُبَارِكِ المكين الأَمِينِ عِنْدَكَ** » سبع مرات شفاه الله تعالى . وقد جُرِّب ذلك وصح . كذا في « فتح المجيد » . انتهى .

وقال العلامة ابن القيم في كتابه « كل داء له دواء » : وأنا أحسنت المداواة بالفاتحة فوجدت لها تأثيراً عجيباً في الشفاء ، وذلك أني مكثت بمكة مدة ، يعتريني أدواء لا أجد لها طبيباً ولا مداوياً ، فقلت : يا نفس دعيني أعالج نفسي بالفاتحة ! ففعلت ، فرأيت لها تأثيراً عجيباً وكنت أصف ذلك لمن اشتكى ألماً شديداً فكان كثير منهم يبرؤون سريعاً بمكة ببركة الفاتحة ، ثم قال : **وقد يختلف الشفاء لضعف همَّة الفاعل أو لعدم قبول المحل** أن يتداوى بكتابة الفاتحة أو أن يتداوى بقراءة الفاتحة ، فكذلك يختلف الشفاء بضعف همة القارىء ، أو لتغيير القارىء في المخرج والصفات ، أو لعدم قبول المحل ، وإلا فالآيات والأدعية في نفسها نافعة شافية .

عدم إصابة المقصود لأمرين

واعلم أنه قد يعمل كثير من الناس شيئاً من ذلك ولا يقع على مقصوده وغرضه ، وذلك إنما يكون لأمرين :

أحدهما : أن يكون العامل من العصاة غير أهل للانفعالات والمكاشفات .

والثاني : عمله على سبيل التجربة والشك ، وأما إذا حدث من آثار

النفوس الخبيثة من ذوات السموم القاتلة ، والعيون المعرِّضة المهلكة أمر وقابلته النفوس الزكية الشريفة بحقائق الفاتحة وأسرارها ومعانيها ، وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله سبحانه وتعالى ، دفعت أثر تلك النفوس الشيطانية ، وحصل البرء بلا شك ولا شبهة . كذا في « شمس المعارف » . انتهى « خزينة » عبارته في ١١٨ .

أيها الولد : إن فضائل الفاتحة وخواصها كثيرة ، وكتبة الجميع عسيرة ، ولعل في هذا القدر كفاية ، فإن أردت الزيادة فراجع « فتح الملك المجيد » و« خزينة الأسرار » و« شمس المعارف » وغيرها . وقد كان شيخنا المرحوم المغفور سيف الله قدس سره أجازني لكتبة الفاتحة مقطعة الأحرف بلا طمس للحروف محواً وتعليقاً لكل داء ومرض ، وكذا لقراءة يا سلام مائة وعشرين مرة على المريض نافثاً عليه من الريق بعد القراءة للعدد المذكور .

وكتب رضي الله عنه هذه الإجازة بخطه في أثناء صك الإجازة :

يا ولدي إن والدك أجازك في هذا كما أجازني به شيخي المذكور ، رزقك الله تعالى الاعتقاد التام ، ونفع الله تعالى بك العباد بالنفع العام ، آمين .

فضائل سورة ا لإخلاص

وأما قراءة سورة الإخلاص ففضائلها أكثر من أن يحصى .

فمن ذلك ما ذكره محمد حقى النازلي قدس سره في « خزينته » في ١٥١ في فصل الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل قراءة سورة الإخلاص إلخ بالسند المتصل إلى أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا : كيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : اقرؤا قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن » .

وبالسند المتصل إلى أنس ﷺ قال : قال رجل لرسول الله ﷺ : « إني أحب هذه السورة : قل هو الله أحد . قال : حبَّك إياها أدخلك الجنة » كذا في « المعالم » .

وعن أبي ابن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله من الأجر كمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأُعطي من الأجر كمثل أجر ثواب مائة شهيد » كذا في « التفسير الكبير » .

وأخرج مسلم وغيره عن حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وفي « اللباب » عن جماعة من الصحابة كذا في « الإتقان » .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص بإخلاص حرَّم الله جسده على النار » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » .

وأخرج عقيل عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى عبارته .

وفي « الخزينة » أيضاً وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل وأنس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وأخرج الطبراني والدارمي عن أبي هريرة ورواية أخرى عن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بني له قصر في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في

الجنة . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : والله يا رسول الله إذاً لنكثرنَّ قصورنا ! فقال عليه الصلاة والسلام : رحمة الله واسعة من ذلك » كذا في « تفسير الحنفي » و« مشكاة المصابيح » .

مهم

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ، ولو اجتهد الشيطان . كذا في « روح البيان » .

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات ، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » كذا في « الإتقان » انتهى عبارته ١٥٢ .

وفي « الخزينة » أيضاً ١٥٢ : وأخرج ابن نصر عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » .

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة قم يا مادح الله فادخل الجنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاماً ما اجتنب خصالاً أربعاً : الدماء ، والأموال ، والفروج ، والأشربة » كذا في « الجامع الصغير » .

وأخرج الطبراني والديلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو في غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ قل هو

الله أحد مائتي مرة كل يوم كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة ، ومحا عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين ! ومَنْ أراد أن ينام على فراشه ، فنام على يمينه ، ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول الرب : يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة » كذا في « الإتقان » .

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر الله له ذنوب مائتي سنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قرأ في يوم قل هو الله أحد مائتي مرة كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » .

وأخرج الخارجي في « فوائده » عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى عبارته ١٥٢ .

وفي « خزينة الأسرار » ١٥٣ أيضاً ، وروي عن وكيع عن إسرائيل عن إبراهيم عن عبد الله الأعلى عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « كنت أخشى العذاب على أمتي بالليل والنهار ، حتى جاءني جبريل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد ، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يعذب أمتي بعد نزول قل هو الله أحد لأنها نسبة الله عز وجل فمن تعهَّد قراءتها تناثر البر عن عنان السماء على مفرق رأسه ونزلت عليه السكينة ، وتغشاه الرحمة وله دويّ حول العرش ، حتى ينظر الله إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبداً ، ثم لم يسأله شيئاً إلا أعطاه ، وجعله في حرزه وكلاءته ، ويكون له من يوم قراءته إلى يوم القيامة من كل خير أعدَّه الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته من خيري الدنيا والآخرة النصيب الوافر ويوسع الله عليه الرزق ، ويمدُّ له في العمر ، ويكفيه في المهم من الأمور كلها ، ولا يذوق سكرات الموت ، وينجو من عذاب القبر ، ولا يخاف إذا خاف العباد ، وإذا وافى للجمع أتوه بنجيبة

من درَّة بيضاء فيركبها فيمرّ به حتى يقف بين يدي الله تعالى ، فينظر الله تعالى إليه بالرحمة ، ويكرمه بالجنة ، يتبوأ منها حيث يشاء ، فطوبى لقارئها ، فإنه ما من أحد يقرأ قل هو الله أحد مرة إلا وكَّل الله الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، ويستغفرون له ، ويكتبون له الحسنات إلى يوم يموت ، ويغرسون له بكل حرف من قل هو الله أحد نخلة طولها ألف فرسخ ، وعلى كل نخلة ألف شمراخ[1] وعلى كل شمراخ بعدد رمل عالج بُسْرٌ ، كل بُسْرَةٍ[2] منها مثل قلة من قلال الجبال يضيء بريقها غصناً كما بين السماء والأرض ، والنخلة من الذهب الأحمر ، والبسرة درَّة بيضاء مختلفة الألوان حلَلُها وحليُّها ، ومن قرأ قل هو الله أحد وكّل به ألف ملك يبنون له مدائن وقصوراً ، ويغرسون حول المدائن والقصور أشجاراً من الرياحين والثمار ، ويمشي على الأرض والأرض تفرح به ، ويموت مغفوراً للذنوب ، فإذا قام بين يدي الله تعالى يقول له : أبشر وقِرَّ عيناً بما لَكَ عندي من الكرامة ، فيتعجب الملائكة من قربه من الله تعالى وكرامته إياه ، فيأمر الله تعالى اللوح المحفوظ أن يقرأ عليه ثوابه بقراءته قل هو الله أحد ، فيقرأ عليه اللوح ، فيتعجب منه سكان السماء ، فيقولون سبحان ربنا ! هل يكون في الجنة مثل هذا ؟ فيقول الله تعالى : فإني أستعدُّ لعبدي هذا . فارغبوا في قراءة قل هو الله أحد ، فإن قراءتها براءة من النار ، فمن قرأ قل هو الله أحد مرة شهد له سبعون ألف ملك بالجنة ، وكتب له ثواب سبعمائة ألف ملك فيقول الله تعالى : انظروا ما يريد عبدي فأعطوه ، وهو أعلم بحاجته . فمن حافظ على قراءته كتب عند الله تعالى من الفائزين القائمين الصائمين ، فإذا كان يوم القيامة قالت الملائكة : يا رب ! هذا يحب صفاتك . فيقول لهم : لا يبقى منكم ملك إلا شيعه إلى الجنة ،

---

(١) والشمراخ : ما يكون فيه الرطب . « مصباح » .

(٢) البسر من ثمر النخل معروف . « مصباح » .

فيزفُّونه[1] إلى الجنة كما تزفُّ العروس إلى بيت زوجها ، فإذا دخل الجنة ونظر الملائكة إلى درجاته وقصوره فيقولون : يا ربنا ! ما بال هذا أرفع درجة ومنزلة من الذين كانوا معه فيقرؤون كتابك كله ؟ فيقول الله تعالى : أرسلت أنبيائي وأنزلت معهم كتبي ، وبيَّنت لهم ما أنا صانع بمن آمن بي من الكرامة ، وما أنا معذب لمن كذبني ، وأنا أجازي كلهم بقدر أعمالهم من الثواب ، لأصحاب سورة الإخلاص ! فإنهم كانوا يحبّون قراءتها آناء الليل والنهار ، فلذلك فضَّلتهم على سائر أهل الجنة . فمن مات على حبِّ قل هو الله أحد يقول الله تعالى : من يقدر على أن يجازي عبدي غيري ؟ أنا المليء بجائزته فيقول : عبدي ! ادخل جنتي أَرْضَ عنك . فإذا دخلها يقول : ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ** ﴾ إلى ﴿ **فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ** ﴾ فطوبى لمن أحب قراءة قل هو الله أحد ، فإن من قرأها كل يوم ثلاث مرات يقول الله تعالى : عبدي وُفِّقْتَ وأحببتَ ما أردتُ ! هذه جنتي فادخلها حتى ترى ما أعددت لك من الكرامة والنعيم بقراءتك **قل هو الله أحد!** فيدخل فيرى ألف ألف قهرمان على ألف ألف مدينة ما بينها قصور وحدائق . ارغبوا في قراءة سورة الإخلاص فإنه ما من مؤمن يقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات إلى خمس مرات إلا وقد استوجب رضوان الله الأكبر ، وكان من الذين قال الله تعالى ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم** ﴾ إلى ﴿ **وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا** ﴾ . ومن قرأها عشرين مرة فله ثواب سبعمائة ألف رجل أهريق دماؤهُم في سبيل الله ، وبورك عليه وعلى آله وماله وداره .

ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثون ألف قصر في الجنة .

ومن قرأها أربعين مرة جاور النبي ﷺ .

---

(١) زفت النساء العروس إلى زوجها زفا ؛ من باب قتل والاسم الزفاف مثل كتاب ، وهو إهداءها إليه « مصباح » .

ومن قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

ومن قرأها مائة مرة كتب الله له عبادة سنة .

ومن قرأها مائتي مرة فكأنما أعتق مائة رقبة .

ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد .

ومن قرأها خمسمائة مرة غفر الله له ولبيته ومَن ولد .

ومن قرأها ألف مرة فقد أدَّى دَيْنَهُ إلى الله تعالى وصار عتيقاً من النار .

واعلموا أن خيري الدنيا والآخرة في قراءة قل هو الله أحد ، **ولا يتعاهد قراءتها إلا السعداء ، ولا يعجز عن قراءتها إلا الأشقياء** . كذا في « تفسير الحنفي » .

وأخرج الديلمي مرفوعاً « من صلى الفجر في جماعة ، وجلس في محرابه ، وقرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفرت له الذنوب التي بينه وبين ربه التي لا يطلبها إلا الله » .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة بُشّر له بالجنة » . كذا رواه أبو عبيدة رضي الله عنه .

وقيل من قرأ قل هو الله أحد في المنام أعطي التوحيد ، وقلة العيال وكثرة الذكر ، وكان مستجاب الدعوة .

وأخرج الحافظ أبو محمد بن الحسن بن أحمد السمرقندي رضي الله عنه في فضائل قل هو الله أحد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهل بيته ، ومن قرأها ثلاثاً بورك عليه وعلى أهل بيته وجيرانه ، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له في الجنة اثني عشر قصراً ، ومن قرأها عشرين مرة

جاء مع النبيين هكذا وضم الوسطى والتي تلي الإبهام ، ومن قرأها مائة مرة غفر الله له ذنوب خمس وعشرين سنة إلا الدين والدم ، ومن قرأها مائتي مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة ، ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد ؛ كلّ عقر جواده وأهريق دمه ، ومن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، أو يرى له » . انتهى عبارته ١٥٤ .

وفيه في ١٥٥ وأخرج ابن النجَّار عن علي ﵁ عن رسول الله ﷺ قال : « من أراد سفراً فأخذ بعضادتي[1] منزله فقرأ إحدى عشرة مرة قل هو الله أحد كان الله له حارساً حتى يرجع » .

وأخرج ابن عدي والبيهقي عن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كطهارة الصلاة ، يبدأ بفاتحة الكتاب ، كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وبنى له مائة قصر في الجنة ، وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، وهي براءة من الشرك ، ومحضرة للملائكة ، ومُنَفِّرة للشياطين ، ولها دويّ حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله تعالى إليه ، وإذا نظر إليه لم يعذبه أبداً » . انتهى عبارته .

وفيه في ١٥٨ وأخرج البيهقي عن أبي أمامة الباهلي ﵁ قال : أتى رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام وهو بتبوك فقال : يا محمد ! اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني . فخرج رسول الله ﷺ ، ونزل جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة ، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ، ووضع جناحه اليسرى على الأرضين فارتفعت ، حتى نظر عليه الصلاة والسلام إلى مكة والمدينة شرفهما الله تعالى إلى دار القيام ، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليهم السلام ، فلما فرغ قال عليه الصلاة

---

(١) العضادة بالكسر : جانب العتبة من الباب « مصباح » .

والسلام : يا جبريل ! بمَ بلغ معاوية هذه المنزلة ؟ قال : بقراءة قل هو الله أحد قائماً وراكباً وماشياً » . كذا رواه البيهقي في « الدلائل » انتهى .

وفي « التذكرة » للقرطبي : أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ، وأَمِنَ من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة » .

كذا في « الفوائد » قال ﷺ : « إن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في مرضه الذي توفي فيه مات شهيداً » . وعدَّه العلماء في الذين ماتوا شهداء ، لا يسألون في قبورهم ، ولو لم يقرب موته بل طال مرضه بعد قراءتها . انتهى « خزينة » عبارته ١٥٨ .

أيها الولد ! نفع الله تعالى بك العباد ، ولا جعلك من أهل العناد آمين . إني ذكرت في فضيلة قل هو الله أحد ما هو الأهم عندي ، فإن أردت الزيادة فعليك الرجوع إلى الكتب .

وأما إهداء ثواب فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص إلى روح النبي ﷺ وإلى أرواح سائر المشائخ والنداء إليهم بـ يا أساتيذي ويا مشائخي أطلب منكم العون لأذهب إلى الله تعالى ويتقبلني الله تعالى ! فللوسيلة للاستمداد منهم وللقربة والمناسبة لهم ، وقد ورد في الحديث « تهادوا تحابوا » وطلب المحبة والمودة بين المتلاقيين مرغوب ، والهدية تذهب الشحناء ، وتلك الهدية كالصدقة ، والتصدق قبل النجوى محمود . وقال الله تعالى : ﴿ **إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً** ﴾ الآية . والأدب مع ورثته ﷺ كالأدب معه ﷺ فافهم . ومن المعلوم أنه لو كان واحد يهدي إلى واحد مثلاً بشيء من الدنيا صباحاً ومساءً ، ثم إن المهدي لو طلب من المهدى إليه جلب نفع إليه أو دفع ضرٍّ عنه ! يقصد المهدى إليه بهمَّته لقضاء حاجة المهدي ، وإن أمور الآخرة عند الأموات أعلى من أمور

الدنيا ، فإن الميت كالغريق ينتظر دعوة ملحقة من أب أو أم أو صديق ، فإذا لحقته كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها ، والميت قد عرف قدر الطاعة وندم على ما فات منها ، وأنه يكون حريصاً على الطاعة ومتحسِّراً على ما فرَّط في ذكر الله تعالى وقراءة كلامه ، فإذا أهدى واحد إليه شيئاً ما مما قرأه من القرآن كان ذلك عنده أحبّ إليه مما طلعت عليه الشمس . والمشائخ رحمهم الله تعالى ، وإن ماتوا فهم أحياء عند الله ، ويسمعون نداء الأحياء ويجيبونه ، ويمدّون لمن طلب منهم المدد .

وقد رأيت في « المنن » ما حاصله : ومن شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده **وإن كان بينهما مسيرة ألف سنة** ، أو ما هذا معناه .

وكان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بأن نقول بعد إهداء ثواب قراءة الفاتحة والإخلاص إلى أرواح المشائخ ، وبعد نداء إليهم بيا أساتيذي . . إلخ : بيا رب لا تطردني عن بابك بحرمة هؤلاء المشائخ إلخ . . فإذا سأل الله بالنبي ﷺ ! فإن الملك يبلغه ذلك للنبي عليه السلام ويقول له : إن فلاناً سأل الله بحقك في حاجة كذا ، فيسأل النبي ﷺ ربَّه في قضاء تلك الحاجة ، فيجاب ، لأن دعاءه ﷺ لا يردُّ . وكذا السؤال بالأولياء ! فإن الملك يبلغهم أيضاً ، فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » مبسوطاً فراجعه في ١١ من هامش « المنن » ج٢ .

ولا يخفى عليك أن جعل الوسيلة لله[١] إنما هو من إعظام جانب

---

(١) أي : إلى الله .

* وجوّز في « البزازية » أن يقول : بحرمة فلان ، وفي « المنية » : وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول بل الاستحباب . نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم من الله شيئاً فاسألوه بي ، فإني أنا الوسيلة ، أنا بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي : من كانت له حاجة فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثيرة في الكتب ، كـ« الحصن الحصين » . « بريقة » عبارته ٣٣٤ . =

التوحيد ، فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه ، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق ، فتجتمع همَّته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه ، اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب ، وإعظاماً لقدره وإيماناً بأنه هو الفعال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية ، لاتِّباعهم بنبيِّه الكريم ، ولوقوفهم عند أمره العظيم . وقد ثبت في الأحاديث التوسل به ﷺ ، وبالنبيين والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وفي « نور الإنصاف » بسط فراجعه .

ورأيت في « فتاوى » الرملي ما نصه هذا : وسئل عما يقع من العامة من قولهم في الشدائد يا شيخ فلان ! يا رسول الله ! ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا ؟ وهل للرسل والأنبياء والصالحين والمشائخ إغاثة بعد موتهم ، وماذا يرجح ذلك ؟ فأجاب : بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم ، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم . انتهى فراجعه في ٣٨٢ من هامش « فتاوى » ابن حجر من الجزء الرابع . وفي « الفتاوى العمرية » : وقوله : يا سيدي يا بدوي ! ويا شيخ فلان ! ليس من الإشراك لأن القصد التوسل والاستغاثة . قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ . انتهى نقله من الشيخ الإمام

=خاتمة : سئل عز الدين : هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبيّ والملك والوليّ .

فأجاب : بأنّه جاء عن النبي ﷺ أنّه علّم الناس (اللهم إنّي أقسم عليك بنبيك محمّد نبيّ الرحمة) ، فإن صح فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه السلام لأنه سيد ولد آدم ، ولا يقسم على الله غيره من الأنبياء والملائكة ، لأنهم ليسوا في درجته ، ويكون هذا من خواصه . انتهى . والمشهور أنه لا يكره بشيئ من ذلك . « مغني » عبارته ١٨٥ .

العلامة أبو العز أحمد العجمي الشافعي الوفائي رحمه الله تعالى .

وفي « الفتاوى العمرية » أيضاً في موضع آخر : وأما قوله : يا شيخ عبد القادر فهو نداء ، وإذا أضيف إليه شيء لله فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب لحرمة ذلك ؟ « فتاوى خليلي » انتهى عبارته ، راجعه تجد البيان .

وقد خطر لي على جواز ذلك دليل قوي لم أر من ذكره ، وهو أنه ورد في الحديث القدسي « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر » الحديث .

ولا شك أن من يسمع بالله ويبصر بالله يستوي عنده القريب والبعيد من المسموعات والمرئيات ، إذ الأمر يرجع إلى أنّ الله تعالى يمنّ ذلك السامع وذلك المبصر بقوة عظيمة يسمع بها ويرى البعيد والقريب ، كما سمع النبي ﷺ الذي استغاث به من بني كنانة ، وأخبر بكثير من المغيبات التي رآها حتى النار والجنة ومن فيهما رآهما في عرض الحائط ، كما صح في الحديث . وذلك أيضاً يتفاوت بتفاوت الناس ، فالأنبياء بذلك أعلى من الأولياء ، ولهم أيضاً درجات ؛ وأعلى درجاتهم سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ . « شواهد الحق » عبارته ١٥٠ .

وأما التفكر في الموت وما بعده بعد ذلك وقبل تصور صورة الشيخ وربط قلبه بقلبه ! **فلأنّ قلب المريد مملوء بنقوش الأغيار ،** ومتدنِّس بدنس الأفكار ، فلا يكاد أن يخطر فيه سواها ، فلا يصفو له تصور صورة شيخه .

فإذا تفكر في الموت وما بعده تقل عنه الخواطر النفسانية والأفكار الفاسدة الكامنة في وسط القلب ، أو تنفى بالكلية ، فيقدر أن يتصوّر صورة

الشيخ ، فإنَّ تذكر الموت علاج لذهاب الخواطر . وفي شرح « عين العلم » وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت : أكثري ذكر الموت يرقُ قلبك . ففعلت ، فرقَ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى عبارته ٨٨ ج٢ ، وعينه في « الإحياء » في باب ذكر الموت .

وفائدة تذكر الموت والتفكر وفضائلهما كثيرة ، فمنها ما ذكره سليمان الزهدي النقشبندي الخالدي في هامش « صحيفة الصفا لأهل الوفا » بما نصُّه : عن مقداد بن أسود رضي الله عنه قال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه كيف تفكُّرك ! وفيماذا ؟ قال : في قوله : ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : تفكُّرك خير من عبادة سنة . ثم سأل عليه الصلاة والسلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكُّره فقال : تفكري في الموت وهول المطلع . قال عليه الصلاة والسلام : تفكرك خير من عبادة سبع سنين . ثم قال عليه الصلاة والسلام لأبي بكر رضي الله عنه كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول يا رب اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصدَّق وعيدك لا تعذب أمة محمد ﷺ . فقال عليه الصلاة والسلام : تفكرك خير من عبادة سبعين سنة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أرأف أمتي بأمتي أبو بكر رضي الله عنه . انتهى عبارته في ٥ .

يا ولدي ! ويا قرة عيني تدبَّر في جميع ما للمريد من المنافع والفضائل بمجرد الاشتغال بمقدمات الرابطة ، من الاستغفار ، وقراءة سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، وإهداء ثوابها لروح النبي ﷺ ، ولأرواح المشائخ ، والتفكر في الموت وما بعده صباحاً ومساءً في كل يوم ، مع أنه لا ينقص له من أجر ما قرأه شيء وإن أهدى إليهم ثوابه ، كما هو[1] مذكور في « التتارخانية » عن « المحيط » . فكم وكم فضيلة

(١) أي : عدم النقصان .

* ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن أبي الحمائل يرى النبي ﷺ ، ثم=

يحوزها المريد! فجزى الله تعالى عنا وعن أهلنا المشائخ حيث علمونا أمثال هذه الفوائد، ولولاهم لبقينا في واد الجهالة متحيِّرين محرومين عن هذه الفضيلة. فالحمد لله رب العالمين.

وأما الرابطة: فقد كان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بعد إتمام ما ذكر من ترتيب الشغل بالرابطة، أي بتصوُّر صورة الشيخ محمود أفندي قدس سره، وربط القلب بقلبه للاستفاضة، صباحاً ومساءً في كل يوم. وكان يقول: **إن حكمة تعيين تينك الوقتين** المذكورتين للرابطة كون أرواح المشائخ فيهما يدورون مشرقاً ومغرباً، فإذا وجدوا أحداً يرابط واحداً منهم يقف ذلك الواحد ويتوجه إليه، فيقف حينئذٍ كلهم وينظرون ويتوجهون إليه، فيحصل لذلك المرابط البركة من جميعهم. انتهى.

وكان رحمه الله تعالى يقول: إنه كان يراهم يدورون كذلك في

=يدخل رأسه في جيب قميصه ثم يقول: قال النبي ﷺ فيه كذا، فيكون كما أخبر، لا يتخلف ذلك أبداً. فاحذر من إنكار ذلك فإنه السمّ. قال النابلسي: وليس هذا بأمر عجيب، ولا شأن غريب، فإن أرواح الموتى مطلقاً لم تمت ولا يموت أبداً، ولكنها إذا فارقت الأجسام الترابية العنصرية تصوّرت في صورها كتصور الروح الأمين جبريل عليه السلام في صورة أعرابي، وفي صورة دحية الكلبي. وإذا كان هذا في أرواح عامة الناس فما بالك بأرواح النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وليس الموت بإعدام للأرواح وإن بليت أجسامها وسؤال القبر حق، وكذلك نعيمه وعذابه حق في مذهب أهل السنة والجماعة. والسؤال والنعيم والعذاب إنما يكون في عالم البرزخ لا في عالم الدنيا، وعالم البرزخ بابه القبر، وليس في القبور إلا أجسام الموتى، لأن القبور من عالم الدنيا. وأرواح الموتى في عالم البرزخ أحياء بالحياة الأمرية، وإنما كانت الأجسام في الدنيا أحياء بأرواحها، فلما عزلت عن التصرف فيها ماتت الأجسام، والأرواح باقية في حياتها على ما كانت. وإنما الموت نقلة من عالم إلى عالم فالأرواح المكلفة غير المرهونة بما كسبت تسرح في عالم البرزخ، وهي في صور أجسامها وملابسها، وتظهر في الدنيا لمن شاء الله تعالى أن يظهرها له، كأرواح الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى. وهذا أمر لا ينبغي للمؤمن أن يشك فيه لأنه مبنيّ على قواعد الإسلام وأصول الأحكام. «أفضل الصلوات» عبارته ٣٢.

حالة كونه في الخلوة والسلوك . انتهى .

وهذا الحقير الفقير رأى مرة في واقعة كأن النبي ﷺ يطير في الهواء راكباً على الفرس ، وكان معه وخلفه جمع كثير من المشائخ ، وكانوا يطيرون كما يطير الطير سريعاً من جهة المشرق إلى جهة المغرب ، وقد نزل من بينهم واحد[١] منهم إلى منزل واحد من قريتنا وداره ، فأخبرتُ الشيخ المذكور قدس سره هذه الواقعة . فقال : ألم تطر معهم ؟ فقلت له : لا . انتهى . فما أسرع أرجل فرس النبي ﷺ ! فقد كانت تسرع بحيث لا تدركها البصر . فحين سمعت الشيخ قدس سره يقول ما قاله ظننت أن سبب نزول ذلك الواحد[٢] منهم إلى دار ذلك الرجل كونه وقتئذ يرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره ، وقد كان الرجل من المريدين المرابطين به ، والله أعلم .

ومما يؤيّد قول شيخنا المذكور ما قاله شيخ الطائية[٣] بما نصه : **واعلم** أن المشائخ **ينظرون بعيون أفئدتهم ، ويراقبون بنور قلوبهم إلى أحوال المريدين في الأوقات الشريفة ، كوقت السحر ، وبعد صلاة الصبح** إلى وقت الإشراق ، فطوبى ثم طوبى لمن تقدم في هذا الوقت ! فويل ثم ويل لمن تأخر عن عيون قلوبهم ! فانظر أيها المريد كيف يكون حالك مع أنك في أودية الغفلة والنعاس ! وهو مطلع على سريرتك ! فواخجلتاه ويا حسرتاه من نظر رسول الله ﷺ . انتهى .

وسمعت شيخنا العسلي رضي الله عنه يقول : إن الشيخ ينظر إلى المريد وإن كان غائباً ، فإن وجده في حضور ووقوف فيتوجَّه إليه ويحصل له البركة ،

---

(١) أو اثنان ، شكّ .

(٢) أو الاثنان ، شك .

(٣) كذا في الأصل ولعله الطائفة ، تدبر .

وإن وجده في غفلة وفتور يتركه كما وجد . انتهى .

يا ولدي إن نظر الشيخ إلى المريد وتوجُّهه على قدر توجه قلب المريد إلى الشيخ ومحبته ، فذلك التوجه والمحبة هو يجر الفيض والمدد من حوض قلب الشيخ إلى قلبه ، وهما كالمغناطيس يجر الحديد إلى جانبه ، **فعلى قدر كينونة الشيخ في قلب المريد يكون المريد في قلب الشيخ** ، وتصرُّف الشيخ يكون بحسب صدق مَنْ توجه إليه[1] . فافهم فإنه[2] نفيس .

ويحتمل أن يكون سبب تعيين وقت الصباح ووقت العصر للرابطة ما ذكره الشعراني في « المنن » راجعه في ٢٦٢ ج١ : من أن الأرزاق المحسوسة تقسم بعد الصبح ، **والأرزاق المعنوية تقسم بعد العصر**[3] .

---

(١) راجع « المنن » في ١١٣ ج١ .

(٢) ورأيت في « نور الهداية » ما نصّه : على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيزة بموضع دون موضع ؛ وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيّتها . والبعد إنما يتعلّق بالمريد ، فإذا تذكر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه فتعلقت به قلبه فاستفاد منه . وإذا احتاج المريد الشيخ ليحلّ له إشكال واقعته يستحضر بقلبه ويسأله عما يشاء . هذا لا بلسان الظاهر بل بلسان القلب ، فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال . انتهى نقله من « الرسالة المكية » فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) . من خطه ، وراجع « نور الأبصار » من مناقب إبراهيم الدسوقي .

(٣) وقد أخبرني واحد من أهل الكشف أنّه كان في وقت الصبح يفعل الرابطة ففاجأه النوم فرأى واحداً يقسم شيئاً فأعطى القاسم منه للناس ولم يعطه شيئاً منه ، فانتبه من النوم فنظر في المسجد فوجد فيه المريدين قاعدين على الحضور . وأخبرني أيضاً أنّه كان في يوم في وقت العصر يرابط محمود الفعال قدس سره فطرأه النوم أيضاً ، فرآى في المنام كأنّ واحداً يقسم الأخباز المملوءة بالجبن فأعطاها لمن خلفه ولم يعطه شيئاً منها ، فانتبه من النوم فنظر خلفه فوجد خلفه رجلاً رآه قاعداً واقفاً على الحضور القلبي . انتهى . وقال أيضاً أنه يرى كثيراً في هاتين الوقتين نظير هذه الوقائع . والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

انتهى . أعني أن الذي يطلب الرزق ويحتاج إليه ينبغي أن يقف في حالة القسمة على الحضور ، لا على الغفلة والقصور ، ليكون مستعدّاً لنزوله ، متأدِّباً متضرعاً بين يدي القاسم . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب . فإذا كان الأمر كذلك أرجوك أن تلازم على الأوراد والرابطة في وقت الصبح ووقت المساء ، وأن تطلب من الله تعالى الفيض الخاص الذي يهبه تعالى في هاتين الوقتين خاصاً ، فإن الفيوض وإن كانت لا تنقطع دائماً لكن لله تعالى في أوقات مخصوصة سيول من الرحمات والنفحات ، كالأمطار تنزل في أوقات كالسيول ، وفي أوقات كالقطرات ، والمتعرِّض للنفحات[1] لا تكاد تخطؤه شآبيب الهبات . والشأن كله في صحة القصد والنية ، وتزكية الأعمال من الشوائب الردية والأخلاط البشرية ، فعساه تعالى إن طلبت بعلوِّ الهمَّة وصرف العزمة أن يوصل إليك رشحة من تلك الهبات والفيوضات ، فالمداومة على ذكر الله تعالى وطاعته مطلوب مع شهود التقصير في التشمير ، وعدم رؤية الأعمال قليلها والكثير ، إذ قليل العمل مع شهود ذلك خير من كثير ، ورؤية الأعمال والإعجاب بها محبطة لها كاسفة لنور البال . وعليك بالصبر والاحتمال ، وسلامة الصدر وسعة البال ، والعفو والصفح وكظم الغيظ في كل حال ، والرحمة والشفقة على عباد الله تعالى ، **فالراحمون يرحمهم الرحمن** ، وإنما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء ، « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » هكذا وردت الأحاديث .

واعلم يا ولدي أن الأبرار والمقربين ما نالوا إلى ما نالوه من الأذواق والمشاهد والمقامات السوامي والفوائد ، وتلقي الهبات والموارد ، وغير ذلك مما يقرب من الصمد الواحد ، بالترجي والمنا ، والتكاسل والهوينا ، بل ببذل المجهود في خدمة المولى الودود ، فإن أردت اللحوق بذلك الملأ

---

(١) نفح الطيب : فاح ، وله نفحة طيبة « مختار » .

فاسلك طريقهم المُثْلى[1] ، واتبع منهجهم الأعلى ، واقتف آثارهم وآدابهم ، واقتبس من نورهم ونارهم ، وتشبَّه بهم في شعارهم ودثارهم[2] ، فمن تشبَّه بقوم فهو منهم وإن بعدت حقيقته منهم ، ومن أحبَّ قوماً كان منهم ومعهم ، وإن أردت أن تحظى بقلب منوَّر صافٍ عن غير الله تعالى فلازم ذكره ، وواظب عليه في الليل والنهار ، في كل حال باللسان أو بالقلب ، فإن لازمته بتوجُّه تامٍّ يظهر لك نور وارد من الله تعالى كنور الشمس ﴿**مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ**﴾ الآية . **فذكره تعالى غذاء لكل قلب مهتد ، وهو دواء لكل قلب موجع** ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ الآية . والكون كله حجاب ، فبملازمة الذكر يصفو القلب عن نقوشاتها ، والنظر إليه ورؤيته عماء من الله تعالى ، وتيقَّن يا ولدي **أن القلب المشحون بالأغيار لا يصلح أن يكون محل نظر الله تعالى ،** ألم تسمع ما في الحديث « رماح » في ١٧٤ ج١ « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أعمالكم ، بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » **وأن الذاكر لله جليس الحق تعالى ،** فمن جلس معه فالأدب أن لا يلتفت إلى غيره .

والرابطة من أنفع الوسائل إلى الحضور ، وأجلِّ ما يدفع به الخواطر ، فقد مرَّ في الترغيب الأول أنها تثمر ما يثمر الذكر ، بل هي أشد تأثيراً من الذكر .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلُّف وتعمُّل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد ، التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً . فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظل الدليل

---

(١) أي : الفضلى « قاموس » .

(٢) الدثار بالكسر : كل ما كان من الثياب فوق الشعار « مختار » .

أولى من ذكر الحق سبحانه وتعالى باعتبار النفع ، يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً ، والسلام أولاً وآخراً . انتهى كذا في « مكتوباته » فراجعه في ١٦٠ ج١ .

يا ولدي أوصيك بالمداومة على الرابطة ، فإني سمعت شيخنا قدس سره يقول ويأمر أمك : داومي على الرابطة بالشيخ محمود أفندي على كل حال ، وفي كل وقت ، فلولا كان علم ما في المداومة عليها من النفع لما أمرها بذلك ! وقد أمرني قدس سره في حالة سلوكي أيضاً بالمداومة عليها[1] ، وعدم الغفلة عن تصوُّر صورة الشيخ محمود الفعال ولو في وقت ما . انتهى . وكان يقول : إنه غفل مرة حين كان في السلوك عن تخيُّل صورته ، فرأى شيئاً كبيراً ، كأنه جمل كبير فتذكر وقتئذ صورة محمود أفندي فغاب ، ثم بعد ذلك غفل عنه ثانياً فقام بين يديه شيء أسود كأنه منبر عظيم ، فطرأ عليه من ذلك خوف شديد ، فرجع حالتئذ إلى الحضور ، فغاب عنه في الوقت . انتهى . يعني أن ما رآه كان من الشيطان وقت غفلته عن الرابطة .

والسرُّ في ذلك أن الشيطان يحترق إذا دنا الشيخ الكامل الفاني الباقي ، فإذا رابط المريد قلبه به ، وتخيَّل كأنه بين يديه يحضر لديه روحانية الشيخ أسرع من لمح البصر ، فيهرب الشيطان حينئذ ، فهذا من أعظم فوائد الرابطة . فما أجلّ حال من له شيخ يقتدي ! وبه يرابط ويقتفي !

ولله در سيدي علي وفا رضي الله عنه حيث قال : **لا يظفر بأستاذ إلا مخصوص عند الله تعالى !** لأنه يوصلك إلى الله تعالى ، فسلم له إن وجدته تسلم وتغنم . فأستاذك بالنسبة إليك هو فضل الله تعالى عليك ورحمته بك ،

---

(١) أي : على الرابطة .

فتحققك به خير من جميع ما استفدته . ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقال ﷺ : من رأيته على عظم مرتبته وعلوِّ قدره عندك يتواضع لعظمة الله تعالى ، ويتصاغر من خشيته علماً وحكمة **فالزم قدمه** ، فإنه الذي ينفخ الأنوار في صور صدرك ، وسلام على إسرافيل ، وما أدراك[1] ما إسرافيل ! والسلام . انتهى . من « تقريب الأصول » عبارته ٧٠ .

وأما الوقوف في الرابطة في قدر ربع ساعة - وهو أقلها - فالسرُّ فيه أن قلب الشيخ مثل الميزاب . والفيض الجاري منه مثل الماء ، وقلب المريد مثل الإناء الذي وضع تحته ، فإن وضع الإناء تحت الميزاب لحظة مثلاً لا يصل إلى الإناء إلا قطرات من الماء لا يكفي للشرب ولا يسع للوضوء ، وإذا وضع تحته ولو قدر ربع ساعة يصل إلى الإناء ما يكفي للشرب والغسل والوضوء ، **فهكذا إذا صبر المريد في حالة الرابطة في ذلك القدر المذكور يصل إلى قلبه من الفيض الذي هو النور ما يكون سبباً لطرد الشيطان من الصباح إلى المساء ، ومن المساء إلى الصباح ، فإن الشيطان لا يدخل موضعاً فيه النور** ، لأن مسكنه ليس إلا الظلمة . وإن لم يصبر بل أسرع فيها لا يصل إلى القلب إلا شيئاً يسيراً من النور ، فيزول سريعاً ويجد الشيطان إلى قلب المريد سبيلاً .

وأيضاً إن مثال ذلك مثال الحطب الجاف الشديد الصلب إذا طرح إلى الماء وخرج منه سريعاً يجف سريعاً ، ويعود إلى حالته الأولى من الشدة والصلب ، وإذا تركه فيه زماناً يسري الماء في جميع أجزاء الحطب ، إلى أن يصل إلى اللب ، فلا يجف بعد ذلك إلا بعد زمان طويل ، فكذلك القلب القاسي .

---

(١) وفي نسخة : وما أدريك .

ومثال آخر أن القلب كالأرض الجاف الصلب ، والفيض كالمطر ، فإذا نزل إليها الماء زمناً ينبت عليها النبات الحسن ، وإلا ! فتبقى الأرض كما هي قبل ذلك . لكن النبات على قدر استعداد الأرض ، فإن كانت الأرض صلبة لا ينبت عليها إلا بالمطر الكثير والماء الغدير[١] ، وإن كانت سهلة مستعدة فيكفي لها القدر اليسير من الماء فينبت عليها ﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ الآية . . وهكذا القلب فافهم .

وقد سمعت شيخنا قطب الإرشاد العسلي قدس سره يقول : **إن سبب عدم وصول الحال إلى قلب المريد تهاونه في الرابطة ، وعدم صبره فيها** إلى أن يحصل له الغيبة . انتهى .

أقول والله تعالى أعلم : إذا وجد المريد في إحضار صورة الشيخ سكراً أو غيبة[٢] يترك الالتفات إلى صورته[٣] ، ويكون متوجِّهاً إلى ذلك الحال ، لأن الرابطة وسيلة إليها ، والغيبة هي المقصود منها ، ويسمُّونها زمان الوصول[٤] في اصطلاح القوم . فراجع كتبهم .

وفي « المعربات » قال الغوث الصمداني : ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته ، الذي قطع

---

(١) الغدير : قطعة من الماء يغادرها السيل « مختار » .

(٢) أي : غيبة عما سوى الله (منه) .

(٣) أي : بعد تمكن ذلك الحال كما يأتى آنفاً (منه) .

(٤) ومما ينبغي أن يعلم أن منفعة الرابطة إنما تحصل إذا رابط المريد قلبه بقلب الشيخ مع ملاحظة صفاته ؛ من كونه فانياً في الله وباقياً به ، وتخلّقه بأخلاق الله وأخلاق رسوله عليه السلام . فإن حصول الأثر بملاحظة الصفات معلوم مشاهد مجرب ، ألا ترى أن واحداً لو تذكر رجلاً مضحكاً بمجرّد ذاته لا يحصل له به الضحك ، ولو تذكر مع ذاته ما يضحك به ، من صفاته وأفعاله وأقواله يحصل له الضحك والتبسّم ، وكذلك الحزن والبكاء . فيقاس على ذلك حال الرابطة ، فافهم فإنه نفيس (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شفاء للأمراض القلبية ، وتوجُّهه رافع للعلل المعنوية . انتهى . فالشيخ بقوة تصرُّفه ترتفع الظلمات البشرية عن المريد ، وتثبت أنوار الجمال الإلهي . **فمن داوم على الرابطة حصل له جميع أحوال الطريق وكمالات الحقيقة ، ومن اختلت رابطته انقطعت استفاضته** ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهر له أسرار الوصول !

ومما ينبغي أن يعلم : أن روحانية الشيخ ليست مقيدة بمكان دون مكان ، ففي أيِّ مكان يتصوَّره تحضر فيه روحانيته ، وينبغي للمريد أن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكن فيه ذلك الحال ، لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ، لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً ، إلى أن يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة . فافهم ، وراجع ، وتدبَّر ، ولا تكن من الجاهلين .

يا ولدي! قد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إن العلامة التي تحصل وقت الرابطة وحين حضور روحانية محمود أفندي هي الحرارة القلبية ، أو الارتعاش[١] والحركة ، أو شمُّ الرائحة الطيبة ، أو إلخ . ومن المريدين من لا يعلم شيئاً من الأحوال ، ومنهم من يعلمها بالذوق والوجدان . **وعدم العلم لا يكون نقصاً في الحال** ، بل العدم المحض أسنى الأحوال ، كما كتبه شيخنا سيف الله قدس سره بقلمه . فينبغي للمريد أن لا يكون قصده من الأشغال والوظائف إلا العبودية المحضة ، فكل شغل من أشغال الطرائق مما ورد به الأمر الإلهي فافهم . فهذه الترغيبات العشرة مما ينبغي اعتناؤها ، لينبعث عليها طالب السلوك ، فمن علم ماله فيما يفعله من المنفعة هان عليه السعي في طلبها . والله تعالى ولي التوفيق .

---

(١) أي : ارتعاش القلب وتحركه (منه) .

الخاتمة في الترهيب ونبذة من الوصايا

اعلم أيها الولد! - رزقك الله تعالى التقوى آمين - أن الشرع كله قد ورد مبنياً على الترغيب والترهيب ، فإن الترغيب للعبد كالملح للدابة الجموحة ، والترهيب كالسوط لها . وقد ذكرت في هذا الكتاب من الترغيبات ما فيها كفاية . وأنا الآن إن شاء الله تعالى أذكر هاهنا شيئاً من الترهيبات ، ليكونا للسالك كالجناحين للطائر . وكنت كتبت في الترغيب الأول ما في اتخاذ الشيخ من الفوائد ، لكن لما كان اختلاط الصغير بالكبير لا يخلو من خطر ولو في الجملة أردت أن أنبّه الولد على كيفية ما يجب عليه من الاحترام ، وما يطرأ عليه إذا ترك الحرمة .

قال : « في رماح حزب الرحيم » في ٣٣ ج١ : قال أبو المواهب التونسي : وإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت ! فتستوجب الطرد والمقت ، فإن من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه . انتهى . فلهذا قال شيخنا رضي الله عنه كما في « جواهر المعاني » ومن أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام مَنْ تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان ، وكان مثله كمن أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا قبله ، فيسجل[1] عليه بطابع الكفر . انتهى . وذلك لأن **الشيخ في قومه كالنبيّ في أمته ،** ومبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائباً عنه ﷺ ، راجع « رماح » في ١٢٦ ج١ ، فللمريد من الأدب مع شيخه والمحبة له بحكم الإرث نحو ما كان له ﷺ ، وذلك ليحصل له كمال الانقياد ويعتقد فيه أنه أشفق عليه من نفسه ، كما كان النبي ﷺ كذلك . قال تعالى ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ** ﴾ **وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في المحبة نفض يديه**[2] **منه .**

---

(١) أي : يضرب « مختار » .

(٢) وفي « جواهر المعانى » فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم=

وقد ذكر مثله صاحب كتاب « الرماح » في الفصل الثامن عشر .

وفيه : ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عديٍّ بن مسافر قدس الله سره . اعلم أنك لا تنفع قطّ بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذِّبك بأخلاقه ، ويؤيِّدك بإطراقه[1] ، وينوِّر باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء .

وقد ذكر سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى في كتابه المسمى « بالوصايا » . **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال ، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي ! لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه من إشراك أحد معه في المحبة ، لا يزيله إلا ذلك ، لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك . فافهم . انتهى .

=والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره . ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه ، لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يحنّ إلى مركزه ، وهي الحضرة الألهية التى برز وفيها نشأ . ولكلّ شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها غيره ، فإذا أورد منها نور بأمر من الأمور التى ذكرناها ، ونسب إلى غير تلك الحضرة الإلهيّة اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه ، وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهيّة أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل واحد إلى الله قال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهيّة فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذّب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب فإذاً يطرد ويسلب ، والعياذ بالله تعالى ، انتهى ١١٣ من الجزء الأول فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) من خطه .

(١) وفي نسخة : بأطرافه .

فعلم أن كل من لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قطّ بترك شيء إلا ليعطيه أنفس منه ، فمحبته نفاق ، ولا يمكن لشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار التي يترقى هو بها ، فإن مَنْ لم يصلح لأن يكون محلاً للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم ، وكذلك إذا كان الشخص يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام : وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال : والله لا آمنكم على إخراج ريح ! فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريقة ؟ **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر ، لا يفلح منهم أحد بعده لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم . انتهى من كتاب « الرماح » راجعه في ١٢٨ ففيه بسط وهو منقول من كلام الشعراني .

يا ولدي أعلمك بأن الأولياء[1] لا يعرفهم إلا مَنْ هو مثلهم ، أو من أراد الله تعالى أن ينفعه ببركاتهم ، فيستر عنهم الصفة البشرية ، ويشهد فيهم الحقيقة الربانية ، فيُقبل حينئذٍ إليهم بالكلية ، فيقبل إليه الشيخ بعد ذلك بالهمة فينتفع به ، ويسري إليه حاله .

ويؤيّد ما ذكر قول ابن عطاء الله : **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ، ولكن اطلب أن يكون الشيخ ببالك** ، فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله . انتهى .

وفي « رماح حزب الرحيم » في ١٣١ : اعلم أنه لا شيء أضرُّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم ، والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم ، وعدم قبول

(١) « رماح » ١٢٩ .

إشارتهم فيما يشيرون به . انتهى .

وفيه في ١٣٤ ج١ : وإياك أن تعترض عليه في شيء من أقواله ! ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظن ، وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً ، فإنهم قالوا : **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** . وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك ، واحمله على قصور علمك ونظرك ، فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك ، وأشد اهتماماً بها من غيره ، وكلما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكَر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض .

والحق أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكرت لظفرت به غالباً . انتهى عبارته ١٣٤ . ومن كان مسلِّماً بالظاهر معترضاً بالقلب فيعدّ من جملة الخداعين والمنافقين في الطريقة ، **فيكون مثاله مثال من يتكلم بلسانه : أنا أحبك ، وأنا معتقد فيك ، وفي جوفه رجل آخر يقول : أنا لا أحبك ، وأنا لا أعتقد فيك . والمشائخ يطلعون أمثال ذلك ، ولهم أذن يسمعون كلام الباطن** . فالحذر الحذر من أمثال ذلك يا ولدي ! فإن بها ينقطع الرابطة بين الشيخ وبين المريد ، فلا ينفذ تصرُّفه فيه ، ولا ينجع[1] كلامه ، فتزلَّ قدمه ! وينحرف عن جادّة الطريق ، ويقع في الهلاك ، فالعياذ بالله تعالى . فينبغي أن يعلم أن من **نظر إلى ظاهر الوليّ يخسر دنياً وأخرى ، ومن نظر إلى باطنه يفلح ويسعد** ، فإن في باطنه العجائب والغرائب ، لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ، فيكون عرشيّاً فرشيّاً وكائناً بائناً ، لا يخرج عن حضرة ربه ، ولا يزحزحه عن محلّ قربه ، ولا يحطُه عن كمال أدبه . حققنا الله تعالى هذه المرتبة ، وأكرمنا بالوصول إلى هذه الدرجة آمين .

---

(١) ونجع الدوآء إلخ : ظهر أثره « مصباح » .

وقال الإمام الرباني قدس سره : إن إنكار هذه الطائفة سمّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمُّ الأفعى[1] يؤدي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السّرمدي ، فكيف إذا كان هذا الإنكار والاعتراض راجعاً إلى الشيخ ؟ وكان سبباً لإيذائه ؟ ومنكر هذه الطائفة محروم من بركاتهم ، والمعترض عليهم خائب وخاسر في جميع الأوقات ، وما لم يكن حركات الشيخ وسكناته مستحسنة في نظر المريد لا ينال نصيباً من كمالاته ، فإن نال يكون استدراجاً ، ويكون عاقبته هلاكاً وبواراً[2] ، وفضيحة ودماراً[3] ، فإن وجد المريد في نفسه مجال الاعتراض على الشيخ مقدار شعرة مع وجود كمال محبته وإخلاصه له فليتيقَّن أن ذلك ليس إلا خيبته وخسارته ، وحرمانه من كمالات الشيخ أو رذالته[4] ، فإن خطر في قلب المريد فرضاً شبهة في فعل من أفعال الشيخ ولم يندفع بالدفع فليستفسره عنه على نهج يكون خالياً عن شائبة الاعتراض ، ومبرءاً عن مظنة الإنكار . وحيث كان المحق والمبطل ممتزجان وملتبسان في هذا الزمان ، فلو ظهر من الشيخ أمر مخالف للشريعة أحياناً ينبغي للمريدين أن لا يقلِّدوه فيه ، بل يطلبون له محملاً بحسن الظن مهما أمكن ، ويبتغون وجه صحّته ، فإن لم يظهر وجه الصحة ، ينبغي أن يلتجئوا ويتضرعوا إلى الحق سبحانه وتعالى في دفع هذا الابتلاء عنهم ، ويطلبوا منه تعالى سلامة

---

(١) أي : الحية .

(٢) بار : هلك « مص » .

(٣) أي : هلاكاً .

(٤) ورأيت في كتاب « الرماح » ما نصه : وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للآداب مع الشيخ من كل وجه ، فتعرض للشيخ النفرة منهم ، فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمكة ، فيصير يسخر بالشيخ ، فإنهم قالوا : حكم الشيخ حكم الصياد الذي يصطاد المريدين من أفواه الشياطين ، ويخرجهم من تحت أسنانهم . انتهى . فراجعه في ٢٠١ من الجزء الثاني (منه) .

الشيخ وعافيته بالبكاء والابتهال ، فإن عرض للمريد شبهة في حق الشيخ لارتكابه الأمر المباح لا تعتبر تلك الشبهة ، ولا يُعبأ بها **فإنه إذا لم يمنع مالك الأمور جل سلطانه عن إتيان المباح ، ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه وتعالى أن يعترض عليه من قبل نفسه ؟** وكم من مواضع يكون فيه ترك الأولى أولى من إتيانه . وقد ورد في الحديث « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصُه كما يحب أن تؤتى عزائمه » انتهى عبارته . « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ ج١ .

يا ولدي! قد سمعت ما في اعتراض الشيخ من الضرر ، وإياك ثم إياك أن تنكر الطريق أيضاً ! فإن الطريقة والشريعة عين الآخر ، وهما متلازمان لا فرق بينهما ولو في شيء .

وقد نقل عن سيدي أبي المواهب الشاذلي أنه قال : سمعت شيخنا أبا عثمان رضي الله عنه يقول بالدرس على رؤوس الأشهاد : لعن الله من أنكر على هذا الطريق ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل : لعنة الله عليه .

وكان يقول : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . انتهى . « تقريب الأصول » عبارته ٨١ .

يا ولدي ! إن أردت الزيادة عمّا ذكرته في هذا الترهيب فراجع تأليف والدك « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » تجد فيه ما يكفي لك ، وقد ذكرت فيه قصة ما وقع لابن السَّقا من الشقاوة لمجرد تركه أدب الشيخ يوسف الهمداني قدس سره بكلام واحد فراجعه .

ترهيب آخر

يا ولدي! أوصيك بحفظ العين ، فإنها سبب كل فتنة وآفة ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس ، فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسرُّه » ، وإن وجدان حلاوة العبادة ولذَّة

المناجاة عند العارفين درجة عالية ، ومن المجرّب أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه يجد لذَّة العبادة ، وحلاوة الطاعة ، وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك ، كما ذكره الغزالي في « منهاجه » وعليك بصيانة سمعك عن استماع الشر والفضول ، واعلم أن المستمع شريك القائل ، وأن الاستماع إلى الخنا[1] والفضول يهيج الخواطر والوساوس في القلب ، وربما يبقى ما سمعه من الكلام فيه ولا ينساه ، ولا يصفى القلب عنه ، ولا يتفرغ لذكر الله تعالى والتفكر في آلائه .

ثم عليك يا ولدي بحفظ اللسان وضبطه وقيده ، فإنه أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً ، وأكثرها فساداً وعدواناً .

واعلم أن التكلم بما لا يعنيك يورث القساوة في قلبك ، والوهن في بدنك ، والحرمان في رزقك ، فالتكلم باللغو تضييع للوقت ، وبالغيبة إحباط للعمل ، فإنها هي الصاعقة المهلكة للطاعات . وفي الصمت سلامة في الدين والدنيا والآخرة .

وأوصيك أيضاً بترك مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة الضرورية ، فإني وجدت **كل الآفات محفوفة بالمعاشرة والمخالطة** ، وقد جرت عادة المشائخ بمنع المريدين عن مخالطة المريد الغافل فضلاً عن غيره .

فإن قلت أن الطريقة النقشبندية مبنيّة على الخلوة في الجلوة ، وإن العزلة ليست بشرط فيها .

أقول : إن الخلوة في الجلوة لا تكون مع كل أحد ، بل مع المرشد والإخوان ، وأما **العزلة عن الأغيار من أهم المهمات** بإجماع المشائخ ، كما ذكره محمد مراد في « ذيل الرشحات » وقد يمنع المشائخ المريد عن نظره إلى وجوه الغافلين ؛ لأن غفلة الغافل تنعكس

---

(١) الخنا : الفحش ، وأخنى عليه في منطقه أى : أفحش . « مخ » .

إليه فيتكدّر بذلك القلب الصافي .

وفي « كنز المعارف » ما حاصله : إذا أنت مع شخص جلست ولم تجد حضورك ينمو فاجتنبه وفارق ، ولا تصحب الأغيار ، واختر مصاحباً يفيدك جمع[1] القلب من غير عائق . انتهى راجعه ١٩١ .

ورأيت في « الرشحات » ما نصّه : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى . وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي هي فوق جميع النسَب ، فإن الحكم للغالب ؛ **فإن كان صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ، وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية** ! ! انتهى عبارته .

وفيه : **جالسوا جماعة لا يغلبون عليكم ولا يأكلونكم ؛** يعني لا يكونون أقوى منكم بحسب النفس والهوى ، ولا يضيعون أوقاتكم ولا يفوتونها ، فإن من ضاع وقته فقد ضاع هو بنفسه ومات . انتهى عبارته .

وقد ذكرت ما في صحبة الأغيار من الضرر في « تنبيه السالكين » فراجعه ففيه ما ينبغي مراجعته .

يا ولدي خذ من العلم ما ينفعك ودع ما سواه ، والزم العمل بما علمت ، فإن لم تعمل به فهو حجة عليك ولا يزيدك به إلا العقوبة .

واعلم أن العلم المجرد عن العمل لا يأخذ يدك يوم القيامة فـ :

---

(١) أي : مع الله (منه) .

عالـم بعلمه لـم يعملَنْ   مُعذَّب من قَبْل عابد الوثنِ . . إلخ .

واذكر ربك كثيراً ولا تغفل عنه لحظة ، فالغفلة عن الله **من أعظم الذنوب عند أهل الله ،** والزم الوقوف القلبي فإن فيض الله لا انقطاع له ، والمانع من وصوله إلى القلب وإحساسه هو الخلوّ عن الوقوف والحضور ، فإذا حضر وصل وإن غفل رجع ، والجلسة الواحدة مع الحضور ، والوقوف خير من عبادة سنين بغير حضور[1] فالعبادة التي خلت عن الوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح ، ولا تترك الورد ما استطعت فقد قال في « الرشحات » : من أخذ عملاً عن كامل مكمّل فالمواظبة عليه موجبة للوصول إلى درجات عالية انتهى . وتيقَّن أن الذكر بمثابة الفأس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب ، ودوامُ الحضور منوط بترك المألوفات وهجر المأنوسات ، والقلب لا ينجلي إلا بذكر كثير ، ولا تترك السنن فإن كل طالب لا يعدّ السنة فرضاً على نفسه فهو ناقص ليس له في سهام أهل الكمال نصيب ، ولا تصحب الأغنياء وأرباب التنعم ! فصحبتهم سمّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب كما قاله صاحب « الرشحات » نقلاً عن بعضهم .

وقد قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه في مذمّة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها : لا يكونَنَّ ولدي الأرشد مغروراً بهذه الدنية المبغوض عليها ولا يضيعنَّ بضاعة الإقبال إلى جناب قدس الحق جلّ سبحانه ينبغي التفكر أيّ شيء يُباع وأيّ شيء يُشترى تبديلُ الآخرة بالدنيا ، والامتناع من طلب الحق بالخلق من السفاهة والجهالة ، والجمع بين الدنيا والآخرة من قبيل الجمع بين الأضداد .

---

(١) ومر قبيل الترغيب الخامس ما ينبغي مراجعته (منه) .

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا ؛

فاختر ما شئت من هذين الضدين ، وبع نفسك من أيهما شئت ؛ عذاب الآخرة أبدي ومتاع الدنيا قليل ، والدنيا مبغوض عليها عند الحق سبحانه والآخرة مرضيّة له تعالى وتقدس :

عِشْ ما شئت فإنك ميت   والزم ما شئت فإنك مفارق

ولا بد من ترك العيال والأولاد أخيراً وتفويضهم إلى الحق سبحانه وتعالى ، فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً وأن تفوضهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ نص قاطع . وقد سمعت مكرراً أن نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور إلى متى يمتد ، فلا بد من التنبه والتيقظ .

واعلم أن **صحبة أهل الدنيا والاختلاطَ بهم سمّ قاتل** ، وقتيل هذا السمّ ميت بالموت الأبدي ، العاقل تكفيه الإشارة فكيف التصريح مع هذه المبالغة والتأكيد ! وطعام الملوك وإن كان لذيذاً ولكنه يزيد مرض القلب فكيف يرجى الفلاح والنجاة ؟ الحذر الحذر الحذر . شعر :

وما هو من شرط البلاغ أقوله   فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملالة

فِرَّ من صحبتهم أكثر مما تفر من الأسد ، فإن الفرار منهم وإن أوجب الموت الدنيوي ولكنه قد تفيد في الآخرة ، واختلاط الملوك يوجب الهلاك الأبدي والخسارة السرمدي ، فإياك وصحبتهم وإياك ولقمتهم وإياك ومحبتهم وإياك ورؤيتهم ! وقد ورد في الخبر الصحيح : « من تواضع لغنّي لغناه ذهب ثلثا دينه » ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم أو من جهة شيء آخر ؟ ولا شك في أنه من جهة غناهم ، ونتيجته ذهاب ثلثي الدين فأين أنت من الإسلام ؟ وأين أنت من النجاة ؟ وكل هذه المبالغة والإبرام[1] ليعلم ولدي أن لقمة غير الجنس

(١) الإبرام أي : الإحكام كما في قولهَ تعالى ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ الآية .

وصحبتهم تحجب قلبه عن تذكر المواعظ وتعقُّل النصائح فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام ، فالحذر الحذر من صحبتهم ! والحذر الحذر من رؤيتهم ! والله سبحانه وتعالى الموفق . نجانا الله تعالى وإياكم عما لا يرضى عنه ربنا المتعالي ؛ بحرمة سيد البشر الممدوح بما زاغ البصر عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها والسلام . انتهى عبارته في ١٢٩ ج١ « الدرر المكنونات » .

وفيه في ٨٢ ج١ : **أيها الولد!** إن الدنيا محل الامتحان والابتلاء ؛ ظاهرها مموَّه ومزيَّن بأنواع المزخرفات[١] ، وصورتها منقشة وملونة بالخيلان[٢] والخطوط والذوائب والخدود الموهومة ، حلوة في بادي النظر ، متخيلة بالطراوة[٣] والنضارة[٤] في البصر ، ولكنها في الحقيقة جيفة مرشوش عليها العطر ، ومزبلة ملآنة بالذباب والدود سراب يرى كالسراب ، وسمّ في صورة سكر ، باطنها خراب وأبتر ، ومعاملتها مع أبنائها مع وجود هذه الدّمامة[٥] والوقاحة[٦] شر من جميع ما يقال ويذكر ، عاشقها سفيه ومسحور ، ومفتونها مجنون ومخدوع ، من افتتن بظاهرها فقد اتسم بسيمَة الخسارة الأبدية ، وكل من نظر إلى حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامة السرمدية ، قال سيد الكائنات حبيب رب العالمين عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « ما الدنيا والآخرة إلا ضَرَّتان إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى » فمن أرضى الدنيا فقد أسخط الآخرة على

---

(١) الزخرف الذهب ، ثم يشبه كل مموّه مزوّر ، المزخرف المزيّن « مختار » .

(٢) والخال الذي في الجسد جمعه خيلان « مصباح » .

(٣) طرو الشيء بالواو إلخ أي : غض بيّن الطراوة « مصباح » .

(٤) نضر الوجه :حسن « مصباح » .

(٥) دمَّ الرجل : دمامة قَبُح منظره وصغر جسمه « مصباح » .

(٦) قلة الحياء من « مص » .

نفسه ، فلا جرم لا يكون له نصيب من الآخرة . أعاذنا الله سبحانه وتعالى وإياكـم من محبتها ومحبة أهلها .

أيها الولد هل تدري ما الدنيا ؟ ! كلما يعوقك ويحجبك عن الحق سبحانه وتعالى من النساء والأولاد والأموال والجاه والرياسة واللهو واللعب والاشتغال بما لا يعني فهو داخل في الدنيا والعلوم التي لا دخل لها في علوم الآخرة فهي أيضاً من الدنيا ، فلو نفع تحصيل علم النجوم والمنطق والهندسة والحساب وأمثالها من العلوم التي لا طائل فيها لكانت الفلاسفة أهل النجاة .

قال النبي ﷺ : « علامة إعراضه تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه » ، شعر :

من كـــان في قلبه مقدار خردلة   سوى هوى الحق فاعلم أنه مَرض

إلى آخر ما قاله قدس سره .

يا ولدي إنى إنما أمرتك بقراءة كتاب « إحياء علوم الدين » ومنعتك عن قراءة غيرها من الكتب التي أكثر مسائلها مربوط بالدنيا وأهلها لأجل هذه العلة السابقة ، فعليك بالمواظبة عليه والعمل[1] بما فيه ، فإنه كتاب نفيس أثنى عليه أكابر السادات ، ففي ذلك كفاية لك وفقك الله تعالى للعلم والعمل ، آمين .

يا ولدي أوصيك أن لا ترى نفسك فوق أحد وكن حقيراً ذليلاً أديباً حسن الخلق ، كريماً سخيّاً لا شحيحاً بخيلاً ، ولا تتَّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، واحذر من أن يـخدعك نفسك فإنها لا تأمر بطبعها إلا بالسوء والشر ، ولا تطيع خالقها إلا بالتكلف والمجاهدة ، وفي القرآن

(١) وقد رأيت في « أذكار النووي » ما نصّه : إنّ تعلّم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة . فراجعه (منه قدس سره) .

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وإذا كان أمر النفس هكذا أردت أن أكتب هنا ما قاله الإمام الرباني[1] قدس سره في بعض مكاتيبه فأرجوك أن تصغي إليه بسمع القبول :

قال ﷺ : فاعلم أيها المخدوم المكرم أن النفس الأمارة الإنسانية مجبولة على حب الجاه والرياسة ، وجميع همتها الترفع على جميع الأقران ، ومتمنّاها بالذات أن يكون الخلائق كلّهم محتاجين إليها ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى شئ ومحكومة لأحد أبداً ، وهذه كلها هي دعوى الألوهية منها والشركة مع خالقها المنزه عن المثل والشبه جل سلطانه ، بل هي البعيدة عن السعادة غير راضية بالشركة ، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير ويكون الكلّ تحت حكمها ! وقد ورد في الحديث القدسي : « عادِ نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي » فتربية النفس بإعطاء مراداتها من الجاه والرياسة والترفع والتكبر إمدادها في الحقيقة لعداوة الله تعالى عز وجل وتقويتها لذلك ! فينبغي أن يدرك شناعة هذا الأمر جداً ، وقد ورد في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما أدخلته في ناري ولا أبالي » .

وإنما كانت الدنيا الدنية مبغوضة عند الحق سبحانه وتعالى وملعونة ! بسبب أن حصولها ممدّ ومعاون في حصول مرادات النفس ، فمن أمدّ العدو لا جرم يستحق اللعن والطرد ، **وإنما صار الفقر فخراً**[2] **محمّديّاً** عليه وعلى آله الصلاة والسلام فإن في الفقر عدم حصول مراد النفس وحصول عجزها .

---

(١) راجع « الدرر » في ٦٦ ج١ .

(٢) هو إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله ﷺ « الفقر فخري » ، فافهم .

والمقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكمة في التكليفات الشرعية : هو تعجيز هذه النفس الأمارة وتخريبها ، وقد وردت الشرائع لرفع[1] الهوى النفساني ، وكلّما يعمل شيء بمقتضى الشريعة يزول من الهوى النفساني بقدره ، ولهذا كان فعل شيء من الأحكام الشرعية أفضل في إزالة الهوى النفساني من رياضات ألف سنة ومجاهدتها التي كانت من قبل النفس ، بل هذه الرياضات والمجاهدات التي لم تقع على مقتضى الشريعة الغرّاء مؤيدة ومقوية للهوى النفساني ، ولم تقصر البراهمة والجوكية في الرياضات والمجاهدات شيئاً ، ولكنها لما لم تكن على وفق الشريعة لم ينتفعوا بها أصلاً ولم يحصل لهم غير تقوية النفس وتربيتها ، فمن صرف مثلاً دانقاً بنية أداء الزكاة التي أمر بها الشرع فهو أنفع في تخريب النفس من صرف ألف دينار من قبل نفسه ، وكذلك أكل الطعام يوم عيد الفطر بحكم الشريعة أنفع في دفع الهوى من صيام سنين من قبل نفسه ، وأداء ركعتي الفجر مع الجماعة التي هي سنة من السنن أفضل من قيام تمام الليلة بالنافلة مع ترك الجماعة في الفجر .

وبالجملة إن النفس ما لم تتزك من خبث ماليخوليا دعوى السيادة والرفعة فالنجاة محال ؛ ففكر إزالة هذا المرض ضروري كيلا يفضي إلى الموت الأبدي وكلمة (لا إله إلا الله) التي وضعت لنفي الآلهة الآفاقية والأنفسية أنفع في تزكية النفس وأنسب لتطهيرها .

واختار أكابر الطريقة قدّس الله تعالى أسرارهم لتزكية النفس هذه الكلمة الطيبة ، شعر :

ما دمت لم تضرب بلا عنق السوى   في قصر إلا الله لست بواصل

وما دامت النفس في مقام البغي والعناد ونقض العهد والفساد ينبغي

---

(١) وفي نسخة : لدفع .

أن يجدد الإيمان بتكرار هذه الكلمة ، قال ﷺ : « جدّدوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله » بل لا بد من تكرار هذه الكلمة في جميع الأوقات ، فإن النفس الأمارة في مقام الخبث دائماً .

وقد ورد عن النبي ﷺ في فضائل هذه الكلمة حديث : « لو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان وهذه الكلمة في كفَّة لترجحت هذه الكفة على الأخرى » والسلام على من اتبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة الأكمل والسلام الأوفى . انتهى .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما قاله الشيخ المرحوم خالد سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه إلى واحد من إخوانه في الدين فقال قدس سره :

طلب المال

أيها الولد إني أقول لك أن تجتهد أن تكون من القوّامين للتكسُّب لأجلك ولأجل عيالك بالوجه الحلال ، فذلك مزية عظيمة من الله تعالى لخواص عباده ؛ لما أن كمال المقام لا يتحقق إلا بالزهد عمّا في أيدي الناس ، والكامل من يسلك الناس وهم في حِرَفهم ، وإنَّ زهد الكمّل ليس بخلوِّ اليدين من الدنيا ، وإنما الزهد بخلوّ القلب ، وأكابر الأولياء يسارعون إلى التكسُّب بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوزوا بلذة الخطاب[1] لا لعلة أخرى ! قال تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . . إلخ ، فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإقراضهم من فواضل كسبهم كلّ محتاج . مفهومه أن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء الحبالى ، وإن كان له لحية كبيرة وسبحة طويلة وسجادة وعزبة ومرقعة وشفاعات عند الحكام وغير ذلك ، وليس له في الرجولية

---

(١) أي : بقوله تعالى ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . . إلخ فافهم .

نصيب كما قال تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ فعلم أنه لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجراً أو زراعاً ، بل ذلك أكمل له ، فإياك يا أخي أن تنكر على فقير التكسب والتجارة والزراعة أو معاملة الناس أواخر عمره ! وقد ختم عمره بمحبة الدنيا بعد أن كان زاهداً فيها وفي أهلها ، فربما يكون مشهد ذلك الفقير ما قلناه أو غير ذلك من النيات الصالحات وإيثار الزهد مع خلو اليدين ربما يكون لعلة الفقد .

وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرداً عن الدنيا بالكلية ؛ بأن يخلو يده منها ؛ وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إمّا بالحال وإما بالمقال ، بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منه المحتاجين من مريديه وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم ، ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، وفي الحديث « عزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه في قيام الليل » انتهى من خطه قدس سره وكلامه هذا زبدة كلام الأكابر وملخص ما ذكروه في كتبهم ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

مهمات في ترغيب الكسب الحلال

وقال صاحب كتاب « الرماح » ٤٣ ج١ ﷺ بعد نقله مثل[1] ما مرّ عن الشعراني قدس سره قلت : وفي الحديث أيضاً أن « من طلب الدنيا قليلاً تعففا عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالبدر » .

وفيه أيضاً : أنه ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى

(١) أي : وكلام سيف الله مستنبط من كلام الشعراني وصاحب « الرماح » نقله أيضاً وقال بعد ذلك ما يأتي ، فافهم (منه) .

شاب ذي جلدة وقوة وقد بكَّر يسعى فقالوا : يا ويح هذا ! لو كان جَلَده وشبابه في سبيل الله . فقال ﷺ : « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفَّها عن المسئلة ويغنِيَها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان » .

وفيه : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله مِنْ فَضْلِهِ فيسأَلَهُ أَعْطاه أوْ منعه » .

وقال حذيفة : خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه .

وفيه : « لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ! عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر » .

وفيه : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول[١] » .

وفيه : « الفارّ من عياله كالفارِّ من الزحف » .

وفيه : أن الصحابة أثنوا عند رسول الله ﷺ على رجل بالعبادة ، فقال ﷺ : « فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعته » ؟ قالوا : نحن يا رسول الله ﷺ . فقال : « كلّكم خير منه » ، وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك ، إنما الشأن أن تحرز رغيفك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بأيِّ داق للباب ، بخلاف من قام يصلي في بيته وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول : إن معه رغيفاً .

وقال الثوري : عليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة .

---

(١) أي : ابدأ بعيالك ، فافهم .

وقال عبد الله بن المبارك : لا يُخرِج العبد من الزهد إمساكُ الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس .

وقال في « عرائس البيان » عند قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ : ولا تظن يا أخي أن العارف المتمكّن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من جملتهم ، إنه يريد الله برغبة المعرفة والشوق ، ويريد الدنيا للكفاف والعفاف يرزقه الله حياة حسنة طيبة ؛ بأن يجعل الدنيا خادمة له ويبجله في أعين الخلق ويوقع هيبته في قلوب الناس ، قال الله تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

وقال عليه السلام « من أحسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة » .

وقال لقمان لابنه : يا بنيّ حملت الصخور والحديد فلم أرَ شيئاً أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وعانقت الحسان فلم أرَ شيئاً ألذّ من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمرّ من الحاجة إلى الناس .

وقال الشعراني : من أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما دخلته الشبهة .

وقال سفيان الثوري : لأنْ أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس .

المال تُرس المؤمن

وقال : المال فيما مضى يكره ، وأما اليوم فهو ترس المؤمن . وقال حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدُّقك وطلبِك لما في يد غيرك .

وقال : خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما ؛ درهمه

لمعاشه ودينه لمعاده .

وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه : عليكم بالكسب الحلال ، فإنه يسرّ الصديق ويكدّ العدو ، وتستغنون به عن سؤال الناس لا سيّما اللئيم ، وإياكم وسؤال الناس فإن ذلك كسب العاجز .

وقيل للثوري : أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال ؟ قال : نعم ! إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر .

وقال أبو قلابة : لأن أرى في معاشي أحبُّ إليَّ من أن أرى في زوايا المسجد .

وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لن تزالوا كِراماً على إخوانكم ما لم تحتاجوا إليهم . انتهى .

ياولدي ذكرت لك هذه الفوائد المتضمنة للترغيب والترهيب ؛ لترغب في التكسب والحرفة ؛ لتصون وجهك عن التعرض إلى ما بأيدي الناس وتكون على حذر من الإنكار ، إذا رأيت من مشائخك من يطلب الدنيا ويحفظها ! ! وقد عُلِم مما مرَّ **أن زهد العارفين يكون بالقلب ولا يضرُّهم إمساك الدنيا بحذافيرها** فلهم في ذلك نيات صحيحة . و« إنما الأعمال بالنيّات » ، وكم من عمل يتصور بصورة الدنيا ويصير بحسن النية من أعمال الآخرة ، كما ورد به الخبر !

أيها الولد المتعطش إلى كل عطاء رحيب وفتح قريب من القريب المجيب ، بواسطة أهل الاختصاص والتقريب ، قد طلبت كتبة ما ينفعك من أمور الدنيا والدين فاستبشر بها الخاطر ، وقرَّ بها الناظر ، وأرجوك أن لا يغرَّنَّك ما ذكرته في حق الدنيا ! بل لاحظ ما هنا بما مرّ قُبَيْلَهُ وبما يأتي آنفاً وخذ المسائل مع العلل لأن **الحكم تدور مع العلة وجوداً وعدماً** ، وإياك ثم إياك والانهماكَ في جمع حُطام هذه الفانية وملاذها ! إلا بقدر

الضرورة ، وهو ما يكفيك ويكفي لمن يجب مؤنته من الزوجة وغيرها ، فإن الانهماك فيها وفي زخرفها يستر أنوار النفس كما يستر الغمامُ نور الشمس ، فإذا انقشعت الغمام عن نفسك ظهرت لك العلوم المستورة اللدنية وانتقشت الحقائق في لوح نفسك ، واللوح إذا كان ملآناً لا ينتقش فيه غير ما فيه ، فامح عنه الأخلاق المذمومة وحب الدنيا ترى العجائب من نفسك .

واعلم أنك إذا لم تطلق الدنيا فهي تطلقُك ، فاتركها عن اختيار ولا تتركها عن إجبار ، وما الدنيا إلا كظلك إن أردت أخذها عجزت ، وإن توليت عنه تبعتك وجاءت راغمة ؛ كما قال المشرع حاكياً عن ربه : « يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه » وبمثله نطق بعض الأكابر وهو عند والدك مجرب صحيح ، قد سعى خلف الدنيا كثيراً فهربت عنه وولت عنه الأدبار ، ثم تركها فسعت خلفه والحمد لله الملك الجبار .

ياولدي لا تترك الكسب والحرفة ! بل اطلب الدنيا وصحح النية ، ولا تبخل بها ولا تمنعها عن المحتاجين ، وفقك الله تعالى لما يحبه ويرضاه آمين .

قال الغزالي في « الإحياء » في بيان فضيلة الكسب : أما من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ . وقال تعالى ﴿ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال ﷺ « من الذنوب ذنوب لا يكفِّرها إلا الهمُّ في طلب المعيشة » .

وقال عليه السلام « من طلب الدنيا حلالاً وتعفُّفاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر » انتهى عبارته ٣٩ ج٢ .

وفيه في ٣٩ ج٢ : وقال ﷺ : « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنيَ بها عن الناس ، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة »[١] وفي الخبر « إن الله تعالى يحب العبد المحترف » .

وقال ﷺ : « أحلُ ما أكل الرجل من كسبه ، وكل بيع مبرور »

وفي خبر آخر : « أحلّ ما أكل العبد كسب يد الصانع » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » .

وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبَّد . قال : من يعولك ؟ قال : أخي . قال : أخوك أعبد منك .

وقال : نبينا ﷺ « إني لا أعلم شيئاً يقرِّبكم إلى الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ، وإني لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقرِّبكم من النار إلا نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل : اتركوا الطلب .

ثم قال في آخره « ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن

---

(١) أي : لأن العلم من عمل الآخرة ، فإذا امتهنه ليحصِّل به دنيا فقد وضع الشيء في غير محلّه وقد ورد في ذلك وعيد شديد . ففي « المعجم الكبير » للطبراني من حديث الجارود بن المعلى مرفوعاً « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في ديوان أهل النار » والحديث المذكور أورده هكذا صاحب « القوت » . « إتحاف » ٤١٥ ج٥ .

تطلبوه بمعصية الله تعالى ! فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته » .

وقال ﷺ : « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال عليه السلام : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » .

وقال : « من فَتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » . انتهى عبارته ٣٩ ج٢ .

وأما الآثار في حق الكسب فكثيرة ! واكتفيت بهذا القدر من الأحاديث .

فإن قلت : فقد قال ﷺ : « ما أوحي إليّ أن اجمع المالَ وكن من التاجرين ، ولكن أوحيَ إليَّ أن سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقيل لسلمان الفارسي : أوصِنا فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجّاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجراً ولا خائناً .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول : لسنا نقول : التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء ، ولكن التجارة إمّا أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة والزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادّخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التي حُبها رأس كل خطيئة .

فإن كان مع ذلك ظالماً خائناً فهو ظلم وفسق ! وهذا ما أراده سلمان بقوله : لا تمت تاجراً ولا خائناً . وأراد بالتاجر طالب الزيادة .

فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ! فالتجارة تعففاً عن السؤال ، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال !

وكان يُعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يُعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية .

وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعملٌ بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر ومما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسِّر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصّدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبِّح بحمد ربك ، وكن من الساجدين . ولم يوح إليه أن كن من التاجرين ! لأنه كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بِها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله تعالى عنه بترك التجارة لما ولّيَ الخلافة ، إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ، ورأى ذلك أولى . ثم لما توفي أوصى بردّه إلى بيت المال ، ولكنه رآه في الابتداء أولى « إحياء علوم الدين » عبارته ٤٠ ج٢ فراجعه ففيه الزيادة .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » فقد فسّر الحفني لقوله مسكيناً أي : متواضعاً متذلّلاً . انتهى .

وقال العزيزي في « السراج المنير » : المراد به استكانة القلب ، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر . فراجعه في ٢٧٩ ج١ .

وورد في فضيلة الزراعة والحراثة وسقي الزرع أحاديث منها : « إن

الله تعالى يطلع كل ليلة على الزرع ويقول : باركت عليك وعلى صاحبك ، ثم يوكِّل الله تعالى على كل ورقة من الزرع ملائكة يسبِّحون الله تعالى ، ويستغفرون لصاحبه حتى يؤكل » .

ومنها : « أول من يكسى يوم القيامة بعد الأنبياء المؤذنون ، والعلماء ، والشهداء ، والحرَّاثون فإن الله تعالى يغفر ذنوب الحرَّاث أول حبته وأول سقي زرعه . ومن سقى زرعه كتب الله تعالى له ما دام زرعه رطباً كل يوم ألف حسنة ، ومحى عنه ألف سيئة » انتهى .

ياولدي! عليك بحسن الخلق مع الناس ، وحسن المعاشرة والألفة بين الإخوان والأقران ، ففي ذلك فضل عظيم .

قال الغزالي في « الإحياء » : **اعلم** أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرُّق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحابَّ والتآلف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة ، وحسن الخلق لا تـخفى في الدين فضيلته ، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « أكثر ما يدخل الناس الجنة : تقوى الله ، وحسن الخلق » .

وقال أسامة بن شريك : قلنا يا رسول الله ! ما خير ما أعطي الإنسان ؟ فقال : خلق حسن .

وقال ﷺ : « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » .

وقال ﷺ : « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن » .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « ما حسَّن الله خَلْقَ امرئ ولا خُلُقَه فيطعمه النار » .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة ! **عليك** بحسن الخلق » . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : « تصِلُ مَنْ **قطعك** وتعفو عمن **ظلمك** ، وتعطي مَنْ حرمك » . انتهى عبارته ١٠٩ ج٢ .

ياولدي! أوصيك بأن تجتنب عن معاشرة الأضداد وأهل الفساد والضلال ، لئلا ينعكس إليك أحوالهم الخبيثة ، وأخلاقهم المذمومة .

وقد قيل ما معناه :

لا تسأل عن المرء وأبصر قرينه   فإن القرين بالقرين مقارن

وفي « الإحياء » : وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان في عِشْرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال : فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك ! فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ! ثم طارا فإذاً هما أعرجان ! فقال : من ههنا اتفقا . ولذلك قال بعض الحكماء : كلّ إنسان يأنس إلى شكله ، كما أن كلّ طير يطير مع جنسه . وإذا اصطحب اثنان بُرْهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا . انتهى عبارته ١١٢ ج٢ .

وفيه في ١١٩ ج٢ وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب . انتهى عبارته ١١٩ .

وفيه : وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه : لا تصحب خمسةً **الكذاب** : فانك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرِّب منك البعيد ويبعد منك القريب . **والأحمق** : فإنك لست منه على شيء ؛ يريد أن ينفعك فيضرك . **والبخيل** : فإنه يقطع بك أحوج ما تكون . **والجبان** : فإنه يسلمك ويفرُّ عند الشدة . **والفاسق** : فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها .

فقيل : وما أقل ؟ قال : الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد : لأن يصحبني فاسق حسن الخلق ، أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق . انتهى عبارته ١٩ .

أيها الولد! كن مصلحاً بين الناس ، ولا تكن فتّاناً بينهم ، ففي الإصلاح فضيلة عظيمة .

روي في الحديث : « من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة » .

وفيه : « من أصلح بين المسلمين استوجب أجر شهيد » .

وفيه : « أفضل الأعمال إدخال السرور على قلوب المؤمنين » وكن أيضاً خادماً لهم ، وخاصة للعلماء والفقراء ، ففي الحديث : « من خدم عالماً سبعة أيام فكأنما خدم الله سبعة آلاف سنة ، وأعطاه بكل يوم ثواب شهيد » وفيه : « مَنْ قضى حاجة أخيه المسلم قضى الله له اثنتي وسبعين حاجة من حوائج الدنيا والآخرة » .

وفيه : « من خاط ثوب مسلم أو غسله ، أو خصف على نعليه أو على ثوبه حِسْبَةً لله ضَمِنْتُ له الجنة » وفيه : « الخادم في أمان الله تعالى ما دام في خدمة المؤمن ، وللخادم بخدمته أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل ، وكأجر الحاجِّ والغازي والمرابط في سبيل الله » .

وقال ﷺ : « يا أنس ! خادم السوء أفضل عند الله من عابد مجتهد » .

وقد بيّنت فضائل الزيارة في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » نبذة فإن راجعت إليه تجد فيه ما تقر عينك .

وقد قال كعب : مَنْ زار فقيراً أو مسكيناً – أي زاره يريد تواضعاً – وكَّل الله به ألف ملك يستغفرون له إلى أن يمسي .

وفي الحديث : « من عاد مريضاً فله بكل خطوة يخطو بها سبعون ألف حسنة ، ومحي عنه سبعون ألف سيئة ، ورفع له سبعون ألف درجة ، ويوكل عليه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » .

قال الغزالي في « الإحياء » : وأما اليتيم فقال ﷺ : « من ضم يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة » .

وقال عليه السلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » وهو يشير بإصبعيه .

وقال ﷺ : « من وضع يده على رأس يتيم ترحُّماً كانت له بكل شعرة تمرُّ عليها يده حسنة » . انتهى عبارته ١٤٢ ج٢ .

ياولدي! عليك بالنصيحة لكل مسلم ، والجهد في إدخال السرور على قلبه ، ففي ذلك منافع .

قال ﷺ : « المؤمن يحبُّ للمؤمن كما يحبُّ لنفسه » .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئاً فليُمِطْه عنه » .

وقال ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله في عمره » .

وقال ﷺ : « من أقرَّ عين مؤمن أقرَّ الله عينه يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليلٍ أو نهارٍ قضاها أو لم يقضها ، كان خيراً له من اعتكاف شهرين » .

وقال عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن مغموم ، أو أعان مظلوماً ، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » . انتهى الأحاديث من « الإحياء » فراجعه في ١٤٢ ج٢ .

وفي الحديث : « إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم » .

وفيه : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ! إصلاح ذات البين » « الجامع الصغير » حتى تكون أحوالكم أحوال صحبةٍ وألفةٍ واتفاق « السراج المنير » .

وفيه : « خيركم خيركم لأهله » .

وفيه : « خيركم مَنْ أطعم الطعام للإخوان والجيران والفقراء » .

وفيه : « خير الأصحاب عند الله خيركم لأصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

وفيه : « خير الناس أنفعهم للناس » أي بما يقدر عليه من الإحسان بماله وجاهه وعلمه « سراج » والأحاديث في ذلك كثيرة ، وأرجوك أن تعمل بها وتكون من المحسنين للناس بالإعانة والإنفاق .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في قوله ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه . كذا في « الإحياء » .

وفيه : قال ابن عمر رضي الله عنهما : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : أخي فلان أحوج منّي إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

وروي أن مسروقاً أدان ديناً ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دَيْن ، قال : فذهب مسروق فقضى دَيْن خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة

فقضى دَين مسروق وهو لا يعلم . انتهى ١٢١ ج٢ .

وشكى بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له : لو اقتنيت هراً ! فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبّ لنفسي « إحياء » عبارته ١٤٥ ج٢ . وحقوق الجوار مبسوطة فيه فراجعه .

يا ولدي ! لا يغرّنك حسن خلق المشائخ مع ما فيك من عدم صفاء الاعتقاد والتسليم والانقياد . فإن لهم تلوّنات في الأحوال ؛ ففي وقت يتسعون وفي وقت آخر يضيقون . ولذا ينبغي لك أن تحترز من الخطرات النفسانية والشيطانية في حالة صحبتهم .

وقد رأيت في « تقريب الأصول » في ٦١ أن أبا العباس المرسي كان يقول : إذا ضاق الوليّ هلك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم بسببه ضرر . ولحوم الأولياء مسمومة ولو لم يؤاخذوك ! فإياك ثم إياك . انتهى عبارته .

وفيه في ٦٠ : أن أبا الحسن الشاذلي قدس سره كان يقول : من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أُخَر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس ، ثم لا يجد من يرحمه منهم . انتهى عبارته .

ويؤيده ما قاله بعض الأكابر : الولي كنيل مصر ؛ رحمة للمطيعين ، وعذاب للمحجوبين ، انتهى .

ورأيت في « طبقات » الشعراني في ٧٧ ج٢ ما نصه : كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير . انتهى .

وإياك ثم إياك يا ولدي ! أن ترى نفسك فوق أحد من المسلمين ،

فإن رأيت ذلك يسلب منك المشائخ أحوالك . فإنهم كما يقدرون بإذن الله تعالى على إعطاء الأحوال ، فكذلك يقدرون على سلبها ، وقد قال الشعراني في « مننه الكبرى » في ١١١ ج١ : إن كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب . انتهى عبارته .

وفيه : لا يؤخذ الفقير ويسلب العالم إلا عند رؤية أحدهما نفسه على إخوانه ، أو غفلته عن الله تعالى انتهى . راجعه في ١١٠ ج١ .

وفيه : في ٢٠٧ ج١ وكان سيّدي علي المرصفي ﷺ – يقول : من شقاء المريد في الدنيا وعنوان شقاوته في الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه ، وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة إلى صلحه والدخول في طاعته . وقد تهاون جماعة بغيظ أستاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبداً ؛ لا على يد شيخهم ولا على يد غيرهم . انتهى .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : من أقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا ، والإدبار عن الآخرة ، فيصير مكبّاً على جمع الدنيا من أيّ وجهٍ كان ، ويعادي كل مَنْ صدّه عنها ولو كان شيخه .

وكذلك من أسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى ، وقلّة تلاوته للقرآن ، وقلة عمله بالعلم ، وعدم تقيده بالأوراد وسهر الليالي ، وقلة المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس ، وغير ذلك ، وربما فارق شيخه وصار مداوماً على الأوراد التي كان عليها حال صحبة شيخه ، لكنها قليلة النفع ! فهي في عينه كأمثال الجبال ، وفي عين المكاشفين بأحوال الآخرة كالذَّرة .

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى في

حال طاعته أبداً .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين : اكتبوا عمل عبدي فلان ، واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ، ليأخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضراً معه . انتهى .

فَعُلِمَ أن من عقل العاقل أن لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلاً قالها وقلبه غافل سارح في أودية الدنيا ، **فإن ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى** .

وقد بلغنا أن بعض السلف الصالح قرأ سورة طه في الليل ، فجهر بآية منها ليسمع جاره بغير نية صالحة ، فرأى بعد ذلك أن القيامة قامت ، ونشرت له صحيفة تلك الليلة ، فلم ير تلك الآية فيها ، وقيل له : خذ أجرك ممن رفعت صوتك لأجله . انتهى فافهم عبارته .

لا ينتفع بالشيخ أولاده

يا ولدي! إن والدك قد حمل المشقة لأجلك في جمع هذا الكتاب ، فعساك أن لا تتخذ نصائحه مهجورة ، وأن لا تلقيها وراء ظهرك محقورة ، ويحتمل أن لا ترى والدك إلا بصورته الظاهرة ، وكونه على تلك الصورة مغموساً في الأخلاق الغير المرضية ، ومتدنِّساً بأدناس النفس الأمارة بالسوء هو الحق الذي لا ريب فيه ، وإن انتفاع الولد بتعليم الوالد ومواعظه ونصائحه من النوادر ، وقَلّ من ينفع بالشيخ من أولاده وأهل بيته ، وخدَّامه[1] وأقاربه وأهل قريته ، لما أنهم لا يرون فيه الخصوصية ، ولا ينظرون إلا

---

(١) وفي « لطائف المنن » : والقاعدة أن كل من كثرت مشاهدة الناس له هَانَ في العيون ولذلك قالوا : أقل الناس نفعاً بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ، ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول إلى معرفة قلبه وما فيه من الأسرار والمشاهدة النفيسة . انتهى عبارته فراجعه في ١٠١ من الجزء الأوّل (منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين) .

إلى ظاهره وأحواله البشرية ، ولا يعرفون أحوال باطنه ، بل يجدونه يأكل كما يأكلون ، ويشرب كما يشربون ، ويغضب كما يغضبون ، وينام كما ينامون . فقد يستر الله تعالى عن الأكثر خصوصية أوليائه ، ويحجب بينهم وبينهم بحجب البشرية بحكمته ، فلذلك يقلّ نفعهم بالشيخ ، ولو أنهم نظروا إليه بعين الكمال ولم يَزِنُوا حاله بميزان حالهم ، وتفكروا فيما ورد في الحديث القدسي : « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » لكانوا أسبق حالاً ، وأكثر نفعاً به ، ولا عجب .

وقد قيل : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى .

وقالوا في حق سيد الكائنات عليه الصلوات والتسليمات ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الآية . **فمن نظر إلى الشيخ بعين الإجلال والتعظيم معتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية ، وأنه صاحب مَدَدٍ ودعاء مستجاب انتفع ووصل إلى رتبة الولاية ، ومن نظر إليه بأنه فلان ابن فلان ، يأكل ويشرب ، وينام ويغضب مثله ، فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به ، كما لم ينتفع بالنبي ﷺ الأبعاض من أقاربه وعشيرته .**

اعلم يا ولدي! أن المراد من القباب في الحديث القدسي الذي مرَّ ذكره آنفاً ليس إلا أوصافهم البشرية ! فكل ما يحتاج إليه أفراد البشر يحتاج إليه الأولياء والأكابر ، وكونهم في مقام الولاية لا يخرجهم من الاحتياج المذكور ، وغضبهم أيضاً مثل غضب سائر الناس ، وإذا قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام : « أغضب كما يغضب البشر » كيف لا يصدر من غيره الغضب ؟ فالأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم التي هي من لوازم البشر لا تزول عن العوام والخواصّ .

وقد قال تعالى في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ **فمن اقتصر نظره على ظاهر الشيخ صار**

محروماً من بركته ، ومن كفَّ نظره عن ظاهره ونفذت حدّة نظره إلى أوصافه الباطنة واقتصر عليها صار سعيداً ومحتظياً من إمداده وفيوضاته . راجع « رسالة المبدأ والمعاد » تجد البيان مبسوطاً .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر كلام سيدي علي وفا : و قال ﷺ : من كان لا يرى من أستاذه إلا وجه البشرية فلا يزيده ما كشف له من الحق المبين إلا إعراضاً وتكذيباً ونفوراً ، ومن ثَمَّ لا تجد محققاً يظهر لقوم إلا من حيث يشهدونه وما دام في ظهور المماثلة لهم لا يكلِّمهم إلا بلسانه ، ولا يزن منهم إلا بكيلهم وميزانهم .

ومن ثَمَّ قال النبي ﷺ لعموم أصحابه : « لا تفضلوني على موسى ، ولا تفضلوني على يونس » .

وقال لخواص أصحابه أنه أفضل من جميع المرسلين والملائكة المقربين .

وهكذا كل وليّ لا يقبل منه إلا ما كان على نهج طريقة النبي ﷺ ، من تكليمه كل فريق بلسانهم ، ووزنهم بميزانهم ، وكيلهم بكيلهم . انتهى عبارته ٧١ .

وفيه في ٧٣ : و قال ﷺ : يوم من أيام الأستاذ عند ربه كألف سنة مما يعدُّ المريدون عند ربهم ، وأنوار المريدين رقائق أنوار أساتيذهم ، وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم ، فكما أنه ليس في مرآة البدر إلا الشمس فيضيء الليل كله ! كذلك ليس في المريد الكامل إلا أستاذه فيفيده المدد القبولي كله ، فافهم واعرف والزم تغنم . انتهى .

وفيه أيضاً : وقال ﷺ : **اطلب من نفسك الصدق في معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنال منهم ما تريد ، ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك وتهمل أنت أمر نفسك! فإن ذلك قليل الجدوى** . انتهى عبارته ٦٦ .

وفي « الطبقات » للشعراني في ٧ من الجزء الأول :

لكل وليٍّ أستار فلا يعرف حقيقته

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول : لكل وليّ ستر أو أستار نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الحق تعالى حيث أنه تعالى لم يعرف إلا من ورائها ، فكذلك الولي ! فمنهم مَنْ يكون ستره بالأسباب ، ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر ، على حسب ما يتجلّى الحق تعالى لقلبه ، فيقول الناس : حاشا أن يكون هذا وليّاً لله تعالى وهو في هذه النفس ! وذلك لأنّ الحق تعالى إذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهاراً ، أو بصفة الانتقام كان منتقماً ، أو بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقاً رحيماً وهكذا . ثم لا يصحب ذلك الولي الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والانتقام من المريدين إلا من مَحَقَ الله تعالى نفسه وهواه ، ولم يزل في كل عصر وأوانٍ أولياء وعلماء تذلّ لهم ملوك الزمان ، ويعاملونهم بالسمع والطاعة والإذعان ، ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر ، والخمول على ظاهر النقول ، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين .

ومنهم مَنْ يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا ، وتظاهره بحُبِّ الرياسة والملابس الفاخرة ، وهو على قدم عظيم في الباطن .

ومنهم[1] من يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأمراء والأغنياء ،

(١) ورأيت في كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني قدس سره ما لفظه هذا (فيروزج) سمعت شيخنا ﷺ يقول : من عباد الله تعالى من لا يستره حجاب ومع ذلك فلا يعرف ما في جيبه وربما يتكلم على الخواطر وما هو على الخاطر وإن من عباد الله من تقودهم المعرفة إليه به ، وهم يجولون في ميادين المخالفات ، وإن من عباد الله من تهب على قلوبه منفحات إلهيّة لو نطقوا بها كفَّرهم المؤمن ، وجهّلهم صاحب الدليل . انتهى عبارته . فراجعه في ١٦٩ من هامش « الإبريز » ، (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وسؤالهم الدنيا ، وطلبه الوظائف من تدريس وخطابة وإمامة وعمالة ونحو ذلك ، فيقوم فيها بالعدل ، ويتصرَّف في ذلك بالمعروف ، على الوجه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال وآحاد الفقهاء ، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئاً ، أو يأكل منه سدّ الرمق[1] لا غير ! فيقول القاصر في الفهم والإدراك : لو كان هذا وليّاً لله عزّ وجلّ ما تردد إلى هؤلاء الأمراء ! ولجلس في زاويته أو بيته يشتغل بالعلم وبعبادة ربه عزَّ وجل . ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا ، ونحو ذلك من ألفاظ الجور . ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقد[2] عليهم ، فربما كان يتردّد إليهم لكشف ضرّ أو خلاص مظلوم من سجن ، أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله تعالى العاجزين ؛ الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء ، فيسألون في ذلك منْ يعتقد فيه من الأولياء والعلماء ، فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح ، ويحرم عليهم التخلف عنهم ، لا سيما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهداً فيما في أيديهم ، متعزّزاً بعزّ الإيمان وقت مجالستهم ، آمراً لهم بالمعروف ، ناهيا لهم عن المنكر ، لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم ، فإن هذا من المحسنين ، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص رضي الله عنه يقول : إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليه صحبتهم والدخول إليهم ، وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر . انتهى .

قلت : ومن الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ، ويعلّم الناس بأن ذلك كله

---

(١) والرمق : بقيّة الروح « مختار » .

(٢) وناقده : ناقشه في الأمر « مختار » .

من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ، ويوهم الناس أنه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء ؛ بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء ولا يحدِّث نفسه بانتقاص شيء منه ، ولا يسعنا كلنا إلا العفو ويكون مأكولاً مذمولاً ؟ وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ، فإنه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به ، فإن الرجل إذا قبل من الخلق صغر في أعينهم ضرورة ، كما أن من رَدَّ عليهم كبر في أعينهم ، ولعلّ ذلك الرادّ إنما ردّ رياء وسمعة واستئلافاً لقلوب الناس عليه ، ليتوجّهوا إليه بالتعظيم والتبجيل ، ويطلقوا ألسنتهم فيه بالثناء الحسن .

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنى يعبد : يطيع .

وكان يقول أيضاً : ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الردّ أن يأخذ ، ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ، ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً ، فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى : ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلَّة ممن تزيّا بزيّهم ، وانتسب إلى مثل طريقهم ، والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجل ، وقد قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فمن أين يلزم من إساءة واحد أن يكون جميع أهل حرفته كذلك ؟ ! ما هذا إلا محض عناد وتعصّب بباطل ! كما قال بعضم في ذلك شعراً :

استتار الرجـال في كل عصر ... تـحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضرُّ الهلال في حندس[1] الليل سـواد السـحاب وهو جميل

قلت : ومن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله عزَّ وجلَّ شهود المماثلة والمشاكلة ، وهو حجـاب عظيـم وقد حجب الله تعالى به أكثر الأولين والآخرين كما قال تعالى حاكياً عن قوم ﴿ **مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ** ﴾ إلى آخر ما قاله الشعراني في طبقاته فراجعه[2] .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر شيء من الحقائق لسيدي أبي العباس الشاذلي ﷺ : وكان ﷺ يقول : العامّة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى الولاية جاء من البراري والقفاري أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم ، وكم من بدَلٍ ووليّ بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالاً ! مع أن هذا هو الذي يحمل أثقالهم ، ويدافع الأغيار عنهم ! فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش ، يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخطيط جلده وحسن صورته ، والحمر التي بين أظهرهم تحمل أثقالهم إلى موضع أغراضهم ، وتنقل ترابهم وآلات بنائهم ولا يلتفتون إليها . انتهى ٦٤ .

وفي « طبقات الأولياء » للشعراني في ترجمة الشيخ محمد بن جمرة ﷺ وكان ﷺ يقول : ثلاثة لا يفلحون في الغالب :

١-ابن الشيخ . ٢-وزوجته . ٣-خادمه .

أما ابنه فانه يفتح عينه على تقبيل المريدين يده ، وحمله على أعناقهم ، والتبرّك به ، ويطيعونه في كل ما يطلبه ، فتكبر نفسه ، ويرضع من حبِّ الرياسة من صغره ، فتتوالى عليه الصفات المظلمة ، فلا يؤثر فيه وعظ واعظ ، ويتجرَّأ على الأكابر ، وينفي مشيختهم عليه ، فإن جاء صالحاً فاق والده ! وانتفع بوالده أكثر من كلّ أحد ، وأما الزوجة فإنها

---

(١) والحندس بكسر الحاء والدال : الليل الشديد الظلمة « مخ » .

(٢) ففيه كلام جليل في حق هذا (منه) .

ترى الشيخ بعين الأزواج ، لا بعين الولاية ! فتعتقد أنه محتاج إليها في الشهوة ، فإن نوّر الله تعالى بصرها ورأته بعين الولاية انتفعت به قبل كل أحد ، لملاصقتها له ليلاً ونهاراً .

وأما الخادم فلتكرار رؤية الشيخ ، واطلاعه على أحواله من المأكل والمشرب والمنام ، ولذلك قالوا : لا ينبغي للشيخ أن يأكل مع المريد ولا يجالسه إلا عند ضرورة ، خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه ، فيُحرَم بركة الصحبة ، فإن نظر الخادم إلى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك وأفلح أكثر من غيره . انتهى عبارته ١٣٦ ج١ .

أيها الولد! لا تظنَّ أن كلامي هذا إنما أوردته لأجل اعتقادي في نفسي أني رجل معدود من جملة المشائخ ، وأني أريد منك اعتقادك فيَّ بأني رجل وضع قدمه في دائرة الولاية ، فحاشا ذلك وكلا ! بيد أني خادمهم في موائدهم ، ووزيرهم وشريطهم في عتبة أبوابهم ، ولكنهم أذنوا لي في تقسيم قطرات موائدهم ، وكسرات أخبازهم المتساقطة في قصعاتهم ، وأمروني ورخَصوني بإعطاء تلك الكسرات والقطرات للمحتاجين الطالبين ، فمثالي مثال من يقسم صدقة الأغنياء في المحافل والمجامع والمساجد ، ويعطيها إلى أيدي الفقراء والمساكين ، فمنْ طلبها منه ومدَّ يده إليها يعطيه منها ، ومَنْ تكبر وافتخر من أن يأخذ تلك الصدقة من يد القاسم بظنّ أنه حقير فقير ، وأنف منه واستكبر قائلاً إنه لا يأخذ إلا ما أعطته أيدي الأغنياء حُرِمَ منها وخسر . انتهى .

ومثال آخر : أن النبي عليه الصلاة والسلام بحر الفيوضات والبركات ، ومنبع الأسرار والتجليات ، والمشائخ كالموازيب المصنوعة من الجواهر واليواقيت والذهب والفضة والمعادن النفيسات ، فلو وضعت الموازيب المفعولة منها مثلاً في موضع ليجرّ الماء من منبعه إلى موضع آخر وفُقِدَ ميزابٌ واحدٌ من الموازيب النفيسة فصار مكانه بدلاً عنه ميزاب

خشب ، فإن وضع واحد إناءه تحت ذلك الميزاب وإن كان من الخشب يصل إلى الإناء الماء الجاري من تلك الموازيب النفيسة ، وإن أَنِفَ من أن يأخذ الماء من ميزاب الخشب فيحرم من الماء ويبقى عطشاناً أبداً .

ومثال آخر : إن المرأة التي ليس لها ثدي ، أو التي لها ثدي لكن جفَّ لبنها ، ومع ذلك ولدت ولداً فإنها تعطي ولدها للرضاع إلى يد المرأة التي في ثديها لبن .

فهكذا أنا الناقص المأذون له من الكامل المكمَّل المأمور بإيصال ما وصل إليه منه إلى الخلق ، ولست صاحب فيض ومَدَد بل أنا كالمرأة المذكورة أَلِدُ الأولاد[1] وأسلِّمهم للتربية إلى يد محمود أفندي ذي الفيوضات ، فافهم . فكم وكم مرات استعفيت من شيخي العسوي قدس سره وطلبت منه عزلي من هذا الأمر ! لعلمي نقصي وعجزي ، وعدم كوني أهلاً لذلك . وكم وكم كرّرت لديه تصريحاً بأني لا أرى نفسي لائقة لتحمُّل أعباء الدعوة ! بيد أنه قد أكد الأمر بذلك ، وأذن لي ، وكتب لي صكَّ الإجازة وقلَّد على عنقي قلادتها . وحين كنت في السلوك رأيت في الواقعة كأني في مزرعة كبيرة محوّطة ، عندها طريق إلى مكان مرتفع وجبل ، فصرت أنبش من تلك المزرعة بالمعوال شيئاً يقال له بلغتنا (قَلِ) - عجم - ، فوجدته فيها كثيراً ، ومُلىءَ كيسا جُبَّتي منه ، وكان ذلك الشيء أجود ما يوجد في المزارع وأحسنه ، فظننت أني أستره عن الناس ، فإن أظهرتها لهم يلتجئون إليه وينبشونه بالمعاول ، ولا يبقى فيها شيء منه ، فأذهب غداً مع ولدي محمد حجيو لنخرج منه شيئاً كثيراً ، وننبشه ، فوقتئذ صارت المزرعة مملوءة من الناس بحيث لا يحصى عددهم ، فظهر فيهم النبي عليه السلام فقام على حائط المزرعة الذي يلي الطريق متوجّهاً إلى طرف الطريق ، وصار الناس

---

(١) وهم المريدون (هامش الأصل) .

يذهبون من تلك المزرعة إلى ذلك الطريق الذي كان النبي عليه السلام متوجهاً إليه ، فجاء لديّ رجل مجهولٌ منهم ، فأمرني بارتقائي إلى سور المزرعة وحائطه ، وقيامي عند النبيّ عليه السلام ، فخفت من أن أقف لديه عليه الصلاة والسلام ، لما أني لم أر أهلاً للقيام معه ، فأكّد الرجل المذكور الأمر ، بل أقامني بيده عنده ﷺ ، فحين رقيت إلى ذلك السور وأقمت عنده ﷺ ظننت أني خليفته ، فقلت حينئذ : يا رب هذا نبيك ! وهذا خليفته ! وهذه أمة قليلة فارحمهم . وبكيت بكاء فخطر في قلبي لِمَ أقول هذه أمَّة قليلة مع أن الناس كثيرون ؟ فأجبت في نفسي أن مرادي من ذلك أنهم قليلون بالنسبة إلى أمم الأنبياء الماضية ، لا أنهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم . فانتبهت وكتبت الواقعة فأخبرتها الشيخ ذا الجناحين العسليّ - نوّر الله ضريحه - آمين فقال : إن هذه واقعة حسنة ، فإن شاء الله تعالى تكون خليفة النبي ﷺ . انتهى .

في كتبة صك الإجازة

وأما الشيخ القطب الرباني خالد سيف الله قدس سره كتب إلي بعد كتابة صك الإجازة في الطريقة الشاذلية ، وشكايتي في حق هذا الأمر المخوف بما حاصله هذا : لما حسن ظن الفقير فيك وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ! ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أماناتي ، لعلم علمني ربي بإذن من رسول الله ﷺ إلخ . وقد سألت من شيخنا[1] وروحي فداه فأجاب : الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه فامض سبيلك لمصلحة الدين ، وإياك والغش ! فقد قال سيد الكائنات ﷺ : « من غشنا فليس منا » وحين أن كنت متردداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاح السادات ففي تلك الليلة حضر روحانيته ﷺ ، وكرم وعظم ، وأقامني مقامه ، وأنا مستحي منه ﷺ ، ووقعت هنالك مكالمات

(١) يعني عن ذلك الأمر (منه) .

لا أقدر إفشاء سرّ نبوة ، مع بشاشة الوجه إلخ . .

فتبع جمع كثير خلفي قائلين : أنت المحمد ، أنت خليفته إلخ . . فلم أقنع بذلك ، ووقعت في حياء عظيم وتفكر ، فحضر ثانياً ﷺ وسلّمني خاتمه ، وكان معه علي - رضي الله عنه ، وكرم الله وجهه - ونظر إلى خط الخاتم آخذاً من يدي بمحضره ﷺ ، ثم ردَّه إلى يدي بعد القراءة بأمره وملكني عليه **فسررت وحكمت على رضائه ﷺ على إجازتي والحمد لله** ، ففي ذلك الحال حضرتما[1] لدي مستبشرين بملاقاتي ، ودخل معكم عليّ واحد من المبتدعين المنكرين ، فأغلظتما عليه القول وأفحمتما[2] ، وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته عليه السلام . انتهى من خطه قدس سره .

والشيخ إنما هو لأهل التفريط

وكتب قدس سره بعد ذلك ما حاصله : إني كنت كل وقت أنهاكم عن تكثير المريدين ، وآمركم بتقليل الأتباع ، إلخ . . والآن أراكم أن لا تردوا أحداً ممن يطلب منكم الإسلاك ، ولا تنظروا إلى ظواهرهم ، **وإنما الشيخ إنما هو لأهل التفريط** لإرشادهم إلى الصراط السّوي ، حتى تجتهدوا لتكثير سوادهم ولو بطلبكم ، لما أنَّ لكلّ زمان رجال ، ولكلّ وقت أحوال . انتهى من خطه .

ياولدي! إني أخاف كثيراً من أن أكون سبباً لإتلاف أرض قلب المريد وإفساد بذره ، فكيف لا ؟ وقد قال الإمام الرباني قدس سره :

اعلم أيها الأخ القابل لظهور الكمالات أظهر الله سبحانه فعلكم من القوة أن الدنيا مزرعة الآخرة ، فويل لمن لم يزرع فيها وعطل أرض

---

(١) يعني الحاج حبيب الله وهذا الحقير الفقير (منه) .
(٢) أفحم : أسكت .

الاستعداد وأضاع بذر الأعمال .

ومما ينبغي أن يعلم أن إضاعة الأرض وتعطيلها إما بأن لا يزرع فيها شيئاً ، أو أن يلقي فيها بذراً خبيثاً فاسداً . وهذا القسم من الإضاعة أشد مضرة ، وأكثر فساداً من القسم الأول كما لا يخفى ، **وخبث البذر وفساده بأن يأخذ الطريق من السالك الناقص** ويسلك مسلكه ، لأن الناقص صاحب هوى متبع ، **وما يشوب بالهوى لا يؤثر** وإن أثر أعان على الهوى ، فيحصل ظلمة على ظلمة ، لأن الناقص لا يميز بين الطرق الموصلة إلى الله سبحانه و بين الطرق التي لا توصل إليه سبحانه ؛ إذ هو غير واصل قط . وكذا لا يميز بين الاستعدادات المختلفة للطلبة . وإذا لم يميز طرق الجذبة عن طرق السلوك فربما يكون استعداد الطالب مناسباً لطريق الجذبة غير مناسب لطريق السلوك ابتداء ! والناقص لعدم تمييزه بين الطرق وبين الاستعدادات المختلفة يسلكه طريق السلوك ابتداء فأضلّ عن الطريق كما ضلَّ . فالشيخ الكامل المكمل إذا أراد تربية هذا الطالب وتسليكه احتاج أولاً إلى إزالة ما أصاب من السالك الناقص وإصلاح ما فسد بسببه ثم ألقى البذر الصالح المناسب لاستعداده في أرض الاستعداد فينبت نباتاً حسناً ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾ ﴿**مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ فصحبة الشيخ الكامل المكمَّل كبريت أحمر ، نظره دواء ، وكلمته شفاء ، وبدونها خرط القتاد[١] انتهى « الدرر المكنونات » في ٣٢ ج١ .

يا ولدي! إن هذا الكلام المذكور قاصم لظهر والدك ، وكان هذا الكلام سبب ردّه مراراً إجازة شيخه العسلي ، بيد أنه قدس سره اطّلع على ما في سرّي فسلم إلى يدي كتاباً ، فنظرت إليه فوجدت فيه ما حاصله : أنّ الكامل قد يعطي الإجازة للناقص فلا يحصل منه الضرر ، لأنّ

---

(١) والقتاد : شجر له شوك « مختار » .

يده يده ، وتربيته[1] تربيته . انتهى . فبعد ذلك اطمأن القلب وسكن عن الاضطراب ، فأسأل الله سبحانه تعالى أن لا يجعلني سبباً لإتلاف استعداد السالكين وإفسادهم ، وأن لا يحرمني وإياهم من بركة السادات القادات أهل الإرشاد والكمال آمين .

ياولدي ! إن والدك لا يرى نفسه فوق أحد فلله الحمد على ذلك ، بيد أنه يرجو الله تعالى أن يجعله من المتشبهين بالمتشبه وينزله منزلة كلب أصحاب الكهف ، فإنه قد خطى خطوات خلف من وحد الله تعالى فأكرمه الله لذلك .

ورأيت في « نزهة المجالس » أنّ رجلاً من قوم قارون كان يحاكي عمامة موسى عليه الصلاة والسلام ويلفُّ الصوف على إصبعه ، فلمَّا خسف الله تعالى بهم الأرض أخَّر ذلك الرجل عن الخسف لمشابهته بموسى في العمامة . انتهى في ١٣٥ ج٢ .

وليس لي عمل مرجو ولا خلق حسن - فيما أعلم - إلا محبة هؤلاء الصوفية الصافية ، واعتقاد كلامهم ، وتصديق علمهم ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره **إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة** دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجة هذه المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ! بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان ،

---

(١) ورأيت في « المناقب الأحمدية » ما نصه يجوز للشيخ إجازة المريد المستعد قبل وصوله إلى مرتبة الإجازة المطلقة التى هي بعد فناء النفس والقلب وإن لم يبلغ إلى الكمال ، كما أجاز حضرة الشيخ بهاء الدين النقشبند مولانا يعقوب الچرخي رضي الله عنه ، فراجعه (منه) .

وينبغي أن يعدَّه استدراجاً . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ ج١ .

وقال الجنيد : **التصديق بعلمنا هذا ولاية** ، وإذ فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك . فان لم يصبها وابل فطل .

وقال أبو يزيد : **من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فانه مجاب الدعوة** . انتهى من « منية الفقير المتجرد » .

وفيه : **من[١] لم يكن له من هذا العلم - أي علم الباطن - نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة . انتهى** .

وفيه : التصديق[٢] بطريق الولاية ولاية . انتهى فراجعه . الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الجليلة حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

يا ولدي ! أوصيك بملازمة الجمعة والجماعة ، وأن لا تصلي منفرداً إلا عند الضرورة ، وأن لا تتساهل في أداء السنن في الصلوات المفروضات .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : **أن أداء فرض واحد مع الجماعة أفضل من ألوف من أربعينياتهم** . انتهى من « الدرر » عبارته ٢٤٩ ج١ .

وقال أيضاً : واعلم أن مقربات الأعمال : إما فرائض ، وإما نوافل ، فالنوافل لا اعتبار لها في جنب[٣] الفرائض أصلاً ! فإن أداء فرض من

---

(١) هو قول بعض العارفين (منه) .

(٢) هو قول الجنيد رحمه الله (منه) .

(٣) واعلم أيضاً أنّ رتبة الصلاة مثل رتبة الرؤية في الآخرة ، فنهاية القرب في الدنيا إنما هي في الصلاة ، ونهاية القرب في الآخرة في عين الرؤية . وأيضاً إن سائر العبادات وسائل للصلاة والصلاة من المقاصد ، كذا ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، لكنه بالنسبة إلى أرباب النهاية ، فإن الأمر العظيم للمنتهي هو أداء=

الفرائض في وقت من الأوقات أفضل من أداء النوافل ألف سنة ، وإن أديت بنية خالصة أيَّ نفل كان ! من الصلاة والصوم والذكر والفكر وأمثال ذلك :

بل أقول : إن رعاية سنة من السنن وأدب من الآداب حين أداء الفرائض لها ذلك الحكم أيضاً .

نقل أن سيدنا عمر ﵁ صلَّى يوماً صلاة الصبح بجماعة ، ثم نظر إلى القوم وتفقّدهم[1] ، فلم يرَ فيهم شخصاً من أصحابه فقال : ألم يحضر فلان الجماعة ؟ فقيل : إنه يسهر أكثر الليل فيحتمل أن يكون قد غلبه النوم في هذا الوقت . فقال : لو نام تمام الليلة وصلى صلاة الصبح مع الجماعة لكان أولى وأفضل . فرعاية الأولى والاجتناب عن المكروه وإن كان تنزيهيّاً أولى من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب كثيرة ، فكيف إذا كان المكروه تحريميّاً ؟ ! نعم إن جمع هذه الأمور مع هذه الرعاية والاجتناب فقد فاز فوزاً عظيماً ، وبدونه خرط القتاد[2] . فكما أن تصدق دانقٍ مثلاً في حساب الزكاة أفضل من تصدّق مقدار جبال عظام من ذهب بطريق النفل بمراتب ! كذلك رعاية أدب في تصدق ذلك الدانق ! كأن يعطيه إلى فقير مستحق أفضل منه أيضاً بمراتب . انتهى . من « الدرر » عبارته في ٣٧ ج١ .

يا ولدي إن زيادة الإطناب موجبة للملالة والسآمة ، بيد أني لفرط إرادتي حصول المنفعة لك كتبت لأجلك النصائح ، فأرجوك أن لا تملَّها ، فلو كنت عطشاناً لا تسأمها بل تقول : زدني زدني . هل من مزيد ؟ وأحسن ما يملى حديث الأحبة ، وإلا فكثرة الكلام لا ينفع ، فأهمّ الأمور ملازمتك

=الفرائض ، كما بيّنه قبيل هذا ، فراجع « الدرر المكنونات » في ١٢٨ من الجزء الأول (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(١) أي : طلبهم .

(٢) خرط العود : قشره ، وبابه ضرب ونصر ، وخرط الورق حته ، وهو : أن يقبض على أعلاه ثم يمرّ يده عليه إلى أسفله . وفي المثل دونه خرط القتاد « مختار » .

على الأوراد من الاستغفار والصلاة على النبيّ عليه السلام ومواظبتك على الذكر القلبيّ ؛ فإن الذكر القلبي مؤيّد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمارة ، وأن لا تحزن على عدم الإطلاع على أحوالك ، وأن لا تجعله دليلاً على عدم الحاصل فيك ، **فإنّ علم الأحوال لا يعطى لكلّ أحدٍ** ، والمقصود حصولها لا اطِّلاعها . **وغياب الحال أكمل في المعرفة ، وأوفر في الثواب** . فكن عبد الله لا عبد الحال ، ولا تكن كالصبيّ إن أعطاه السكر والجوز يجيب وإلا فلا !

وقد قال الإمام الرباني : إن المقصود من حصول الأحوال التعلق والارتباط بمحوِّل الأحوال ، فإذا حصل هذا التعلق فلا ضرر من عدم حصول الأحوال[1] . انتهى من « الدرر » ٢١٩ ج١ .

وفي « الجواهر والدرر » للشعراني . إن ما يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار نقص ، لا سيما إن كان ذلك بميل منهم ! وذلك لأن الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب ، وإنما محلها الدار الآخرة . انتهى ١٨٢ .

وفيه : غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة .

فالحاصل أن ذرّة واحدة من عبادة من لا يعلم حاله ولا يميل إليه أعلى وأفضل رتبة من كثير من عبادة من ظهر له الأحوال ومال إليها . « لواقح » ٢٠٩ ج١ . ولا يخفى أن من ظهر له حاله أَنِسَ به وتلذّذَ فيكون

---

(١) ولا يتسلى بجوز الحال وموزه إلاّ أطفال الطريقة ، وأما عند رجال الطريقة لا يكون حصول الأحوال محلاًّ للسرور ولا يكون زوالها موجباً للغمّ والانفعال والهموم ، بل يكونون مُنْتَظِرينَ للمقصود المنزه عن الكيف والمثال . فإن جعل وجه القلب متوجهاً إلى سوى الحق تعالى يكون أشدّ تكدّراً من كلّ شيء ، وإن وجّه وجهه نحو الحق سبحانه فيكون أشد صفاء من كل شيء ، فينبغي الاعتناء لتحصيل حريّة القلب من التعلقات بالسوى والله ولي التوفيق (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

الباعث على ملازمة الذكر ومواظبة الورد هو التلذّذ لا التعبد المحض ، ولذا عد العارفون التلذذ في العبادة شركاً فافهم .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : والعبادة التي منشأها الرغبة والرهبة فتلك العبادة هي عبادة النفس في الحقيقة ، فإن المقصود منها إمّا حصول نجاة النفس أو سرورها . شعر :

مادمت مفتوناً بنفسك يا خلي دعوى المحبة منك دعوى كاذب

انتهى « درر » ٨٠ ج١ .

أيها الولد! استمع لما أتلو عليك بالتفكُّر والتدبّر بسمع القبول وقد طلبت مني كتبة الوصايا ، فأرجوك الاتعاظ والقبول ، فعدم القبول بعد الطلب ليس بلائق ، بل هو مخلٌّ للشجاعة ، ومنبئ عن عدم المروءة .

قال الإمام الرباني قدس سره : المرء مع من أحب ، فطوبى لمن لم يبق لقلبه حبّاً إلا مع الله تعالى سبحانه ، ولم يرد إلا وجهه تعالى وتقدّس ، فيكون هو مع الله تعالى جلَّ سلطانه وإن كان في ظاهره مع الخلق واشتغل بهم صورة ، وهو شأن الصوفي الكائن البائن ؛ أي الكائن مع الله سبحانه وتعالى ، والبائن من الخلق حقيقة .

أو المراد الكائن مع الخلق صورة ، والبائن منهم حقيقة .

والقلب لا تتعلق محبته بأكثر من واحد فما لم يزل التعلق الحبي بذلك الواحد لم يتعلق بما سواه محبته ، وما يرى من كثرة مراداته وتعلق محبته بالأشياء المتكثرة كالمال والولد والرياسة والمدح والرفعة عند الناس فَثَمّة أيضاً لا يكون محبوبه إلا واحداً وهو نفسه ، ومحبة هؤلاء فرع محبته لنفسه فإن هؤلاء الأشياء لا يريدها إلا لنفسه ، لا لأنفسهم ! فإذا زالت محبته لنفسه زالت محبتهم بالتبعية أيضاً . فلهذا قيل : **إن الحجاب**

بين العبد والرب هو نفس العبد ، لا العالم ! فإن العالم في نفسه غير مراد للعبد حتى يكون حجاباً ! وإنما مراد العبد هو نفسه ، فلا جرم يكون الحجاب هو العبد لا غير . فما لم يخل العبد عن مراد نفسه كلية لا يكون الربُّ مراده ، ولا يسع قلبه محبته سبحانه وتعالى ، وهذه الدولة القصوى لا تتحقق إلا بعد الفناء المطلق المنوط بالتجلّي الذاتي ، فإن رفع الظلمات رأساً لا يتصوّر إلا بطلوع الشمس بازغة .

المحبة الذاتية

فإذا حصلت تلك المحبة المعبر عنها بالمحبة الذاتية استوى عند المحب إنعام المحبوب وإيلامه ، فحينئذ حَصَل الإخلاص فلا يعبد ربه إلا له ، لا لأجل نفسه من طلب الإنعام ودفع الإيلام ! لأنهما عنده سواء . وهذه مرتبة المقربين ، **فإن الأبرار إنما يعبدون الله خوفاً وطمعاً** ، وهما راجعان إلى أنفسهم لعدم فوزهم بسعادة المحبة الذاتية ، فلا جرم يكون حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فحسنات الأبرار حسنات من وجه ، وسيئات من وجه ، وحسنات المقربين حسنات محضة .

نعم من المقربين من يعبد الله خوفاً وطمعاً أيضاً ! بعد تحققهم بالبقاء الأكمل وتنزُّلهم بعالم الأسباب ، لكن خوفهم وطمعهم غير راجعين إلى أنفسهم ، بل إنما يعبدون طمعاً في رضائه سبحانه وتعالى ، وخوفاً من سخطه تعالى ، وكذا إنما يطلبون الجنة لأنها محل رضائه تعالى ، لا لحظوظ أنفسهم ! وإنما يستعيذون من النار لأنها محل سخطه تعالى . لا لدفع الإيلام عن أنفسهم ! لأن هؤلاء الأكابر محرَّرون عن رقِّيَّة الأنفس ، وصاروا خالصين لله سبحانه وتعالى . **وهذه الرتبة أعلى من بين رتب المقربين** ، ولصاحب هذه المرتبة نصيب تام من كمالات مقام النبوة بعد تحققه بمرتبة الولاية الخاصة ، ومن لم ينزل إلى عالم الأسباب فهو من الأولياء المستهلكين ، فلا نصيب له من كمالات مقام النبوة ، فلا يكون

أهلاً للتكميل! بخلاف الأول. رزقنا الله سبحانه محبة هؤلاء الأكابر بحرمة سيد البشر عليه وعلى آله وأتباعه من الصلوات أفضلها، ومن التسليمات أكملها، فإن المرء مع من أحب. انتهى «الدرر المكنونات» عبارته ٣٤ ج١.

أيها الولد! إن هذا الميدان مما لا مجال لك ولوالدك أن نسْرح جواد نفوسنا فيه، لكن معرفة مقامات القوم لا تخلو عن فائدة، فإن العاجز عن العروج إلى تلك المراقي لا يخلو عن الاعتراف بالتقصير، أو التشمُّر للارتقاء إلى ذلك المقام العالي.

واعلم يا ولدي أنه لا بد للإنسان من ثلاثة أشياء حتى تتيسر النجاة الأبدية ١ - العلم، ٢ - والعمل، ٣ - والإخلاص. كما قاله الإمام الرباني قدس سره وقال بعد كلام:

وبالجملة إن العلم والعمل مستفادان من الشريعة **وتحصيل الإخلاص الذي هو بمنزلة الروح للعلم والعمل مربوط بسلوك الطريق الصوفية**، وما لم يقطع السالك مسافة السير إلى الله تعالى ولم يتحقق له السير في الله تعالى فهو بعيد عن حقيقة الإخلاص، ومحروم من كمالات المخلصين أهل الاختصاص. نعم قد يتحقق الإخلاص في بعض الأعمال لعامة المؤمنين بالتعمُّل والتكلُّف ولو في الجملة، ولكن الإخلاص الذي نحن بصدد بيانه هو الإخلاص في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات، من غير تعمُّل وتكلُّف فيه. وحصول هذا الإخلاص منوط بانتفاء الآلهة الآفاقية والأنفسية الذي هو مربوط بالفناء والبقاء، والوصول بالولاية الخاصة والإخلاص الذي يحتاج فيه إلى التعمُّل والتكلُّف لا يكون له دوام، ولا بد من سقوط التكلُّف في حصول الدوام الذي هو مرتبة حق اليقين.

وأولياء الله تعالى كلما يفعلونه يفعلونه لله جل وعلا ، لا لحظوظ نفوسهم ! فإن نفوسهم كانت فداء الحق سبحانه ولا حاجة لهم إلى تصحيح النية في حصول الإخلاص ، فإنّ نيتهم قد صحَّت بالفناء في الله ، والبقاء بالله ، **فإن شخصاً مثلاً إذا كان أسيراً في يد نفسه فكلما يفعله يفعله لحظِّ نفسه نوى أو لم ينوِ** . ومتى زال تعلقه بنفسه وتخلص من رقِّيَّتها وحصل بدله التعلق بالحق جلَّ وعلا فلا جرم يفعل كلما يفعله لله تعالى ، نوى أو لم ينو ! فإن النية إنما يحتاج إليها في المحتمل ! وأما المتعين فلا حاجة فيه إلى التعين ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾ .

وصاحب الإخلاص دائماً فهو من المخلَصين بفتح اللام ، ومن لا دوام في إخلاصه بل هو في كسب الإخلاص دائماً فهو من المخلِصين بكسر اللام وشتان ما بينهما ، والنفع الذي يحصل في العلم والعمل من طريق الصوفية هو أن يكون العلوم الكلامية الاستدلالية كشفية ، وأن يحصل اليسر التام في أداء الأعمال ، وأن يزول الكسل الناشيء من جانب النفس والشيطان ، وهذي سعادات تكون نصيب من ؟ ! والسلام أولاً وآخراً . انتهى من « الدرر » في ٧١ ج١ .

والمقصود من إظهار أمثال هذه الأحوال والمقامات هو ترغيب الولد الأعزِّ ، وتنفيره عن الاشتغال بحظِّ النفس في جميع الأعمال[١] شعر .

من أجل كونك في البداية أحولاً لا بـد مـن شيـخ يقودك أولاً

ياولدي! إني كتبت في هذا الكتاب كثيراً من الوصايا رجاء أن تعمل ولو بواحد منها ، وفقك الله سبحانه للعمل بجميعها آمين . وبنيته على أساس الترغيب والترهيب ، لما أنك في الحال مثل الدابة الجموحة فإنها تحتاج مرة لإعطاء الملح والشعير ، ومرة أخرى لضرب السوط والقضيب ، لأنها لا تنقاد إلا بهما . وبيّنت لك آنفاً منتهى مقامات الإخلاص لتصرف

(١) وفي نسخة : في جميع الأحوال .

همَّتك عن الرغبة والرهبة ، وتطلب الترقي إلى إخلاص أهل القربة والوصلة .

يا ولدي ! مكّن نفسك في وسط دائرة الاستقامة ، **ولا كرامة أعلى وأفضل من الاستقامة !** وإياك والابتداع ! وبالابتداع يهبط المرء عن درجة أهل الكمال . رزقنا الله تعالى والمسلمين الهداية والتوفيق آمين .

وإني وإن حرضتك على طلب العلم مراراً لكن ينبغي لك أن تعلم أن فضل العلم لا يكون إلا إذا طلبه الإنسان على وجه الإخلاص ، فإن طلب العلم على وجه الإخلاص أفضل من صلاة النافلة عند إمامنا[1] الشافعي ، وإنما أجور الأعمال بالنيات ! فكلّ ما صلحت فيه النية من الطاعات فهو أولى بالاشتغال به ، سواء كان علماً أو عملاً .

وفي « لواقح الأنوار » قال داود الطائي رحمه الله تعالى : طالب العلم كالمحارب ! فإذا أفنى عمره في تعليم كيفية القتال فمتى يقاتل ؟ فمن عقل العاقل أنه كلما رأى نفسه عملت بكلّ ما علم واحتاجت للعلم أن يقدِّمه على سائر الطاعات التي لم يأمره الشارع بتقديمها عليه ، وكلّما رأى نفسه مستغنية عن العلم وعلمها زائد على حاجتها أن يقدِّم غيره عليه ، كما كان عليه السلف الصالح . فلا بدَّ لكلّ إنسان من العلم والعمل ، والاشتغال بواحد منهما دون الآخر نقص .

واعلم أن جميع ما ورد في فضل العلم وتعليمه إنما هو في حق المخلصين في ذلك ، فلا تغالط في ذلك ، فإن الناقد[2] بصير . انتهى عبارته ٦٧ ج١ .

يا ولدي ! أوصيك بمطالعة كتب الحديث ، وكتابته وإسماعه

---

(١) كذا في « العهود المحمدية » في ٢٠١ ج١ .

(٢) ونقد : الدراهم ، وانتقدها : أخرج منها الزيف « مختار » .

للناس ؛ ففي ذلك فوائد عظيمة .

ومن أعظمها الفوز بدعائه ﷺ لمن بلّغ كلامه إلى أمته في قوله : « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها » ودعاؤه ﷺ مقبول بلا شك ، إلا ما استثني ! كعدم إجابته ﷺ في أن الله تعالى لا يجعل بأس أمته فيما بينهم كما ورد .

قال الشعراني : ومعنى نضَّر الله الدعاء بالنضارة ، وهي النعمة والبهجة والحسن ، تقديره جَمَّلَهُ الله وزيَّنَهُ بالأخلاق الحسنة والأعمال المرضية .

وقيل غير ذلك « الأنوار القدسية » عبارته ٣٢ ج١ .

وفيه : **وناسخ العلم النافع له أجره وأجر مَنْ قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به** ، لحديث مسلم مرفوعاً : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به » الحديث . انتهى ٣٣ ج١ .

يا ولدي! هذا في نسخ العلم النافع وأما نسخ غيره فتضييع للوقت .

قال في « الرشحات » في بيان أقوال سعد الدين الكاشغري قدس سره : كان واحدٌ من أصحابه يكتب رسائل في فصل الربيع ، وكان يخطر بباله أن يتنزه ويتفرج دائماً بعد إتمامها ، فجاء في ذلك الأثناء صحبته فأنشده هذين البيتين ، شعر :

بادوست باكلـذار شـدم رهـكـذري بركل نظري فكـندم ازبيخبري دلدار

بـاطـعـنـه كـفـت شـرمـت بــادرا رخسار من اينجـا وتـودر كل نكري

ترجمة :

دخلت بمن أهوى ببسـتــان عـابراً فـكنـت من الغفـلات للـورد ناظراً

فقالت :

لـك الـويـلات يـا مـدعي الهـــوى   أترمـق ورداً تـاركـاً خـــدي زاهراً

ثم قال : إذا ذهبت للتفرُّج فإن كنت محتظياً به فأنت غافل عن الحق سبحانه ، وإن لم تكن محتظياً به فما الفائدة فيه وتكتب الرسائل ؟ فإن أردت العمل بما فيها فتكفيك كلمة وهي : **كن مشغولاً بالله** . وإن لم ترد العمل بما فيها فما الفائدة في تحريرها ثم قال : يك ني هزارآساني ، يعني أن في كلمة (لا) وحدها ألف سهولة وهذا الكلام جارٍ في جميع المقام ، ففي كل شيء غير الحق سبحانه قلت (لا) فقد تخلصت . انتهى عبارته .

أيها الولد ! ينبغي لك أن تصرف وقتك بعد ما سئمت من مطالعة العلم النافع إلى نفي الخواطر ، والاشتغال بالأسباب الجالبة للحضور والجمعية .

وقد قال بعض الأكابر : لَحُضورُ قلبي في استغراق نور ربي خير من علوم الأولين والآخرين . انتهى .

بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، كما هو نصّ ما في « الإحياء » في ١١٤ من الجزء الرابع .

وقال صاحب « الإتحاف » في تفسير ما ذكر ما نصه : ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » .

وقال صاحب « القوت » : إذا جاوز الخوف الحدَّ خرج إلى أن يسري إلى النفس فيحرقها ، فيكون له شهادة . وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات ! إلا أنه قد قال بعضهم : ما شهداء بدر بأعظم أجراً ممن مات وجداً . وهذه

صفات ضعاف المريدين ! إذ للعلماء المؤمنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد ، وبكلّ معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر ، ومن كل قصد محجة بتعظيم حجة ، وبكلّ عمارة قلبٍ بحال محبة عمرة . انتهى من عبارته فراجعه في ٢٠٢ من ج٩ .

وفي « الرشحات » : ولا ينبغي للسالك أن يكون أدون من تلامذة النساج ! فإن أحدهم يبقى مدة في تعلُّم وصل الخيوط وترتيبها ، وأين له الاشتغال بأمور أخرى ؟ فكذلك ينبغي للطالب أن يسعى بالجدِّ والجهد حتى يكونَ أستاذاً في نفي الخواطر ، وماهراً في كيفية نفيه ، ولا ينبغي له في الابتداء الاشتغال بشغل آخر غير نفي الخواطر ، والذين يطالعون الرسائل ويجمعون منها الكلام فلا نفع لهم منها ، بل أمثال ذلك كلها تعطيل وتضييع للأوقات ، فإن طريق الحق سبحانه وأمره سلوك وعمل ، لا سماع وجدل وتطويل الأمل !

فمن كان في بغداد عند السلطان مثلاً وهو قادر أن يجالسه دائماً ومع ذلك يكون مشغولاً بمطالعة مكتوب كتبه واحد من كتَّابه ورعاياه وأرسله إلى الشام ومحتظياً به فهو في غاية الجهل والغواية ، ونهاية الغفلة والعماية ، فكيف يبعد إنسان عن حضور السلطان باختياره ، ويسافر من بغداد إلى الشام لمطالعة مكتوب كُتَّابه ؟ ! انتهى عبارته .

وهذا الكلام يشير إلى ما ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فتدبره .

وأهمُ ما أنصح به الولد أن يكون شغله بالله تعالى على الدوام ، وأن يصرف جميع همَّته وقصده إلى ذكر الله تعالى بلا غفلة عنه لمحة ، حتى يحصل له الحضور التام ، ويزول التعلق حبّاً وعلماً بما سواه تعالى من الأنام ، وأن لا يواظب على الأوراد ، وأن لا يتركها إلا عند الضرورة ،

لأن مدد الشيخ وفيضه في ورده الذي رتَّبه له ، فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد والفيض ، وهيهات أن يصح في الطريقِ ! كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٨٠ ج١ نقلاً من « تحفة الإخوان » .

واعلم أن قلب الشيخ مثاله كالحوض ، وأوراده كالميازيب الموضوعة لجري الماء ، وقلب المريد كالإناء الذي وضع تحت طرف الميزاب ، فلو خرج الميزاب الذي هو الورد مثلاً ينقطع جريان الماء الذي هو المدد والفيض بالكلية ، أو وقع في وسط الميزاب شيء ما من التراب أو الحصاة أو غيرهما يقل جريان الماء إلى ذلك الإناء بحسب ما وقع فيه قلة وكثرة ، ولطافة وكثافة ، فلأجل ذلك ينبغي لك أن تلازم الأوراد ، وأن لا تتركها لئلا ينقطع عنك رشحات الفيوض والأمداد بالكلية ، وأن تحترز عما يقلُّها أو يكدِّرها أو يقطعها بسدِّ مجاريها ، وذلك يكون بالوقوع في المخالفات فعلاً أو قولاً أو سمعاً أو نظراً ، فلا ريب أن نفع الذكر يكون منوطاً بفعل المأمورات واجتناب المنهيات . ثبتنا الله تعالى على جادّة الاستقامة آمين .

وأيضاً قد يكون السبب لانقطاع الفيض أحياناً من طرف الشيخ نفسه ، لما أنه قد يقع في هفوة أو زلة ، أو مخالفة للأمر أو قبضة ، وذلك لظهور بشريته ، وغلبة جسمانيته على روحانيته ، فإن الجبلّة التي جبل عليها الإنسان لا تستأصل بالكلية ! بل تصير في حالة الاعتدال بكثرة الرياضات والمجاهدات ، والملازمة على الأذكار والصلوات ، فربما تظهر تلك الجبلّة في غير الأنبياء عليهم السلام في أوقات نادرة ، فيقع الخلل حينئذ من جهة الشيخ ، ويحرم المريد من الفيض وإن كان مستعدّاً لقبوله وأخذه . ألا ترى أن الحوض ربما يقع فيه الخلل ، ويحصل في أطرافه آثار من الثقب ، فيخلو عن الماء الذي كان يجري منه الماء إلى الموازيب ومنها إلى الإناء !

يا ولدي! إن هذا الأمر مما كان والدك في خوف وَوَجل دائماً، لكون أحواله في أكثر الأوقات في نقص وتنزُّل، فكيف لا؟ وقد كان الشيخ العسوي قدس سره لا يتوجه إلى المريد أحياناً حين طرأ عليه القبض بحصول الكدورة بسبب كثرة التوجهات قائلاً: لا نفع حين مات الباطن، انتهى. وقد قلت له مرة: يا أستاذي! إني أكون في أوقات في قبضة وفتور، وأخاف حينئذ أن تنعكس للمريد مني تلك القبضة، فماذا أفعل في ذلك الوقت؟ فقال قدس سره: افعل الرابطة بالشيخ محمود أفندي، واعتقد كأنه واقف بينك وبين المريد، فحينئذ لا يحصل لك الضرر منه، ومنك له. انتهى. فالحمد لله الذي جعل لكل داء دواءً وشفاءً ولكل ضيق وإشكال فرَجاً ومخرجاً.

يا ولدي! قد علم مما مرّ أن الوارد لا يكون لمن لا ورد له، **ومن ليس له ورد فهو قرد** ليس له نصيب من المدد.

وقد رأيت في «النور الساطع» ما حاصله: أن ترك الأوراد اختياراً كسلاً فسوق، ومن لازم أوراد شيخه فاز بمقاصد الدارين. فراجعه. والقلب المحشوّ بنقوش السّوى لا ينجلي ولا يصفو إلا بملازمة الورد، ومداومة على الذكر الكثير.

قال الخواجه محمد پارسا قدس سره: إن الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب، لا غير! ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة، والتفرجات المتشتة، ورؤية الألوان والأشكال المتنوعة، ويستقر في القلب فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة. وأيضاً قد تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب، والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتّى وسماعها وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة، واستماع الغناء والنغمات المطربة[1]، وهذه المذكورات

(١) وطرب في صوته بالتضعيف: رجعه ومده «مص».

كلها موجبات للبعد والغفلة عن الحق سبحانه ، فنفيها واجب على الطالب . فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد في الخيالات الفارغة ليتوجَّه إلى الله تعالى بقلب صافٍ . وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يحصل ذلك المعنى من غير محنة ومشقة ، وترك لذات جسمانية وشهوات حسية ، والراحة المطلوبة إنما هي في دار الآخرة .

فإن التزمت مشقة يسيرة في أيام معدودة في الدنيا تسترح في الآخرة أبد الآباد ، فانه لا قدر لهذا العالم بالنسبة إلى عالم الآخرة ، وكأنه بذر خشخاش مرميّ في صحراء لا نهاية لها . انتهى من « رشحات » عبارته .

يا ولدي! اعلم أن قلوب المشائخ تكون مملوءة بالعلوم والمعارف ويجعلون ألسنتهم كشجرة موسى عليه السلام ، فينطقهم الله تعالى بما يليق بحال الجليس على قدر همَّته واستعداده ، فإن كان المريد ممن أراد الله تعالى به خيراً ينطقهم الله تعالى بما له فيه المصلحة ، وإلا ! تخرس ألسنتهم ، ولا ينطقون إلا بما فيه طرده ولعنه ! فالعياذ بالله . ومن ها هنا قيل : **الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي** . وقد ينسد باب المعارف بمصاحبة أهل الاعتراض والإنكار ، والاحتراز عن الاعتراض واجب . فإن الاعتراض بالقلب أو باللسان سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ وبين المريد ، فإن رأى المريد من شيخه ما لا يوافق الشرع ظاهراً أو باطناً فليعلم أن هنالك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها المريد ، والشيخ يجري على منوالها ، فكزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، فينبغي أن يعلم أن الشيخ لا يخرج عن حضرة ربه ، ولا يزحزحه[1] عن محل قربه ، ولا يحطُّه عن كمال أدبه ، وإن ظهر منه شيء من نقصان حاله بظهور بشريته ! ومن طلب مرتبة لا يكون فيها نقص لا مطمع له في دخول الحضرة ، لأنّ المراتب لا بد لها من نقص ، فلا يظهر

---

(١) زحزحه : باعده « مص » .

كمال أصلاً ليس فيه نقص إلا في مرتبة الرسالة والنبوة والقطبانية ، كما هو مذكور في الكتب .

مهم

ومثال الشيخ كقائد الأعمى ، ومثال المريد كالأعمى ، فقد تزلُّ قدم القائد فيقع على الطريق ، مكبّاً ويبقى الأعمى قائماً في الطريق ، وقد يضرب قدم الأعمى على حجر مرتفع في الطريق فيسقط مكبّاً على وجهه والحال أن يده حينئذ في يد القائد . ومن طلب من القائد أن لا تزلَّ قدمه أصلاً فقد أخطأ ، ومن ظنَّ أن الأعمى لأجل كون يده في يد القائد لا تزلُّ قدمه أبداً فقد أخطأ أيضاً ، وما يفعله أرباب الاستقامة من الجانبين ، هذا ؛ أن القائد إذا زلت قدم الأعمى يقيمه ويعينه ويقوده خلفه في الطريق إلى أن يتمَّ أمره ، ويوصله إلى مآربه ، وإن الأعمى إذا زلت قدم قائده وسقط علي الأرض مكبّاً علي وجهه لا يفارقه بل يأخذ بيده ويتبع خلفه إذا قام إلى أن يصل إلى مقاصده هذا هو الصواب . فافهم هذه الإشارة وكن من الشاكرين .

واعلم أنه ليس من شرط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم[١] من المخالفات . كما صرحه يوسف النبهاني في « شواهد الحق » فراجعه في ١٣٥ . وقد بسط صاحب « الإبريز » الكلام في حق هذا المطلب فجزاهما الله تعالى عنا خيراً .

يا ولدي ! قد أمرني شيخنا المرحوم قطب هذا الإقليم خالد سيف الله قدس سره بأن أُشْغِلك على طلب العلم النافع ، وقال يحصل لك الفتح بعد ذلك في سائر العلوم إن شاء الله تعالى . فبناء على أمره أشغلتك

---

(١) وراجع « اليواقيت » في ١٨٣ ففيه بسط مهم في ردّ قول : من قال لو كان الواعظ صادقاً لأثر وعظه . . إلخ (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

بهذا العلم ، وإياك ثم إياك أن تصرف همّتك عن هذا العلم إلى غيره من علوم الدنيا ! لكن لا بدَّ لطالب العلم من علم اللغة ، فقد ذكر في « عقد اليواقيت » ما نصه : والحذر الحذر من ترك الاشتغال بعلم اللغة ! مثل النحو والصرف فإنها أساس العلوم ، والموصلة لك إلى فهم سائر العلوم . انتهى فراجعه في ٢٤ من الجزء الثاني .

واعلم أن مجرد النظر إلى كتب أهل السلوك[١] **جند من جنود الله تعالى** ، وأن التضلُّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، والاشتغال به أولى وأنسب من الاشتغال بغيره ، والأدب مع المعلم والأستاذ[٢] من آكد الأمور ، وبتركه يحرم الطالب من البركات . فقد كان الإمام زفر أسبق علماً وفهماً من سائر أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه لكن صار مذهبه ضعيفاً لمجرد تركه أدبه مرة واحدة بعدم قيامه له حين جاء لديه ، بعذر أنه كان حينئذ يتوضَّأ . فتدبَّر فيما حصل له من الضرر بهذا الشيء اليسير . رزقنا الله تعالى التوفيق .

وفي « المناقب الأحمدية » ما نصُّهُ قال المؤلف – عفي عنه – : كتب الإمام الرباني قدس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » : **إن شرافة العلم ومرتبته بقدر شرافة المعلوم**[٣] فكلما كان المعلوم شريفاً كان العلم به

---

(١) وفي نسخة : التصوف .

(٢) قال في« نزهة المجالس » قال رسول الله ﷺ « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل الله تعالى » ، فتجب مراعاة الأدب معهم وإن لم يُراع الأدب معهم فقد ضلّ عن سواء السبيل . قال الشيخ جنيد قدس سره من جالس مع هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الإيمان . كذا في سلسلة خواجكان ، فراجعه قبيل الباب السادس (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وقال الشيخ العلامة السيد محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينته » : فاعلم أن الذكر والعلم فضلهما يتبع المذكور والمعلوم ، وكلما كان المذكور أعظم والمعلوم أشرف كان الذكر أعظم والعلم أشرف ، ولا مذكور أعظم من ربّ العزَّة ، ولا معلوم أشرف منه . انتهى عبارته راجعه في ١٢٧ .

أعلى ، فالعلم الباطني الذي امتازت به الصوفية أشرف من العلم الظاهري الذي هو نصيب علماء الظاهر ، على قياس شرافة علم الظاهر على علم الحجامة والحياكة . فلتكن رعاية آداب الشيخ المستفاد منه علم الباطن زائدة أضعافاً عن رعاية آداب الأستاذ المأخوذ منه علم الظاهر ، وهكذا رعاية أستاذ علم الظاهر زائدة على رعاية أستاذ الحجامة والحياكة ، وهكذا التفاوت جارٍ في أصناف العلوم الظاهرة ، فأستاذ علم الكلام والفقه أولى وأقدم من أستاذ علم النحو والصرف ، وأستاذ علم النحو والصرف أفضل من أستاذ علم الفلاسفة ، مع أنّ علوم الفلاسفة ليست داخلة في العلوم المعتبرة ، إذ أكثر مسائلها غير مفيدة ولا طائل تحتها ، وأقل مسائلها المأخوذة من الكتب الإسلامية المتصرفة فيها ليست خالية عن الجهل المركّب ، لأنّ العقل لا مجال له هناك ، فإن طور[1] النبوة فوق طور العقل والنظر .

مهم في أدب الشيخ

فليعلم أن حقوق الشيخ فوق حقوق سائر أرباب الحقوق ، بل لا نسبة لحقوق الغير بحقوق الشيخ بعد إنعامات حضرة الحق سبحانه وتعالى وإحسانات رسوله عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات ، بل الشيخ الحقيقي للكل رسول الله ﷺ ! **فالمادة الصورية وإن كانت من الوالدين لكن الولادة المعنوية مخصوصة بالشيخ ، والولادة الصورية لها حياة أيام معدودات ، وأما الولادة المعنوية فلها الحياة الأبدية ،** فإن الكَنَّاس للنجاسات المعنوية للمريد هو الشيخ ، فبقلبه وروحه يكنس ويطهر كرشه ، ويحسُّ ويدرك في بعض التوجهات الواقعة إلى بعض المسترشدين في تطهير النجاسات الباطنية منهم أنه يحصل التلوث لصاحب التوجه

(١) الطور : الحال والهيئة ، والجمع طوار « مصباح » .

أيضاً ويتكدَّر إلى مدة . فالشيخ يوصل الطالب بتوسُّله إلى ربه عزَّ وجل الذي هو فوق جميع السعادات الدنيوية والأخروية ، والشيخ بتوسُّله تتزكى النفس الأمارة الخبيثة ذاتاً ، وتطهر وتخرج من الأماريّة إلى الاطمئنان ، ومن الكفر الجبليّ إلى الإسلام الحقيقي « كربكويم شرح اين بيحر شوه » .

فليعلم أن سعادته في قبول شيخه ، وشقاوته في ردِّه . نعوذ بالله سبحانه من ذلك . ورضاء الحق سبحانه خلف سترة رضاء شيخه ، حتى أن المريد لا يصل إلى مرضيات الحق سبحانه ما لم يجعل نفسه محواً في مراضي شيخه . **وآفة المريد في سخط شيخه ، وكل زلَّة يمكن تداركها! إلا سخط الشيخ فإنه لا يمكن تداركه وسخط الشيخ أصل شقاوة المريد** عياذاً بالله سبحانه من ذلك والخلل في المعتقدات الإسلامية ، والفتور في إتيان الأحكام الشرعية من نتائجه وثمراته ، فكيف الأحوال والمواجيد الباطنة ؟ وإن بقي أثر الأحوال مع وجود سخط الشيخ فليعدّ ذلك من الاستدراجات يؤول آخره إلى الخراب ، ولا ينتج شيئاً سوى الضرر . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى .

وقال سيدي الوالد رضي الله عنه : كان المشائخ الكبار قدس الله أسرارهم إذا رأوا من الطالب سوء الأدب ومزلَّة القدم ينبِّهونه و يعزرونه ، ولا يلتفتون إليه حتى يتوب توبة نصوحاً ويتضرع تضرعاً كثيراً ، وإن هذا العبد من غلبة الحياء لا يقول بحسب الظاهر شيئاً ، ولكن يعرض الباطن عنه حتى يتنبَّه من تغيُّر باطنه وأحواله ، ويهتدي إلى صراط مستقيم . وإن عاد وأصرَّ عليه أعرض عنه ظاهراً وباطناً ، وما أتوجه إليه ما لم يتب ، وإن تمرّد واستكبر أسلب نسبته وأطرده . معاذ الله تعالى عنه .

وقال رضي الله عنه : **ينبغي في تربية الباطن صفتي الجلال والجمال** ، فالجمال الصرف نقصان كالجلال الصرف . فالشيخ الذي يكون متصفاً بهما على وجه الاعتدال ينفع منه المريدون نفعاً عظيماً ، ويسلكون سلوكاً سريعاً .

وقال ﷺ : **الإشراف على قلوب المريدين من لوازم مقام المشيخة .**

كان حضرة المظهر الشهيد وحضرة شيخنا رضي الله تعالى عنهما ينبِّهون المريدين على خطراتهم ، ولا يرضون أن يخطر في مجلسهم الشريف خطرة غير الحق سبحانه أصلاً . وهذا الفقير يسامح عن ذلك أيضاً ، ويمنع بالهمة التامة والتوجه القوي ورود الخطرة على قلب المريد ، وينبّه أحياناً عند تراكم الخطرات على الطالبين بضرب السبحة أو المروحة على الأرض وأمثال ذلك . انتهى عبارته .

يا ولدي ! قد مرَّ مراراً ما في اقتداء الشيخ من المنافع ، وفي مخالفة أمره من المضارِّ والمكاره .

فاعلم أن الشيخ الكامل لا يأمر قط بشيء إلا لعلمه بأن ذلك الشيء أصلح وأنفع ، ولا ينهى عن شيء إلا لعلمه بأنّ فيه الخطر والضرر ، فتدبَّر فيما حكي أن بعض تلامذة الشيخ النصر استأذن منه ليتزوج فأصرَّ[1] زيادة ، فمنع الشيخ ، ثم تزوج بلا إذن ، فحصل أربع بنات جلسن كلهنَّ في الدكان للعمل السوء ، فحمل ذلك على فراسة الشيخ وكرامته . انتهى . كذا في « الخادمي على النصائح الولدية » للغزالي في ١٠٣ .

يا ولدي! اترك الإنكار ظاهراً وباطناً ، فإن الإنكار يسدُّ باب الفيض ، فلو تكلَّف في الاستفاضة مع وجود الإنكار لا يستضيء المريد من أنوار الشيخ أصلاً . ومن قال لأستاذه : لِمَ لا ؟ لا يفلح أبداً . وما وصل من وصل إلا بالأدب ، وما سقط من سقط إلا بترك الأدب . وقد كان الشيخ نظام الدين يقرأ « المشارق » على شيخه ، لكن لغاية سقامة نسخته كان يتكلّف الشيخ ويتعب نفسه ، فقال نظام الدين يوماً لشيخه : نسختك غلط جداً ! إن تأمرني أطلب من فلان ونسخته صحيحة . فكان ذلك صعباً

---

(١) أي : دام على الإستئذان وزاد ، فافهم .

على الشيخ فغضب عليه ، قال نظام الدين : زال بهذا حالي ، وسقطت عن مقامي ، حتى خفت من الإيمان الشرعي ، فاستشفعت من زوجته ، فرجعت إلى حالي ومقامي بعده . كذا في الخادمي في ١٠٢ .

في ضرر ترك أدب الشيخ

وفي « الحدائق الوردية » ما ملخصه : زار الشيخ أبو تراب النخشي إلى أبي يزيد قدس سره فقدم له الخادم طعاماً . فقال له أبو تراب : اجلس وكل معي . فقال : إني صائم . فقال : كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى . فقال : كُل ولك صيام سنتين . فأبى . فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله . فانقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله ، حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه . انتهى راجعه في ١٣٦ .

وقال بعض الأكابر رضي الله عنه الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي بهم . انتهى من « تقريب الأصول » في ٦٤ .

ورأيت في « الرشحات » ما ملخصه هذا : كان للخواجه بهاء الدين قدس سره مريد يقال له مولانا سيف الدين ، ولكن صدر منه في الآخر ترك أدب موجب لكراهة خاطر حضرة الخواجه وكدورة قلبه الشريف ، فصار بواسطته محروماً من شرف صحبته ، وصار مهجوراً ومقهوراً .

وصورة الواقعة أن حضرة الخواجه كان يوماً يمشي في بعض أزقَّة بخارى ، وكان مولانا سيف الدين في الإخانة في ملازمته ، فلقيه الشيخ محمد الحلاَّج وكان شيخاً معتبراً في زمان حضرة الخواجه بهاء الدين ، وله مريدون لا يحصون ، وكان من منكري حضرة الخواجه فلما دنا منه توجه حضرة الخواجه إلى جانبه بموجب كرمه الذاتي ومروَّته وشايَعَهُ خطوات ، فلم يناسب هذا القدر من التشييع لمولانا سيف الدين ، ولم يكتف به بل شايعه خطوات أخرى من قبل نفسه ، فحصلت لحضرة

الخواجه غيرة عظيمة من فعله ذلك ، وتأثَّر غاية التأثُّر ، وتغيَّر نهاية التغيُّر ، ولما رجع مولانا سيف الدين إليه قال له حضرة الخواجه عتاباً : شايعت الحلاج وجعلت نفسك بسبب ترك الأدب هباء ، وأخربت بخارا بل جميع العالم . فمات مولانا سيف الدين بعد أيام قلائل من تغيير حضرة الخواجه وقهره وغضبه ، وجاءت قبيلة توقمق من طائفة أوزبك ، وحاصرت البخارا وقتلت أناساً كثيرة ، وأفسدت كثيراً من تلك الناحية بالنهب والتخريب . انتهى عبارته .

وفي « الرشحات » أيضاً ما ملخصه هذا : كان من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره رجل يقال له أيضاً بمولانا شمس الدين الخوارزمي ، وكان في مبادي أحواله من محبي حضرة الخواجه ومخلصيه ، ولكن صدرت منه أخيراً صورة منافية للأدب مستلزمة لعدم الالتفات ، فكان مهجوراً ومحروماً من شرف صحبة حضرة الخواجه ، وصار بعيداً من توجُّه قلبه .

ونقل بعض الأكابر عن حضرة شيخنا سبب حرمانه ومردوديته أنه كان يشتغل أحياناً بالتجارة ، ولم يكن خالياً عن البخل والإمساك ، فدعى يوماً حضرة الخواجه مع جماعة من أصحابه إلى منزله للضيافة ، وكان دأب حضرة الخواجه وأصحابه إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه بعد الطعام ، فإن لم يحضر بعد الطعام شيء من ذلك كانوا يقولون لهذا الطعام ناقصاً ، وإنه طعام بلا ذنب ، فلم يتَّفق في هذا اليوم لمولانا سيف الدين إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه يعني مع علمه عادة حضرة الخواجه وأصحابه فقال له حضرة الخواجه على وجه الملاطفة والمطايبة : يا مولانا سيف الدين ! إن طعامك هذا ليس له ذنب . فوقعت في قلبه كراهة من هذا الكلام ، فأشرف حضرة الخواجه على خاطره فقال له : كيف أنت إن حصل لك اثنا عشر ألف دينار من النقود ؟ وكان في خاطره دائماً أنه

نِعْمَ المعيشة إن حصل لي اثنا عشر ألف دينار فأعرض حضرة الخواجه بعد ذلك بخاطره الشريف ، فلم يبق له ميل وإقبال الى صحبته الشريفة ، ولم ينجذب إلى مجلسه ، فآل الأمر إلى أن تكون أحوال باطنه الحرص التام على جمع الحطام ، والإقبال على الدنيا الدنية متاع اللئام ، حتى لم يبق له استراحة لأجل طلب الدنيا ولا منام ، وترك صحبة الخواجه وملازمته ، وتوجه بالكلية إلى التجارة . انتهى فراجعه ففيه الزيادة .

وفيه أيضاً **ما ملخصه** هذا : كان أيضاً من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين رجل يقال له شمس الدين ، كان شابّاً طالب علم ، وكان في خدمة حضرة الخواجه وملازمته ، ولكن وقع منه مرة قصور في الخدمة وإهمال بسبب الكسالة فسقط بشآمته عن نظر حضرة الخواجه فلم يفلح بعد ذلك ولم يصلح أبداً .

وصورة الحال : أنه قدم يوماً لحضرة الخواجه ضيوف يجب إكرامهم ، ونزلوا منزله فاحتيج إلى الماء ، فأمر حضرة الخواجه مولانا شمس الدين أن يسدَّ طريق النهر من طرف آخر ، وأن يفتح من هذا الطرف ليجري الماء إلى منزله ، وأمره بالاستعجال ، فأهمل مولانا شمس الدين في ذلك وتأخَّر ، ثم جاء بعد مدة عنده وقال : لم أقدر أن أسدَّه بسبب الضعف الذي فيّ . فحصلت كراهة عظيمة لحضرة الخواجه من إهماله وتقصيره ، وقال : لو قطعت أوداجك وأجريت دمك من هذا النهر لكان خيراً لك من هذا الكلام . فعرض له بعد ذلك مرض دماغي ، فترك خدمة الخواجه وذهب إلى « فركت » عند خاله مولانا سيف الدين وعرض عليه حاله ، فقال له مولانا سيف الدين : اذهب عند حضرة الخواجه علاء الدين العطار والتمس منه الشفاعة لك عند حضرة الخواجه فلعله يرحمك ، ويسأل العفو لك من حضرة الخواجه فعساه يقبل معذرتك ببركة شفاعته ، فلم يعمل هو بما أمره به خاله ، بل جاء عند الخواجه

محمد پارسا ، وعرض عليه حاله . فقال : إن هذا الأمر لا يفتح من عندنا فعليك أن تذهب عند الخواجه علاء الدين العطار . فلم يعمل هو أيضاً بكلام الخواجه محمد پارسا ، بل رجع ثانياً إلى بخارا وجاء عند الخواجه محمد پارسا ، فأحاله أيضاً إلى الخواجه بهاء الدين ، فلم يعمل بإشارته ، بل رجع إلى « فركت » ولم يذهب بعد إلى خاله ، فكان بعد ذلك مبهوتاً ومدهوشاً ، وعرض له النسيان ، وصار بحيث لم يبق في خاطره شيء من معلوماته ، وبلغ إلى حدٍّ كان لا يعرف أسامي أولاده وكان لمولانا شمس الدين هذا مودة تامة مع الخواجه عماد الملك من أقرباء حضرة شيخنا وسيجيء ذكره[1] وصار لا يعرف اسمه ، بل كان يقول له : آتا .

قال حضرة شيخنا بعد نقل هذه الحكايات : **إن حفظ خواطر الأولياء وامتثال أوامرهم والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين ، وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهم المهمات وألزم اللوازم** .

قال مولانا عبد العزيز البخاري عليه الرحمة وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره : **ينبغي لطالب صحبة حضرة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب :**

الأول : أنه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي له أن لا يرفع رأس الأنانية ، وأن لا يرى عمله ، بل ينبغي له أن يتصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرة ، وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل ، وترك الأمل .

الثاني : أنه إذا صدر منه عمل موجب للرد عنهم ينبغي أن لا يكون مأيوساً ، وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرُّفه حفظاً بليغاً لئلا يتردد ، ولا

(١) أي : في « الرشحات » ، فافهم .

يذهب إلى طرف آخر .

والثالث : أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه ، وأن يقوم به بكمال النشاط والفرح ، ليبلغ مقصوده ، وإلا ! فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى عبارته ٦٧ من ترجمة بهاء الدين قدس سره .

أقول ولله الحمد : سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول ما حاصله : إني أتعجب كيف كان المتقدمون يطردون المريدين هكذا ! ولعلهم كان المريدون في وقتهم وزمنهم يلازمون الآداب جدّاً ، فلذا كانوا يرون الأقل من سوء الأدب كثيراً . وكان يقول لي : إني أحمل من المريدين أخلاقهم وسوء أدبهم ولا أطردهم ، فاحمل يا أخي كما أحمل ولا تطردهم كما لا أطرد . انتهى .

وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس سره يقول : **كان في الزمان الماضي يمتثل المريدون أوامر شيوخهم ويتبعونهم ، وأما في هذا الزمان ! ينبغي للأشياخ أن يتبعوا مريديهم ، وأن يستعملوا المداراة معهم** يعني ليجروهم إلى الإصلاح تدريجاً . انتهى .

وحين ذكرت ما قاله لدى الشيخ المحترم سيف الله . قال : صدق يا ولدي صدق يا ولدي في قوله هذا . وكان رحمه الله تعالى يأمرني بالمداراة والملاطفة مع المريدين ، لكنه كان ينهى عن كثرة المباسطة معهم ، **لأن كثرة الانبساط توقع حرمة الشيخ من قلوبهم ،** فيحرمون من بركته ومدده ، **ولا بدَّ للمريد من احترام شيخه ،** وإن بلغ ما بلغ من المراتب وانتهى سيره ، ووصل إلى الحضرة الإلهية ، وانفصم عنه شيخه ، وحصل له الفطام عن رضاع ثدي فيوضاته ، لأن فلاح المريد وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه شيخه ، وعدم مقاطعته واستهانته ، مع أنه قد زال تقيُّده بالشيخ ، وصار مستقلاً بنفسه ، وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه

إذا تأهَّل لذلك تأهُّلاً كاملاً لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال والعياذ بالله تعالى . هذا ملخص ما في « رماح حزب الرحيم » فراجعه في صحيفة ١٤٤ من الجزء الثاني ففيه البسط .

ومما أوصي به الولد الأعز : أن يشتغل بخدمة أصحابه ورفقائه ، وأن يشفق على الخواص والعوام ، وأن لا يفرق بينهم ، فإن الله تعالى قد أخفى خاصية ولايته في خلقه . فعسى أن يلقاه من فيه تلك الخاصية ، فينبغي له أن يرى كل أحدٍ أنه ولي الله ، وأن يخدمه ويحترمه .

قال واحد من كبار المشائخ : ينبغي أن يبذل الهمَّة وأن يصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت ، فوقت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم ، فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدَّمة على الذكر والمراقبة . وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة ! وليس كذلك ! فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب ، وما قيل : جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها . مُبيِّن لهذا . ولا مساواة بين النوافل وبين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً ! قال : إن سبب عدم قبول حضرة خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سرهم خدمة الناس بسهولة لكون الخدمة والتواضع من جملة الإحسان ، وحبُّ المحسن ضروري ، والعلاقة إنما هي على قدر المحبة . ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمَّة وقطع العلاقة عنهم يجتهدون بالضرورة ، ويهتمون في ذلك بقدر الوسع والطاقة ، ويمتنعون عن قبول الخدمة ، وإنما يقبلونها من شخص يتفرَّسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم وطورهم يوماً فيوماً لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم والتفات قلوبهم ، فيكون العالم منوَّراً ومعموراً من جمعية باطنه .

وقال أيضاً : ما أخذت هذه الطريقة عن كتب الصوفية ! وإنما أخذتها عن خدمة رجال ، لا أني أخذتها عنهم بالتعلُّم ! بل للخدمة تلك

الخاصية . كذا في « الرّشحات » فراجعه في ١٧٥ .

وفي « المناقب الأحمدية » : إن خدمة المشائخ للمريدين أفضل من نوافل العبادات . انتهى عبارته ٨ .

وكان الإمام محمد النقشبندي قدس سره إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه ، واعتنى به كلّ الاعتناء ، وخدم دابته أحسن خدمة ، وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها . كذا في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٧٥ .

أيها الولد ! اعلم أن الإمام الرباني قال : وطريق النجاة والخلاص هي متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والسلام في الاعتقاد والعمل ، والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة ، وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما ، لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ويأكلوا ما شاؤا[1] ، ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار ويمنع عنهم العذاب ! فإن هذا المعنى تمنّي محض ؛ لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله تعالى . ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد . وإنما يكون مرتضى إذا كان عاملاً بمقتضى الشريعة ! فحينئذ إذا صدرت عنه ذلَّة بمقتضى البشرية فتداركها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل : بأي اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى ؟ !

أجيب : أن الحق تعالى إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه ، فهو مرتضى في حقيقة ، وإن كان مذنباً في الظاهر ! والله سبحانه الموفق . ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ والسلام انتهى . من « الدرر المكنونات » عبارته .

أيها الولد! - نفع الله تعالى بك العباد آمين - أوصيك **أن لا تغترَّ**

---

(١) وقد قال بعض العارفين : من لعب بالطريق لعبت به الطرق (منه) .

بمجرد اسم المريدية ، واعلم أن الوصول إلى المقامات لا يكون إلا بارتكاب[1] المجاهدات ، ومجرد الانتساب إلى المشائخ مع عدم الاجتهاد قليل الجدوى ، فجاهد لتصل ، ولا تعطّل لئلا تُحْرَمَ ، وتَفَكر فيما ذاقه الإمام النقشبند قدس سره في ابتداء أمره ، فقد ذكر صاحب « الحدائق الوردية » أنه قال قدس سره : خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي ، أذهب كل مذهب ، ولطالما تجرّحت قدماي من الشوك ، حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدس سره وذلك في فصل الشتاء وشدّة البرد ، وليس على ظهري إلا فروة عتيقة ، فلما وصلت إلى منزله وجدته جالساً مع أصحابه ، فحيث ما أبصرني سأل عنّي ، فعرّفوه بي . فقال : أخرجوه من هذا المنزل . فلما خرجت أوشك أن تنفر نفسي وتطغى ، وتجذب مني عنان الانقياد والتسليم ، ولكن تداركتنى عناية الله ورحمته فقلت : إني لأتحمل مذلة في ابتغاء مرضات الله تعالى ، وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه ، ثم وضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة العزِّ وقلت لنفسي : إني لا أرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل[2] ، ذلك والثلج ينزل شيئاً فشيئاً عليّ ! والهواء شديد البرد . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر ، فخرج السيد قدس سره فوقع قدمه الشريف على رأسي ، فلما أحسَّ بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشَّرني فقال لي : يا ولدي ! إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة ما في قدمي من الشوك ، ويمسح ما أصابها من الجراحة ، ويـمدُّني بفيوضاته الوافرة ، وألطافه الباهرة .

وقال قدس سره : كنت في بخارى والسيد كلال في نسف فوجدت في نفسي داعية لزيارته ، فبادرت لذلك في الحال ، فلما وصلت إلى

---

(١) وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ شاهد عادل على ذلك (منه) .
(٢) كذا في النسخة التي بيدنا ولعله ما حصل ، تدبر (منه) .

مقامه وسلَّمت عليه قال لي : **يا ولدي !** لقد جئت في وقت الحاجة ! فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا . فشكرته على هذه الإشارة ، وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري ، وفيه من الشوك ما فيه ، وأنا أنشد ما نشد[1] ؛ بيتاً بالفارسية معرَّبه :

جمال كعبة مقصودي ينشطني   فالشوك كالخزِّ عندي حين أحمله

انتهى من « الحدائق الوردية » ١٢٧ .

وقال العالم إمام غزالي الهنوخي رحمه الله تعالى : إنه سمع الشيخ ، خالد سيف الله قدس سره يقول : إن شخصاً ذهب لدى واحد من المشائخ ، فطلب منه الإذن ليدخل عليه فلم يأذن له وقال : هل يدخل عليَّ راعي المواشي ؟ فرجع الرجل وقام راعياَ للمواشي سبع سنين يعني كان كذلك متبرِّكاً بما صدر من فم الشيخ . ثم رجع لديه فطلب منه الإذن للدخول عليه فلم يأذن . وقال : أيدخل عليَّ طبيب المواشي ؟ فرجع وذهب لدى المواشي فقام بينها طبيبا يداوي مرضاها سبع سنين ، ثم رجع لدى الشيخ وطلب الإذن للدخول ، فلم ياذن له الشيخ قائلا : هل يدخل عليَّ الكلب ؟ فرجع وقام بين الكلاب في أطراف القرية سبع سنين ، ثم رجع لديه وقال لمن على الباب : قل للشيخ إن كلبه قد رجع إليه في هذه المرة ، فهل له إذن للدخول ؟ فأذن له الشيخ ، فلاحظه وتوجَّه إليه ولاطفه وقبله . انتهى .

وكتب الشيخ المذكور سيف الله قدس سره إلى واحد ما نصه : إن النظر إلى كتب السلوك جند من جنود الله ، واستفادة آداب السادات قسم من سعادة عباد الله ، ولا بدَّ للسالك الصادق من رعاية الآداب وصونها . اللهم أيِّدنا عليها آمين .

وإن مكث الصادق على الرياضة عمر الدنيا ليس بكثير لمن يرجو

---

(١) وفي نسخة : أنشد .

لقاء الله **وعمل صالحاً** ، **وإن الذهاب خلف المرشد الناصح من المشرق إلى المغرب ليس بكثير** أيضاً ، ولا أعزَّ لبصير لما يحصل له من الفقراء لله من الحضور الذي لا يساويه الدنيا والآخرة .

ولقد صبر سيدنا ومولانا خالد سليماني قدس سره في البراري والقفاري أزيد من عشرين سنة يتطلع على شيخه وهو يطرده بالشماتة والسبِّ حتى في آخر الأمر بالضرب بأن أخرجه من عنده ؛ ومع ذلك لم يكد يختلَّ قلبه ، بل صبر صبر أولي العزم ، فنال بذلك المرتبة الأسمى ، والقطبانية العظمى . انتهى من خطه قدس سره .

وقد وقف إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه مع جلالة قدره ورفعة سلطنته بعد التوبة والرجوع إلى الله تعالى حمَّالاً للحطب ، وخادماً على باب دار الشيخ في سبع عشرة سنة ، حتى كانت على ظهره جروح يسيل منها القيح والصديد بكثرة حمل الحطب عليه ، وذلك رجاء أن يأذن له الشيخ للدخول عليه وقبوله إياه ، ومع ذلك طرده الشيخ عن بابه ، وعزله عن تلك الخدمة ، وذهب إلى سبيله نادما ، لكن لم يطق أن يصبر عنه ورجع إليه ، ووقف أصحاب الشيخ على الطرق بأمر منه ليطردوه ويمنعوه عن دخوله قرية الشيخ ، ولم يطيقوا أن يمنعوه وإن ضربوه وشتموه ، ثم أخبر الأصحاب حاله لدى الشيخ ، فحين علم الشيخ صدق إرادته أذن له وقبله . وتوجَّه إليه فوصل ابن أدهم قدس سره إلى الدرجة العليا ، حتى صار أمره أنه قال لواحد يقع من القنطرة المرتفعة إلى النهر : قف . فوقف في الهواء . والقصة بتمامها وطولها مذكورة في « مزكي النفوس » فراجعه .

أيها الولد ! لا تظننَّ أن الوصول إلى المقامات العاليات سهل يسير ، ولا يخفى أن الوصول إلى المراتب وإن لم يكن إلا بفضل الله وتوفيقه في الحقيقة لكن التوفيق مع السعي . وآية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ شاهد عدل على ما ذكر .

أيها الولد! أوصيك بقراءة هذا الدعاء المبارك على قدر الطاقة في الصباح والمساء، وهو هذا: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ بالْجَرِيرَةِ[1] وَلَمْ يَهْتِكِ السَّتْرَ، وَيَا عَظِيمَ الْعَفْو، وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، وَيَا وَاسعَ الْمغْفِرَةِ، وَيَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بالرَّحْمَةِ، وَيَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى، وَيَا مُنْتَهَى كلِّ شَكْوَى، وَيَا كَرِيمَ الصَّفح، وَيَا عَظِيمَ الْمَنِّ، وَيَا مُقِيلَ العَثراتِ، وَيَا مُبتدئاً بالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبِّي وَيَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلاَيَ، وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِي أَسْأَلكَ أَنْ لاَ تُشَوِّهَ[2] خِلْقَتِي بِبَلاَءِ الدُّنْيَا، وَلاَ بعَذَاب النَّارِ. ففي «جواهر المعاني» قال الراوي: جاء به جبريل عليه السلام إلىَ النبي ﷺ وقال له: أتيتك بهدية. قال: وما تلك الهدية؟ قال: فذكر هذا الدعاء. فقال ﷺ: ما ثواب هذا الدعاء؟ قال له: لو اجتمعت ملائكة السموات السبع على أن يصفوا ما وصفوا إلى يوم القيامة وكل واحد يصفه بما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه!

ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول: أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السموات السبع، وفي الجنة والنار والعرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار، وعدد الحصى والرمل. ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق.

ومن جملتها أيضاً: أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيّاً كلهم بلغوا الرسالة، إلى غير ذلك. وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. صححه الحاكم ورواته كلهم مدنيون. انتهى من «رماح حزب الرحيم» فراجعه في ١٠٠ ج٢.

---

(١) أي ذنب.
(٢) أن لا تشوّه أي لا تحقّره.

وأوصيك أيضاً أن تلازم الباقيات الصالحات لأنهن من المكفرات للعثرات . فقد نقل صاحب « الرماح » راجعه في ١٠٠ ج٢ عن أحمد التجاني ﵁ بأنه قال في رسالته :

ومن مكفرات الذنوب : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ملء ما علم[١] ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم) ، فإن المرة الواحدة منها تكفِّر الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى .

قال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبَّائه من تجار فارس : واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم ، وعدد ما علم وزنة ما علم) فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله تعالى . انتهى عبارته ٧ ، وقد مر نظيره قبيل الترغيب الخامس ، فتذكره .

وأوصاني شيخنا السيد سيف الله قدس سره بقلمه بالمداومة على هذا التسبيح سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . انتهى فجزاه تعالى عني خير الجزاء .

وقد رأيت في صكِّ الإجازة المكتوبة له من طرف شيخه زين

---

(١) **فائدة عظيمة**

قد ذكر ابن حجر في « فتاواه الكبرى » في ١٤٨ من الجزء الأول بما نصه : وسئل نفع الله به عن شخص سبح بنحو سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلخ . هل المرة منه أفضل ممن يسبح بسبحان الله وبحمده ويعدد من ذلك ألف مرة مثلاً . فأجاب بقوله : نعم ، هو أفضل من ألوف مؤلفة كما دل عليه الحديث الصحيح : « أنه ﷺ دخل على بعض أمهات المؤمنين وعندها حصوات كثيرة سبحت بها فقال : لقد قلت كلمة عدلت جميع ما قلت سبحان الله وبحمده عدد خلقه » الحديث .

الله قدس سره سطرات تصرِّح أنه أوصاه بمداومته على هذا التسبيح المذكور ، فاقتداء بهما أوصى الولد بملازمته عليه فإن له فضلاً ذكره المحدثون في كتبهم .

فقد قال الشعراني في « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « من قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة ، ومن قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله يوم القيامة . فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ قال : إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله عزَّ وجل فتكاد أن تستنفذ إلا أن يتطاول الله برحمته » . انتهى عبارته .

وفيه : وكان ﷺ يقول : من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ، وهي أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه الرجل في سبيل الله . ومن قالها حطَّ الله عنه ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة ؟ فقال : كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح الله مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، ويحطُّ عنه ألف خطيئة » .

وكان ﷺ يقول : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس » انتهى عبارته .

فإن قلت يا ولدي ! هل يكون المرة من التسبيح وغيره إذا قالها الرجل بذكر نحو (ألف مرة) أو (عدد خلقه) أفضل من غيره أم لا ؟

أقول - والله الموفق - : قال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : وسُئِلَ - نفع الله به - عن شخص سبَّح (سبحان الله وبحمده عدد خلقه) هل مرة منه أفضل من أن يسبِّح الله ويحمده ويعدِّد من ذلك ألف مرة ؟ **فأجاب** بقوله : نعم هو أفضل من ألوف مؤلفة كما دلَّ عليه

الحديث الصحيح : « أنه ﷺ دخل على بعض أمهات المؤمنين وعندها حصوات كثيرة سبَّحت بها فقال : لقد قلتُ كلمة عَدِلت جميع ما قلت : سبحان الله وبحمده عدد خلقه » الحديث .

ولما سُئِلَ عبد السلام نحو ما في السؤال قال : قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها وشمولها لجميع الأوصاف الثبوتية والسلبية والذاتية والفعلية ، فيكون القليل من هذا النوع أفضل من الكثير . كما جاء في قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » . ولهذا سأل عليه الصلاة والسلام بـ : يا ذا الجلال والإكرام ، لأن الألف واللام فيها قد أفادت الاتصاف بكل جلال وكمال ، فأعطت استغراق الجنس في الإكرام والجلال فإذاً لا إكرام إلا منه ، ولا جلال وكمال إلا قد اتصفت به . انتهى .

وفيه رواية أنه ﷺ قال لبعض نسائه حين دخل عليها فوجدها تسبح بالحصى : « أدلُّك على ما هو خير من ذلك ، فقولي سبحان الله عدد ما في السموات ، سبحان الله عدد ما في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مثل ذلك » وفيه دليل على أن من قال ذلك يكتب له مثل ذلك العدد الذي ذكره ، وبه تقاس الصلاة عليه ﷺ .

فمن قال : (اللهم صل على سيدنا محمد عدد خلقك) كتب له صلاة بعدد الخلق .

وهذا كله من فضل الله تعالى ومنته ، ومن مزيد كرمه وسابغ منّته . انتهى فراجعه في ١٤٩ .

وفي « دلائل الخيرات » كلام كثير في حق هذا المطلب المهم فإن أردت الزيادة فراجعه في صحيفة ٢٦ .

فأرجو الولد أن يشتغل في طرفي النهار ولو بأقل شيء من هذه المذكورات ، ليفوز شيئاً من فضائلها ، ويصير من عباد الله المغفورين ، المحفوظين من شرِّ الجنِّ والإنس ، ووساوس مَرَدَة الشياطين ونزعات إبليس .

ففي « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « ما من حافظين يرفعان إلى الله عزَّ وجلَ ما حفظا من ليل ونهار فيجد الله في أول الصحيفة وفي آخرها خيراً إلا قال للملائكة : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » .

وكان عروة بن الزبير رضي الله عنه يقول كلما أصبح وأمسى ثلاث مرات : (آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) . فخرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل فسمع ضجة[1] عظيمة ، ثم جيء بسرير ، فجاء شيء فجلس عليه واجتمع عليه جنوده ، ثم صرخ : مَنْ لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد . فسألهم : ما يمنعكم عنه ؟ فقيل : إنه يقول إذا أصبح وإذا أمسى كلمات . فذكرها والله تعالى أعلم . انتهى فراجعه .

وفيه : وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « من قرأ آية الكرسي حين يمسي أجير من الجنِّ حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح أجير من الجِنة حتى يمسي » انتهى .

يا ولدي ! إنّ والدك قد قصد الآن للاستراحة وملّ عن الكتابة ، فاعلم أنه وإن كان غافلاً عن الله ! يريد أن تكون حاضراً بالله ، وإن كان أيضاً مسيئاً يريد أن تكون محسناً . فأرجوك أن لا تذهب عمرك في البطالة ، وأن لا تضيِّع أوقاتك كما ضيَّع أبوك وقد أمضى عمره في حالة

(١) صيحة .

الشباب في البطالة ، وفي حالة الشيوخة والكهولة هو أيضاً متبع بالنفس الأمارة بالسوء ، وكأنه لم يشمَّ رائحة الإيمان إلى مشامِّه ، ولم يتخلص قلبه من التعلق بغير الله ، وعلمه زائد من عمله ، وعمله قليل مشوب بحظوظه . وحديث : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » كأنه ورد في حقه .

لكن رجاءه لا ينقطع عن ربه ، وحسن الظن به يحمله على دعائه وسؤاله ، فيا ربي إنك تعلم ما في نفسي ، ولا يخفى عليك شيء من أموري ، ولا ينقطع منك رجائي ولو بلغت ذنوبي عنان السماء ! ولكن مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، ورحمتك سبقت على غضبك ووسعت كل شيء ؛ فكن لي كما كنت لأحبابك ، وعاملني بما أنت له أهل ، فإن لم أكن أهلاً لرحمتك فأنت لها أهل ؛ فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة . اللهم ما كان مني في تأليف هذا الكتاب من تصنُّع أو تزيُّن أو تغيير كلمة عن موضعها مع إبقاء معناها للاختصار ، أو إيقاع زيادة ، و إطالة في الكلام لتفهيم المراد فاعف عني ، واغفر لي ، إنك على كل شيء قدير . اللهم اجعل كتابي هذا صدقةً جارية إلى يوم الدين ، وسبباً باعثاً لدعاء الإخوان أهل الدين ، ولا تؤاخذني بما صدر مني من خطأ وخلل ، أو تحريف وزلل ، ولا تجعلني مطروداً عن بابك بحرمة مشائخنا قدس الله أسرارهم ، واجمعنا معهم في دار السلام ، وارزق لنا ولأولادنا ولأحبابنا ولمشائخنا ووالدينا خاصة الجنة الفردوس برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحمد لله كما يليق لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ورضي الله عن ساداتنا مشائخ الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية والچستية والكبروية والسهروردية والخلوتية والتجانية ، ورزقنا بركة جميعهم وثبتنا على آدابهم آمين .

تذنيب في كيفية التوجه

قد سألني الولد الأعزُّ _ جعله الله تعالى في دائرة العارفين آمين _ بعد انتهاء الكتاب عن كيفية التوجُّه ، وكيفية وقوف المريد قبالة الشيخ للاستفاضة ، ولأجل ذلك أعقبت ههنا جواب هذه المسألة ، ليكون تذنيباً للكتاب ومتمماً له ، وقد كان ذكرها من أهم الأمور التي لا بد للسالك من معرفتها ، بيد أني غفلت عن ذكرها ، ولم أتذكر إلا بعد السؤال .

فأقول : إن كيفية توجُّه المرشد إلى المريد بنية تلقين الذكر على ما سمعناه من مشائخنا أن يبتدىء بالصلاة على فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام ، ثم يستغفر الله ٢٥ مرة ، ثم يقرأ الفاتحة مرّة ، والإخلاص ثلاث مرات ، ثم يهدي ثوابها إلى روح النبي ﷺ وباقي الأنبياء والمرسلين وأصحابه وأصحابهم وأرواح سادات هذه الطريقة العلية الصديقية وباقي أهالي الطرق ، ثم يقول : يا رب ! من بحر فيض جودك وكرمك وعنايتك ؛ ومن حضرة رسولك الأكرم ﷺ الواصلة إلى قلبي بواسطة قلوب المشائخ الكرام ، من الفيض وأنوار الذكر فألقها في قلب هذا الطالب بفضلك وعنايتك يا الله .

وبملاحظة هذه الكيفية يتوجَّه الشيخ إلى قلب المريد بالاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات مقدار عشر دقائق ، ويأمر المريد بجذب أثر هذا التوجُّه بالهمَّة القوية ، ثم بعد مدة يسيرة يظهر من هذا التوجُّه في قلب الطالب الصادق أثر عظيم ، ومحبة إلهية بعناية الله تعالى .

وكذلك إنّ الشيخ يجعل لطيفة روحه مقابلاً للطيفة روح المريد كما مر ، ويؤمر بالتوجُّه والهمَّة هنا وفي باقي اللطائف على المنوال المذكور ، فإذا تمكَّن في قلب المريد ولطائفه من الذكر الملقن ، وتنورت اللطائف بصيرورة الذكر في لطائفه ملكة ! يلقن الشيخ له بالنفي والإثبات لجمعية النسبة والحضور .

هذا حاصل ما ذكره شيخنا سيف الله قدس سره في « كنزه » .

وأما كيفية ما كان الشيخ العسوي قدس سره يفعله هذا : كان يقول حين التلقين بعد الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص كما مر ، وإهداء ثوابها إلى روح النبي عليه السلام وأصحابه الأربعة وأرواح سائر المشائخ : يارب دُرْ رَخَلْدَصَنْ دُرْ خِريَوْ أَوَرَكَصُلْ رَخَلْدَصَنْك مشائخزَبْزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَيَلْطَلُنْ خَصْكُ محمود أفندِيَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَيَلْطَلُنْ دِرْ رَكَلْدِ شَرَبْ فيض وأنوار الذكر هَوْ طالِبَصُلْ قَلْبُيَلْدِ شِز هَبِ يا محمود الفعال بمحمدٍ ﷺ .

ثم كان يقول[١] للمريد : قل ثلاث مرات (الله الله الله) بالقلب ملاصقاً

---

(١) بعد تلقينه له ، على ما هو المذكور في الكتب (منه) .

* بيان كيفية التوجه : إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد يصلي أولاً على النبي عليه السلام ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات ، والفاتحة مرة ، وبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ولأرواح أصحابه ولأصحاب مشائخ الطريقة الصوفية وسائر مشائخ الطرق العلية ، يقول : يا رب من جانبك الشريف وجانب حبيبك الشريف أوصل الفيض ونور الذكر الذي حصل لي بواسطة المشائخ الكرام ووَصَل إلى قلبي إلى قلب هذا المريد وأعنه . فيرمي بتلك النية إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق فبهذه الأسلوب يتأثر قلب الطالب في توجه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبة الله تعالى . وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر الألطاف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجه كما سبق . ثم إذا أجرى الذكر على القلب أو على سائر اللطائف يلقنه الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجه إليه بالجمعية والحضور ويحصل له الجمعية والحضور . معرّب من « حسبحال السالك » .

ثم إن الشيخ يلقن الذكر على قلب الطالب ويتوجه إليه به قدر ربع ساعة أو ثمن ساعة فحينئذ يحصل له أثر الذكر . وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . معرّب « حسبحال السالك » .

بيان نقل الذكر في اللطائف إذا واظب الشخص على ذكر القلب . فالنسبة الشريفة الحاصلة له يسري إلى الروح فيحصل له قوة ، ومنه ينتقل إلى سرّ وإلى الخفي ، ومنه ينتقل إلى وطنه الأصلي سويدة القلب وتسمية تلك المرتبة بالأخفى هي منقولة من المشائخ . فقد اعترض مشائخ سمرقند على قول مشائخ بخارى بأنّ النسبة=

لسانك بالحنك الأعلى ، وهكذا إلى ثلاث مرات . انتهى .

وأما إن أراد الشيخ إلقاء شيء من الأخلاق المحمودة إلى قلب المريد فكيفيته أن يتوجه إلى قلب المريد بنية إلقاء ذلك الخلق المحمود إلى قلبه ، سائلاً من الله تعالى إيصاله إلى قلبه ، ويقف زماناً بملاحظة هذا الأمر بالهمَّة القوية ، ويقف المريد أمامه بإمالة قلبه إلى قلبه بنفي الخطرات متجرداً عن جميع التعلقات ؛ سائلاً بقلبه إيصال النور الكائن في قلب الشيخ إلى قلبه ؛ متضرعاً متذلِّلاً متخشعاً فحينئذٍ يتصف المريد بصفة ذلك الخلق المحمود إن شاء الله تعالى على وفق استعداده .

وأما إن أراد الشيخ إخراج الخلق المذموم من قلب المريد ! فيتوجه إلى قلبه بالتضرع والإلحاح ؛ سائلاً من الله بإخراجه من قلبه ، ويجمع همته ، وينسى غيره من جميع التعلقات .

وفي « المناقب الأحمدية والمقامات السعيدية » في ١٥٦ : أما طريق التوجُّه إلى طالبي الحق جلّ وعلا فأن يتوجَّه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقائها على الطالب ، ثم يستعمل همَّة تامة لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنتقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأما إذا كان غائباً ! يتصوَّر صورته ، ثم يتوجه إليه ويبلغ أمره إلى النهاية .

=الشريفة ينتقل من الخفي إلى وطنه الأصلي ؛ قائلين : بأن كون القلب تحت الثدي الأيسر حق ، وكونه موضع وقوع نظر الله حق أيضاً ، لكن أيّ سبب لتخصيص انتقال النسبة إليه ثانياً . وأجاب مشائخ بخارى بأن مظهر كمالات غير متناهية ، فالرجوع إليه ثانياً مما بدأ منه أنسب بما هو مقتضى قول : بدأ الأمر وإليه يعود . معرّب « حسبحال السالك » .

* قال تعالى لداود (تريد وأريد وإنما يكون ما أريد ، وإن سلّمتَ لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم أتعبتك في ما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد) . « جواهر القرآن » عبارته .

مطلب

وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمَّة ، ويسألون الله تعالى حلَّه ، فيظهر على حسب مُتَمَنَّاهم .

وأما طريق الكشف من نسبة أهل الله فأن يجلس مقابله إن كان حياً ، وقريباً من قبره إن كان ميتاً ثم يخلِّي نفسه من نسبته ، ويجعل روحه متصلاً بروحه زماناً ، ثم يرجع إلى نفسه ، فكلما وجد في نفسه من الكيفية فهي نسبة ذلك الإنسان .

مهم

وأما طريق الإشراف على خاطر إنسان ! فأن يخلِّي نفسه من كل خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطره ظهر بطريق الانعكاس .

وأما طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة ! فكذلك يخلِّي نفسه من كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وتمادى انتظاره كطلب الماء للعطشان يلحق نفسه بالملائكة الكرام ، فتكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ؛ إما بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو المنام .

وأما طريق دفع البليّة النازلة ! فأن يلاحظ تلك البلية بصورتها المثالية ، ويتوجه لدفعها بالهمَّة القوية ، فتندفع بإذن الله تعالى . انتهى عبارته .

وأما إن قصد الشيخ **إزالة الظلمة من قلب المريد !** يجمع همته ، ويتوجَّه بالحضور التام إلى قلب المريد بنية إزالتها .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول حين يتوجَّه إلى المريد : توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي ، ومن قلبه إلى قلب هذا الطالب ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبه . انتهى .

وأما المريد يقول : توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبي ، ويطلب بهمَّته من الله تعالى إيصال نور الذكر ونور المعرفة من قلب المرشد إلى قلبه ، وإزالة الظلمة منه .

ويقف المريد قبالة الشيخ ؛ ملتصقاً ركبتيه بركبتيه ؛ خاشعاً متذلِّلاً ، كأنه عبد آبق وقف بين يدي سيده ، ولا يحرك شيئاً من أعضائه ، ويطلق نَفَسَه من أنفه ، ولا يجب عليه حبسه ؛ لكن يطلقه يسيراً بحيث لا يسمع الشيخ صوته ، ويكون كالميت بين يدي الغَسَّال ؛ ملاحظاً أنه عبد ذليل حقير مفلس ؛ لا علم له ولا عمل ، ولا مقام له ولا حال ، **ويعتقد أن الشيخ باب الفيوض ، ولا يصل إليه الفيض إلا منه . والفيض كالماء لا يجري إلا إلى الجهة السفلية ، فإن رأى المريد لنفسه عند الشيخ قدراً ما! لا يصل إليه فيضه . وإن اجتهد الشيخ لإلقائه ، واجتهد المريد لجرّه ، كما لا يجري الماء إلى الجهة الأعلى . فافهم .**

قال الشيخ علاء الدين العطار قدس سره : إذا خلا قلب المريد بأمر المرشد عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكَّن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير المتناهية عليه ، فإن القصور لا يكون من الفيوضات ، بل من الطالب ! فمتى ارتفعت عنه الموانع ! لا جرم يصل إليه بهمَّة المرشد حال يتحيَّر في إدراكها من مقولة : ربي زدني فيك تحيُّراً .

كمال الاعتبار للاختيار

ثم إنَّ في جعل العبد مختاراً حكماً كثيرة ، فإنه لما تمكَّنت الموانع

الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره إلى إزالتها . والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة ، مستغرقين في الخوف والخشية . غير أن كمال الاعتبار للاختيار في السعادة والشقاوة ، والترقِّي والتدلِّي[1] . انتهى . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٦ و« الرشحات » فراجعهما .

فالحاصل أن الاعتقاد في الشيخ ومحبته كل منهما هو المغناطيس الجالب للفيض .

وفي « الحدائق الوردية » : ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم ، لا يزيحه كل شيء عما هو فيه ، ولا يتبدل اعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً ، **حتى لو رأى الخضر عليه السلام ! لا يلتفت إليه** . انتهى عبارته ١٣٩ .

وفي « الرشحات » وقال قدس سره يعني علاء الدين العطار : ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائماً ، وأن يعلم يقيناً أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسَّر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه ، وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه ، وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداءً للمرشد . انتهى فراجعه .

ومن العجائب : أن بعضاً من المشائخ كان يتحمل الأمراض بتوجُّهه ؛ وقد تحمل شيخ عن مريض مرضه فعوفي ، ومرض الشيخ وتوفى في ذلك المرض . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٨ .

وكان واحد من المريدين وقع على الفراش ، قد أخذته الحمى بشدة وجع الأسنان ، وقد تورَّم طرف واحدٌ من وجهه ، فتوجَّه إليه شيخه ، فانتقل المرض من أسنان الغلام إلى أسنانه ، وتورَّم وجهه من الجانب

---

(١) وفي نسخة : التدني .

الذي تورَّم منه وجه المريد ، فقام مع وجع الأسنان وحرارة الحمى ووجع الضرس ، وخرج الغلام مع تمام الصحة والعافية لتشييعه إلى باب القصر ، فكان الشيخ مبتلى بوجع الأسنان مدَّة نصف شهر . كذا في « الرشحات » فراجعه في ٩٥ .

وقد رأيت في كتاب ما حاصله : أن المتوجِّه لو توجَّه إلى المريض لتحمُّل مرضه قبل نزول ملك الموت لقبض روح المريض ، ينتقل إليه المرض ويُعافى المريض ، وإن توجَّه إليه حالة نزوله يُعافى المريض ويقبض روح الشيخ المتحمِّل مكانه . لكن لا أتذكَّر الآن عين ذلك الكتاب لتعيين موضعه .

ورأيت في « الرشحات » ما حاصله وملخصه : أنَّ شيخ الإسلام عصام الدين السمرقندي النحوي كان مريضاً حتى أشرف على الموت ؛ فجاء أولاده إلى الشيخ نظام الدين وتضرَّعوا لديه ، والتمسوا منه الحضور عنده ، فذهب نظام الدين لديه ورآه قد حان أجله ، فتوقف في تحمُّل مرضه ، فتجاوز أولاد عصام الدين عن الحدِّ في التضرُّع والابتهال ، وبالغوا في الإبرام والإلحاح وجعله ملجأً ، فأثبت نظام الدين نفسه صارفاً خاطره إليه ، وأخذه في ضمن حياته ، وأدخله في نسبته ، فصحَّ[1] عصام الدين وقام ، ثم وقع على نظام الدين بعد مدة واقعة عظيمة ، حتى شدُوا يده في عنقه ، وكان عصام الدين شيخ الإسلام في سمرقند ، فلم يقدر أن يشفع له عند المرزا بكلمة ، ولم يُمِدَّهُ[2] في تلك الشدَّة والنكبة ، فأخذه

---

(١) أي : صار صحيحاً .

(٢) أي : لم يعنه .

* والمريد إن لم يسلم جسده إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ويبتلى بسوء حاله ، وإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريقة . والمرشد إلى هذه الطريقة هو النبي عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ=

القهر والغيرة من صيانة نفسه وجاهه ، فأخرجه من ضمنه ، **فلما خرج من النسبة سقط في الحال ، ومات بلا إمهال** . انتهى باختصار . والقصة بتمامها مذكورة في « الرشحات » فراجعه في ٩٤ .

وأعجب من ذلك ! ما رأيت في « المناقب الأحمدية » ما حاصله هذا : أن شخصاً قال لبهاء الدين النقشبندي قدس سره : مات عمِّي . فقال قدس سره : لم يمت عمُّك ، فإني لا أريد موته ؛ فأطرق ﵁ رأسه الشريف وقال : إحي فقام عمُّ الشخص ، ثم قال نفعنا الله به : أخذت روحه من يد الملك في السماء الرابعة ، ورددتها إلى جسده . انتهى فراجعه في ٦ .

وفيه أيضاً ما حاصله : أنه قال لخادمه محمد زاهد : مت . فمات ، ثم قال : إحي . فقام . انتهى عبارته في ٦ .

=الشيخ ؟ فالجواب المرشد في الحقيقة هو القرآن وعلم الشريعة والنبي عليه السلام ولطف الله ، لكن المريد في أول الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطب ، وجميع الأدوية ومعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء ، كذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنوية . معرب من « حسبحال السالك » .

* المسألة الرابعة : ما الطريقة إلى تلك السعادة العظمى ؟ وجوابه التصرف في الجذبة الإليهة عبارة عن ظهور ذوق محبة الله تعالى ، ولا سبب أقوى في وصول طريق الجذبة من صحبة الكامل في سلوك طريق الجذبة . (منه) .

التوحيد : خلوصٍ القلب في علمه ، ونظره في عدم غير الله تعالى في حضرة الوجود . (نقل منه ملخصاً) .

* ما أصل الطريقة ، وما مبناه ؟ فجوابه : أنّ أصله التوجه إلى الله تعالى بصدقه وكماله وجلاله والاقتداء بسنة النبي ﷺ بإكماله . (منه) .

معتقد مشائخ النقشبندية هو اعتقاد أهل السنة والجماعة . ما اعتقاد أهل السنة والجماعة وما عزيمة خلاصتهم ؟ وجوابه : دوام العبودية لله تعالى ، وكونه تعالى خالصاً من الصفات الرزيلة . (منه) .

وفيه : قال[1] ﷺ : أعطيت من الحق سبحانه مرتبة عظيمة ؛ **تُقضى بـي الحوائج ، وتُدفع بي البلايا . فالتجئوا إليَّ تقضى حوائجكم بفعل الله سبحانه** . انتهى في ٦ .

قصة عجيبة

وقد وقع للغوث عبد القادر الكيلاني - نفعنا الله تعالى به - مثل ما وقع للنقشبندي .

قال في « تفريج الخاطر » في ١٦ روي عن السيد الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الرفاعي ﷺ أنه قال : توفي أحد خدام الغوث الأعظم ، وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرَّعت والتجأت إليه ، وطلبت حياة زوجها ، فتوجه الغوث إلى المراقبة ، فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فقال : يا ملك الموت ! قف وأعطني روح خادمي فلان وسماه باسمه ، فقال ملك الموت : إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأؤديها إلى باب عظمته ، كيف يمكنني أن أعطيك الروح الذي قبضته بأمر ربي ؟ ! فكرر الغوث عليه إعطاء روح خادمه إليه ، فامتنع من إعطائه ، وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فبقوَّة المحبوبيّة جرَّ الزنبيل وأخذه ، فتفرَّقت الأرواح ، ورجعت إلى أبدانها ، فناجى ملك الموت عليه السلام ربه وقال : يا رب ! أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر ، فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم . فخاطبه الحق جل جلاله : يا ملك الموت ! إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي ! لِمَ لا أعطيته روح خادمه ؟ وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد ! فتندَّم ملك الموت . انتهى عبارته .

---

(١) أي النقشبندي (منه) .

مهم عجيب

ومن غريب ما نقل من أثر التوجُّه ما ذكره صاحب « الحدائق الوردية » من أن أحداً من السادات جاء يوماً لزيارته - يعني العزيزان علي الراميتني قدس سره - ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً ، فجلس معه وهو مهتمّ لذلك ، فما لبث أن جاءه أحد مريديه - وكان أبوه طبّاخاً - بقصعة من ثريد ، فوضعها بين يدي الشيخ ، ثم وقف بالذلِّ والانكسار ، وقال له : إني صنعت هذه على اسمك فأرجوك أن تتقبَّلها . فتهلَّل وجه الشيخ قدس سره سروراً بصدق خدمته وانكساره ، وأكل هو وضيفه منها ، ثم لما انصرف نادى الغلام وقال له : بارك الله لك في رزقك ، وتقبَّل هديتك . اطلب مني ما تحب ، فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى . وكانت همَّة الغلام عالية جدّاً فقال : إن أقصى مرادي أن أكون مثلك صورة وسيرة . فقال الشيخ : هذا أمر صعب لا تطيقه . فقال : لا أريد غيره . فأخذ الشيخ بيده ، وأدخله إلى خلوته وتوجَّه إليه بكُلِّيَّته ، وتفضَّل عليه بعليّ همَّته ، فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة ، لا يقدر أحد أن يميز بينهما . وعاش أربعين يوماً ، وقيل أقل ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى عز وجل . انتهى راجعه في ١٢١ .

ومثله في « الرشحات » لكن مع بعض مخالفة في العبارات . وأمثال هذه التأثيرات والتصرُّفات ! مما أظهره الله تعالى على أيدي من يشاء من عباده ، والله على كل شيء قدير .

ورأيت في « صحيفة الصفا » أن التوجُّه ؛ وهو أن يلاحظ قلبه - يعني المريد - تحت قلب المرشد يسيراً ولطائفه كذلك إن كان أهل لطائف ، وينتظر بواسطته الفيض ، ولو أهل نفي وإثبات ! كذلك . انتهى عبارته .

ورأيت في هامشه : وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام

توجَّه النبي ﷺ في غار جبل حراء ، والنبي ﷺ توجَّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور .

والحاصل : أن التوجُّه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ سحاب الفيوضات ، **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، مَنْ انتظر بالصدق وصل ، ومن انتهى بالغفلة زهل** . انتهى .

مهم

ورأيت في هامش « بهجة السالكين » إن أول توجُّه من جبريل إلى النبي ﷺ **ثلاث** مرات ؛ مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي .

وأما المعنعن : فتوجه النبي ﷺ إلى الصِّدِّيق الأكبر في غار ثور . انتهى فراجعه .

وأما التوجُّه من طرف الشيخ! فهو عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصب ما في صدره إلى صدره أولاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه .

ومثله في « نور الهداية » في ٩٢ وفيه : والتوجُّه أنواع ، والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب المريد بتوجُّهٍ جذبيٍّ يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه . انتهى . فراجعه .

يا ولدي! إني ذكرت هنا ما ينبِّهك على معرفة التوجُّه وكيفيته ، فينبغي لك أن تعلم أن التأثر بالتوجُّه إنما يكون على قدر استعداد الطالب ، ألا ترى أن الخرقة الجافة المستعدة مثلاً لو وضعت على حجر الزناد وضرب عليه الحديد يخرج من الحجر النار ويقع عليها ، فيوقد عليها النار ساعتئذ لكونها مستعدة للإيقاد ! وأما إن كانت الخرقة مبلولة غير مستعدة فلا يوقد عليها النار ! فهكذا القلب بلا فرق .

ورأيت في « كنز المعارف » لشيخنا المرحوم سيف الله قدس سره ما حاصله : أن الطالب الصادق والمريد المتحقق إذا استعدَّ قلبه لكمال النسبة ، وعرض حاله للمرشد بالهمة الكاملة ، فما حصل هنالك من توجُّهه فهو الفيض ! أي يعبّر عن ذلك الأثر الحاصل **بالفيض** ، وما نسبت إلى المريد أي توجُّهه باستعداده ليأخذ من الشيخ أثراً يعبر عنه **بالاستفاضة** ، وما نسبت إلى الشيخ بأن يتوجَّه الشيخ إلى الطالب بقوة همَّته بالنظر إلى قلبه وقالبه وتصرُّفه في قلب طالبه يعبّر عنه **بالإفاضة** . وذلك على مثابة الناظورة البلورية ؛ إذا نظرها إلى شعاع الشمس ثم أطلق ذلك الشعاع بواسطة تلك الناظورة إلى شيء لين له قابلية لتوقد النار ، فيحصل من ذلك الشيء أي يظهر منه النار بمجرد وصول شعاع الشمس ، فإن كان الشيء الذي وقع عليه شعاع الشمس قوياً صلباً كالحجر والشجر فلا يظهر منه النار غالباً ولا يفيد شيئاً ، لكن بقوة شعاع الشمس قد يعرض له الحرارة الشديدة .

كذلك إنَّ **الشيخ كالناظورة!** إذا نظر إلى قلب المريد الذي له الاستعداد الكامل والقابلية يظهر في قلبه من نظر الشيخ نار المحبة الإلهية التي هي سبب الوصول ، ويسمى له **بالفيض** ، وإن كان قلب الطالب صلباً أو أقسى وليس له استعداد ولا قابلية ! فلا يحصل له من النظر نتيجة ما ، ولا نار الفيض ، إلا إذا اجتهد بالكلية وجاهد ! فيمكن منه أن ينتفع بالشيخ ، كالحرارة الحاصلة من الحجر والشجر بطول وقوع شعاع الشمس بواسطة الناظورة المشهورة « بالپرتوز » ، فإذا كان الحال كذلك ! لازم على كل طالب سالك أن يجتهد في إيجاد مرشد كامل لإحياء رسوم قلبه الميتة ليقوم أمامه بجميع قوة استعداده كيف **وإن نظر المرشد إلى المريد نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، ونظر رسول الله ﷺ نظر الله بعينه ؟!** فإذا نظر الله إلى قلب عبده بالرحمة فلا بدَّ من حصول نتيجة مطلوبة في قلب

العبد . فتفكَّر أيها الأخ السعيد أن النعامة إذا أرادت إنبات أفراخها في البيضة ينظر بهمَّتها إلى بيضتها بقيامها من بعيد على ساقيها فتتولَّد فيها الأفراخ بقدرة الله بمجرد ذلك النظر ! كذلك إن الله تعالى لما نظر إلى قلب عبده بواسطة الشيخ فيتولَّد في قلب العبد نتيجة المطلوب التي هي نار المحبة والاستقامة ! وذلك من الله فضل عظيم . انتهى .

فالحاصل أن التوجُّه من الشيخ الكامل لو وقع إلى قلب طالب له استعداد كامل يعمل عمل مائة من الأربعينيات أي الوقوف في الرياضة والمجاهدة في تلك الأيام العديدات . كما قال مثله الإمام الرباني في بعض مكاتيبه .

مهم

وقد كان في الزمان الماضي يكفي للمريد التوجُّه الواحد ، أو الكلام الواحد ، وكان الشيخ يضع فمه في أذن المريد ويتكلَّم فينعكس إليه أحواله الباطنة ، وكذا كان يتوجَّه إليه مرة واحدة فيصير المريد بذلك كشيخه في الأخلاق .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إنه أوصل القطب خالد شاه كذا وكذا مريداً إلى مرتبة الإرشاد بتوجُّه واحد** ، لكون المريدين في زمنه مستعدين لقبول أثر توجُّهه ، فانظر الآن إلى قلَّة المرشدين ، وعدم حصول الاستعداد للمريدين ، مع هذه الأذكار الكثيرة ، وملازمة الرابطة الشريفة ! انتهى .

لم يبق إلا التربية بالهمة

وقد انقطعت هذه التربية المذكورة في زماننا هذا بالكلية ، وبقيت التربية باستعمال الأذكار ، وكثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

وقد أجاب عبد العزيز الدباغ قدس سره إذ سئل عن معنى قول الشيخ زروق قدس سره : انقطع التربية بالاصطلاح ، ولم يبق إلا التربية بالهمَّة . . إلخ بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات ، وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر ، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها ، وقطع علائق الباطل عن وجهتها ، ثم قطع الباطل عنها .

تارة يكون بصفائها في أصل خِلْقَتِها بأن يطهرها الله بلا واسطة ! وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون ، فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه ، إذا ناموا ناموا عليه ! وإذا استيقظوا استيقظوا عليه ! وإذا تحركوا تحركوا فيه ! حتى أن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله وبرسوله ؛ باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما فلهذا كثر فيهم الخير ، وسطع في ذواتهم نور الحق ، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيَّف ولا يطاق ، فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها ، وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرِّه ووارث نوره ، فيكلمه في أذنه ، فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك ! لطهارة الذوات ، وصفاء العقول ، وتشوُّفها إلى نهج الرشاد .

وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه ؛ أعني قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة ، حيث فسدت النيات ، وكسدت الطويات ، وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات ، واستيفاء اللذات ، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه وينظر إليه ، فيجد عقله متعلِّقاً بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك ، فتلهو مع اللاهين ، وتسهو مع الساهين ، وتميل مع المبطلين ، وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة ، من حيث أن العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق ! فإذا وجده على

هذه الحالة أمره بالخلوة ، وبالذكر ، وبتقليل الأكل ، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه ، وبتقليل الأكل يقلُّ البخار الذي في الدم ، فتقلُّ الشهوة ، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ﷺ ، فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته فهذا غرض الشيوخ من التربية . . إلخ ، كما هو مذكور في « الإبريز » فراجعه في الباب الخامس في ١٧٥ .

وقد ذكرت في هذا التذييل ما يتنبّه به الولد المرجو المحبوب لمعرفة معنى التوجُّه وأنواعه وكيفيته ؛ سواء كان من جهة المرشد ! أو من جهة المريد ! ومعنى الإفاضة والاستفاضة والفيض وكيفيتها ، ومعنى الاستعداد وما هو المراد منه ، وأجبت عن جميعها تصريحاً أو تلويحاً ، على وفق سؤال الولد المذكور . وأرجوه أن يجني ثمار شجرة الكتاب ، وأن يهيىء أرض الاستعداد ، لينبت عليها بذر الفيوضات وأن يجتهد في دفن البذر في خفاء تربة الإخلاص ، فإن ما ظهر وما لم يدفن من البذر لا ينبت ! بل يلتقطه الطيور أو يتلف ويفسد ، **وذرَّة واحدة مما خفي من الأعمال خير من عدة ألوفٍ مما ظهر** ، وإبقاء العمل وسلامته من الإحباط أشد وأصعب من العمل . رزقنا الله تعالى التوفيق والإخلاص آمين .

أيها الولد : إن والدك قد ألّف الكتاب باسمك ، وأشار إلى المآخذ في كل مسألة لترجع إليها إن أشكل عليك شيء منها . ومن المعلوم أن الأكثرين من الناس لا يثقون أقوال أمثالنا إلا بالتشييد بالنقول ، ولو أتينا جميع المسائل بلا ذكر المآخذ بناء على ما فتح الله لنا بمحض فضله وجوده ومَنّه من علمه اللدني ! لكان جمع الكتاب أيسر وأسهل ، لكن بيَّنّاها لتكون كالعمود للبنيان ، وكالأساس للجدران ، جعلنا الله تعالى من أهل الاستقامة ، ولا جعلنا من الأئمة الضالين المضلين . آمين يا مجيب .

ورحم الله امرءاً رأى في هذا الكتاب خللاً فأصلح ، أو عاين زللاً فسمح ، فإن الخطأ والخلل غير مستغرب من الإنسان المطبوع على عدم الإحسان ، وخصوصاً من مثلي قليل العلم ، قصير الباع في الحفظ والفهم . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . وقع الفراغ في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

بشارة

فحين شرع الحقير الفقير في تأليف هذا الكتاب رأى واحدٌ من المريدين في الواقعة - يقظة لا مناماً - رجالاً كثيراً ، مجتمعين في بيت واسع ، وكان عند ذلك البيت حجرة صغيرة له باب من جانبه ، وكان فوق الباب كوة مفتوحة ، وعلى الكوة سكتو الخلقري ، وكان في تلك الحجرة النبي عليه السلام . فقال سيّدو : إنه عليه السلام يدعو لديه المؤلف[١] ، فذهب لدى النبي عليه السلام ، فحين دخل من باب الحجرة انفجر من تحته ماء صافٍ ، فجاء من لدنه عليه السلام لدى أولئك الرجال الكائنين هنالك ، مع قدح فيه ماء أبيض ، وقال : إن النبي عليه السلام أمرني أن أقسم هذا الماء بينكـم ، فقسمه بينهم واحداً بعد واحد ، وشربوه .

وقد أُوِّلَتْ تلك الواقعة على حصول النفع للناس من هذا التأليف ، فلله الحمد والمِنَّة ، وله الشكر ومنه النعمة . اللهم اجعل عاقبة أمورنا خيراً ، ولا تجعل سعينا مكراً واستدراجاً ، واغفر لنا ولوالدينا ولمشائخنا خاصة ، ولأحبابنا وأصدقائنا عامة ، آمين . يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين . حرر في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

---

(١) وكان عليه لباس أبيض (منه) .

الفصل التاسع عشر

في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعد امتثال أوامرهم حاضراً كان أو غائباً ، والاعتراض عليه سرّاً وجهراً

فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق .

اعلم أنه لاشيء أضرّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم و عدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه .

قال في « تحفة الإخوان » فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ حبّه وتعظيمه و توقيره ظاهراً و باطناً وعدم الاعتراض عليه في شيء فَعَلَه ولو كان ظاهره أنه حرام ويؤوّل ما انْبَهَمَ عليه ، وتقديمه على غيره ، وعدم الإلتجاء إلى غيره من الصالحين .

ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف ، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محلّ الضرورات ككونه معه في مكان واحد ، وأن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ، ولا يجلس على سجادته ، و لا يسبّح بسبحته ، ولا يجلس في المكان المعدّ له ، ولا يلحّ عليه في أمر ، ولا يسافر ولا يتزوّج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمّة إلا بإذنه ، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشئ كقلم أو أكل أو شرب ، بل يسلّم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره ، وأن لا يمشي أمامه ولا يساويه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادمة ضرر ، وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لحقدهم فيه .

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره ، وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفراً أو حضراً لتَعُمَّهُ بركته .

ومنها أن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرّده الشيخ عنه وبالجملة يجب أن يحبّ من أحبّه ويكره من يكرهه .

ومنها أن يرى كلّ بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته .

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ، ولا يقول : لم يفعل لفلان كذا ولم يفعل بي ؟ ! وإلا لم يكن مسلّماً له قياده إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهراً وباطناً أخاطب بذلك أهل الله الصادقين .

ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر فإذا قال له : اقرأ كذا ، أو صلّ كذا ، أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة ، وكذا إذا قال له وهو صائم : أفطر ، وجب الفطر أو قال له : لا تصلّ كذا ، إلى غير ذلك .

واعلم أنّ الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفّف عليهم العبادة فإذا شمّ فيهم رائحة الصدق والاجتهاد ربّما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفني في حبّ الله تعالى ، وربّما اختبرهم هل يصدّقون معه أمْ لا ؟

ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه ، **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصحّ في الطريق** .

ومنها أن لا يتجسّس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة ، فإن في ذلك هلاكه و الله تعالى أعلم ، وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذن ، ولا يرفع الستّارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك كما وقع لكثير ،وأن لا يزوره إلا وهو على طهارة ، لأن حضرة الشيخ حضرة الله ، وأن يحسن به الظنّ في كلّ حال ، وأن يقدّم محبّته على محبّة غيره ما عدا الله و رسوله فإنهما المقصود بالذات ومحبّة الشيخ تابعة لهما ، وأن لا يكلّفه شيئاً ، حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى على الشيخ فلا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه ليسلّم عليه .انتهى .

وفي« الخلاصة المرضية » : **ومن شرط المريد** أن لا يصحب من الشيوخ إلا من تقع له حرمة في قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكره ، وأن لا يكتم عن شيخه شيئاً ممّا يخطر له ، وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه . والصدق في طلب الشيخ ، وأن لا ينظر في أفعال الشيخ ، ولا يتعدى أمر شيخه ولا يتأوّل عليه كلامه ، بل يتوقّف عند ظاهر كلامه ، ولا يطلب علّة الأمر الذي يأمره به ، بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سوآء عقل معناه أو لم يعقل وليفعل ما أمره ، ومتى تأوّل على الشيخ ما أمره أو يقول : تخيّلتُ أنك أردت كذا فليعلم أنه في إدبار ، فليبك على نفسه فإنه ما أتى على أكثر المريدين إلا من التأويل . ولا يطأ سجادة شيخه برجله ، ولا يلبس ثوباً لبسه شيخه **إلا إذا كساه الشيخ إياه ، ولا يسأله عن شيئ سؤالَ من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقصّ ما وقع له فإن أجابه كان ، وإلا فلا** ، وإن وصف ذلك على أن يجيب عنه الشيخ فقد جعله سؤالاً وإذا جعله سؤالاً فقد أساء الأدب ، ولا يخون شيخه في أمر مأمور به . ويجب على المريد أن لا يدخل على الشيوخ ولا يقعد بين أيديهم إلا على طهارة ظاهراً وباطناً : مسلمين مستسلمين هكذا شأنهم .

ومن شرط المريد : أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل ، إن غسل عضوا من أعضائه قبل عضو آخر أو حرّكه أو تصرّف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة ، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزاً[1] كجلوس العبد بين يدي سيده ، وإذا أمره بفعل شيء فيثبت فيه حتى يعرف مراده ، ولا يبادر وهو غير عارف بما أمره ، ولا يتحمّل فيه

---

(١) استوفز : قعد غير مطمئن . « منجد » .

قول القائل ، وإذا عرف له عَدُوّاً فليهجره في الله تعالى ، ولا يجالسه ولا يعاشره . **وإذا رأى من يثني عليه ويحبّه فيحبّه ويقضي حوائجه** . وإن طلّق امرأة فمن الأدب أن لا يتزوّجها من غير أن تحرم عليه ، ويتلمّذ ويخدم كلَّ من قدّمه عليه شيخه وإن كان أقلّ علماً منه ، ولا يقعد مقعداً حيث كان إلا ويتيقّن أنّ الشيخ يراه فليلزم ذلك ، ولا يمشي أمامه إلا بليل ،ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلّة الأدب والحياء ، ويخرج الأحوال من القلب ، ولا يكثر مجالسته ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها ، ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبّلَ يده وأطرق ، ويتحبّب إليه بإمتثال أمره ونهيه ، وليكن حافظاً شحيحاً على عرضه ، وإذا قدّم إليه طعاماً فليقله[1] أمامه بجميع ما يحتاج إليه ، وليقف خلف الباب فإذا دعاه أجابه وإلا فليتركه حتى يفرغ فإذا فرغ أزال المائدة ، فإن بقي من طعامه شيء وأمره بالأكل فليأكل . **ولا يُؤْثِرُ بنصيبه أحداً** .

وليجتهد أن لا يراه إلا فيما يسرّه ولا يتمنّ عليه ، وليحذر مكر الشيخ فإنهم يمكرون بالطالب ، فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه فإن وقعت منه زلّة في حقّ أدب مع الشيخ وعرف أنه قد عرف بها وسامحه فيها ولم يعاقبه فليعلم أنه قد مكر به ، وعلم أنه لا يجيء منه شيء ولهذا سكت عنه ، وإذا عاقبه على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليستبشر بالقبول والفتح والرضى ، ولا يُبْدِ الله عليه إلا بسطة له كما انبسط معه ، فليزدد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام ، كلّما ازداد بسطة وخشوعاً زاد فيه مهابة وجلالاً .

ومن شرط المريد : أن لا يردّ على الشيخ كلامه ولوكان الحقّ بيد المريد ، فإنّ الشيخ إنما يقول ما فيه مصلحته فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماره ، ومتى وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاعه في خاطره ، فالنزاع وإن كان في نفسه فهو عين الاعتراض **والاعتراض على**

---

(١) علّه فليلقه (هامش الأصل) . أو فليقد .

الشيوخ حرام على المريدين وقوعه ، فهذا مريد مسخرة للشياطين ساع في هوى نفسه ، سَوْءته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى .

ومن شرط المريد : إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأمّل ولا توقّف ولا يصرفه عنه صارف ، حتى قال بعض المشائخ لبعض المريدين : أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررتَ بمسجد فقام فيه الصلاة فما تصنع ؟ فقال : أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه ، فقال له : أحسنت . ولهم في ذلك خبر يستندون إليه ، وهذا بشرط أن لا يخرج الوقت فإن خشي خروج الوقت صلى وذهب إليه .

ومن شرط المريد : الوفاء بكلّ ما يشترط عليه الشيخ سواء كان ذلك صعباً أو سهلاً . فإن طريق الله تعالى مجاهدة ومكابدة ليس طريق الراحة ، وليس للمريد أن يشترط على الشيخ ، **وإيّاك أن تعترض في شيء من أقواله ، ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظنّ** ، وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً ، فإنهم قالوا : **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** ، وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتّهِمْ نفسك واحمله على قصور علمك ونظرك ، فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك وأشدّ اهتماماً بها من غيره ، وكلّما خطر لك شيء من هذا الجنس ، تذكّر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض ، والحقُّ أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكّرت لظفرت به غالباً ، ولكنّ النفس لا تساعدك على هذا بل تغطي عليك وجه الصحة وإن كان واضحاً بيننا ، وتلقّنك وجه الفساد وتزينه وإن كان ضعيفاً لتستوفي حظّها ، فلو صدر منك ذلك الفعل بعينه أو أقمت على صحّته دلائل مثل الجبال الرواسي وتساعد النفس فيه ، وفوق ما ذكرنا من الاعتراض أن يكون مسلّماً بالظاهر معترضاً بالقلب ، فتنقطع الرابطة ويقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنويّة ، **فلا ينفعه**

التسليم باللسان مع وجود الإنكار في الباطن ، إذ الرابطة أمر معنويّ لا يتعلّق باللسان ، وإنما يتعلّق بالقلب . فإذا تمكّن الإنكار فيه زال اتّصال الباطن والمحكوميّة وهو المعنى من الرابطة ، فلا يبقى بين قلب المريد وبين قلب الشيخ علامة ، فينسدّ طريق الفيض الذي يصل إلى قلبه من قلب الشيخ في الحقيقة وإن كان قريباً ، فكم بينه وبين من يكون بعيداً في الصورة قريباً في الحقيقة ؟ ! هيهات مثل هذه المحبّة لا تزيد إلا شقاوة وردّاً على ردّ فيعود الأمر على موضعه بالنقص ، ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس و الشيطان فيعد من جملة الخادعين والمنافقين في الطريقة .

والمريد إنما يتعلّق بإرادة الشيخ ليتخلّص من الكفر الباطنيّ ويشفي من المرض الخفي القلبيّ ، وإلا فهو مسلم شرعاً لا شكّ في إسلامه ، وإذا حققت وجدته ترك الاعتراض على الله تعالى لأنه إذن كان مسلماً للشيخ ، مطيعاً لحكمه ظاهراً وباطناً ، فمن حصل عليه خاطر لاعتراض على الله تعالى ، فالشيخ يخرجه من هذه الورطة بحسن تربيته وإرشاده وإن كان في قلبه نوع إنكار واعتراض على الشيخ ، فإن وقع في مضيق الاعتراض على الله تعالى كيف يخرج عنه ، ومن يأخذ بيده ، فيحصل غرض النفس إذ مقصوده من الاعتراض على الشيخ ليس إلا أن تنقطع الرابطة ، فإذا دخل عليه خاطر الاعتراض على الله تعالى وأراد الشيخ أن يغيّره عن هذه العقبة لا ينفذ فيه تصرّفه ، ولا ينجع كلامه ، فتزلّ قدم المريد وينحرف عن جادة الطريق ، إذ الثبات ليس إلا بقوة ولاية الشيخ ومحكومية المريد ، فيكون الأمر كما تحب النفس وتشتهي .انتهى مخلصاً .

وفي« الإبريز » للشيخ أحمد بن المبارك ، وسمعته - يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ - [يقول] : **لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الوليّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى . فإن في باطن الوليّ العجائب**

والغرائب ، وما مثاله إلا كخنشة صوف في وسطها خنشة حرير لا تنظر إلا في الآخرة وغير الولي بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صُوف . والعياذ بالله تعالى .

قال : ولنثبت أسباباً كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ سمعناه من الشيخ ﷺ مفرقة فلنجمعها هنا .

فنقول : سمعْته ﷺ يقول : كان لبعض الأولياء الصادقين مريد صادق فكان يحبّه كثيراً ، وأطلعه على أسرار ولايته حتى أفرط في محبته ، وكاد يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوّة ، فأظهر الله تعالى على الشيخ صورة معصية الزنا رحمة بالمريد المذكور ، فلما رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ونزل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد .

قال ﷺ : وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبي ﷺ من نحو قوله في قضيّة تأبير النخل : لو لم تفعلوا لصلحت ، ثم تركوا التأبير فجاءت الثمر شيصاً أي غير صالحة ، ومن نحو قوله ﷺ « رأيت في منامي انا ندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين مقصرين » ثم خرج النبيّ ﷺ مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم فصدّهم المشركون ، ولم يدخلوا إلا في عام آخر ؛ ونحو ذلك ، ففعل الله سبحانه هذه الأمور مع نبيّه الكريم لئلاّ يعتقد الصحابة فيه الألوهية ولذا قال تعالى ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾ ونحو ذلك فإنّ المقصود من ذلك كلّه هو الجمع على الله سبحانه والله تعالى أعلم .

قال : وسمعته ﷺ يقول : إنّ الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونياتهم ، فمن صفت نيته رآه في عين الكمال ، وظهر له منه الخوارق وما يسر له ، ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك وفي

الحقيقة ما ظهر لكلّ واحدٍ إلا ما في باطنه من حسنٍ وقبح ؛ والوليّ بمنزلة المرآة التي تتجلى فيها الصورة الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمال ودلالة على الله تعالى فليحمد الله تعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه .

قال ﷺ : وإذا أراد الله شقاوة قوم ، وعدم انتفاعهم بالوليّ سخر الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنّون أنّه على شاكلتهم وليس كذلك ، حتى أنّه يتصوّر في صور الولاية أن يقعد الوليّ مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنونه أنه شارب الخمر ، وإنما تصوّرت روحه في صورة من الصوّر ، وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء ، وإنما هو ظلّ ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلمتْ ، وإذا أخذتَ في الأكل أكلتْ ، وإذا أخذتَ في الشرب شربت ، وإذا أخذتَ في الضحك ضحكت ، وإذا أخذتَ في الحركة تحرّكت وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره لأنها ظلّ ذاتك وليست بذاتك الحقيقيّة ، فإذا أراد الله تعالى شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظلّ ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون ؛ والله تعالى الموفق .

وقال : سمعتُ ﷺ يقول : إنّ الوليّ إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم ، وأمّا ظاهرهم فلا عبرة به عنده .

والقاصدون على أربعة أقسام :

قسمٌ يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد ، وهذا أسعدهم . **وقسمٌ** يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد ، وهذا أبعدهم . **وقسم** ظاهره معتقد وباطنه منتقد ، وهذا أضرّ الأقسام على الوليّ كالمنافق بالنسبة إلى النبيّ ﷺ ، لأنه إذا نظر إلى ظاهره يريد نفعه منعه الباطن . وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمعه ظاهره .

قال ﷺ : **والوليّ يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر** فيكون هذا القسم عنده بمثابة من جلس إليه رجلان ، أحدهما في جوف الآخر **فيقول الرجل الظاهر** : أنت سيدي وأنا عند أمرك ونهيك ، وعلى طاعتك وتصييرك ، **ويقول الذي في الجوف** : أنت لست بوليّ والناس أخطؤوا فيما يظنون فيك ، وأنا على شك في أمرك وفيما يقولون فيك ، ونحو هذا . فالجاهل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم ، والقسم الأوّل . فإذا رأى القسم الأوّل ربح ، وحصل له الخير الكثير من الوليّ ، قال في نفسه : ولم لم يربح القسم الثالث مع أنه يتأدّبُ ويخدم بنفسه ، ويقف عند الأمر والنهي كالأوّل ؟ فيقول : لعلّ الخلل والنقصان من الوليّ فيكون هذا باباً واسعاً للكلام في الأشياخ ودخول الوسوسة فيهم .

وأما القسم الرابع : وهو ما يكون باطنه معتقداً وظاهره منتقداً ، فلا يتصوّر إلا مع الحسد ، نسأل الله تعالى السلامة والله تعالى أعلم .

وقال ﷺ : إنّ الوليَّ الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه ، لا يحجب عنه طرفة عين ، وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة فمن قسم له رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر ، وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا يكيف من الخيرات ، ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف .

وقال ﷺ : وما مثل الوليّ مع القاصدين إلا كحجر بني إسرائيل ، فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتي عشرة عيناً ، وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة .

وقال ﷺ : **إنّ الوليّ الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في**

المعصية فليست بمعصية ، لأنها إذا أكلت حراماً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت ، وسببُ هذا المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين ، والعياذ بالله . فإذا رأيت الوليّ الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد على الحاضرين لأن الله تعالى أراد بهم الخير ، أو معصية فاشهد بشقاوتهم ، وكما أن أرواحهم هي التي تتولّى معاصيهم الظاهرة ، والله تعالى أعلم .

وقال رضي الله عنه : إنّ الوليّ قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي ، فيستعمل أموراً تردّه إلى حسه وإن كان فيها ما يعاب عليه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما ، فإذا رآه شخصٌ ارْتَكَبَ ذلك الأمر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله . ربما بادر إلى الإنكار عليه فيحرم بركته وقد تقرّرَ في الشرع أي في الشريعة المطهّرة أنّ العضو إذا أصابته الأكلة ، وخيف على الذات منها فإنه يباح قطعه لتسلم الذات ، مع أن العضو معصوم ، ولكنه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما ، وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدّة الجوع فإنه يباح أكلة الميتة حتى يشبع ويتزوّد منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة . وهذه الأمور التي تردّ ذات الوليّ إلى حسها هي المعتادة لها قبل الفتح وكل ذات وما اعتادت ، فافهم بالإشارة ففي التفصيل والتصريح وَحْشَةٌ ، والله تعالى أعلم . انتهى مخلصاً . وإلى معنى جميع ما تقدم أشار شيخنا رضي الله عنه وأرضاه عنا به كما في « جواهر المعاني » بقوله : وأما ما يقطعه - يعني المريد - عن أستاذه فأمورٌ : **منها** الاعتراض . **ومنها** الاعتراض بالقلب واللسان . **ومنها** كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة .

ومنها سقوط حرمته من قلب فأما الاعتراض سواء كانت دنيوية أو أخرَوية وذلك أنّ الشيخ لا يعرف ولا يصحب إلا لله عزّ وجلّ ، لا لشيء

والصحبة في أمرين :

الأول : أن يواليه لله تعالى بأن يقول : هذا وليّ الله تعالى وأنا أواليه لله سبحانه ، وسرّ ذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي طيّه : من والى لي وليّاً لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وليّاً ؛ وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى .

والأمرُ الثاني : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجبُ للحضرة من الأدب ، وما يفسد المريد فيها من الأوطار والأرب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى وعلى ما يقرّبه إليه ، والصحبة في هذين لا غير ، **وأما من صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة** .

فإذا عرفت أنّ الرب سبحانه يُعْبد لا لغرض بل لكونه إلهاً يستحقّ الألوهيّة والعبودية لذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهيّة - وهذه هي العبادة العليا - وكذلك الشيخ يُصْحب لا لغرض ، بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرّف منه الأدب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى ؛ **وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محموداً فهو شينٌ على العبد في حضرة الله تعالى** ، ولهذ أمرت الأشياخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقلّ قليل ، **لأنّ المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله تعالى صريحاً لا تلويحاً ، لكونه نصب نفسه إلهاً وعصى أمر الله تعالى وخالفه ، فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله في شيء ، وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال : كذبت بل أنت مشرك** . ومن هذ القبيل خرج قوله ﷺ « ما تحتَ قبة السماء إله يعبد من دون الله تعالى أعظمُ من هوًى متبع » ، فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغيّر إذا لم يوافق هواهُ في غرضه .

فإنّ الشيخ أعلم بالمصالح وأدرى بوجوه المضار ،

والتلميذ جاهلٌ بذلك ، فإذا طلب منه غرضاً من أيّ فنّ كان ، ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه منه لأجل مصلحته ودفع مفسدَته ، فإذا عوّد نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ . فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغييره[1] انقطع انقطاعاً كليّاً لا رجوع له أصلاً .

وأما الاعتراض بالقلب أوْ باللسان فإنه سيف صارم يقطعُ الحبْلَ بين الشيخ ومريده ، فلا يعترض شيئاً من أمور الشيخ . فإن لم يوافق ما عنده من ظاهر العلم وباطنه فليعلم أنّ هناك دقائق بين الشيخ ورَبّه لا يدْريها التلميذ والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه ، فإذا خالف صُورَة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشيخ من حيث لا يدريه الخلق .

وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجلّ به في غيرها من المراتب ، وذلك التجلّي تارةً يكون كمالاً في نسبة الحكمة الإلهيّة ، وتارة تكون صورتها نقص في نسبة الحكمة الإلهية ، فلا محيد لتلك المراتب من ظهور التجلّي فيها بصورة ذلك النقص لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية ، وكلّ تعلقات المشيئة يستحيل تحرّ لها لغير ما تعلّقت به ، **فلا بدّ لكل عارف من ظهور النقص في ذاته ، ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال الدقائق التي بينه وبين رَبّه** ، وتارة يلابسه معتمداً أنه نقص ، وليس له في هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث لا محيد للعبد عنه . فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما

---

(١) علّه : بعد تغيّره .

شرعيّاً أو مما يخلّ بالمرُوءة فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها ، وليعلم أنّ ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربّه ، ولا يزحزحه عن محلّ قربه ، ولا يحطّه عن كمال أدبه فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية ، وكلّ مريد يطلب مرتبة من الحق يتعلّق بها للقرب والوُصول يريد أن لا يظهر فيها نقص ، كان لسان حاله ينادي عليه : **لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى** ، لأنّ كل المراتب لا بدّ لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحساً بريئاً من النقص بكلّ وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط ، لا ما عداها ، وهي : **الرسالة** لمن دخل حضرتها ، **والنبوّة** لمن دخل حضرتها ، **والقطبانية** لمن دخل حضرتها ، فإن هذه الثلاث لا صورة للنقص فيها ، والباقي من المراتب يظهر فيها النقص في الغالب ، وقد لا يظهرُ .

فإنّ هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرءِ فيها صورة النقص **فذلك هو غاية الكمال** ، وإنما ينتقصها المرء لجهله وإليه يشيرُ قوله ﷺ « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله فوالله إني لأعلمهم بالله وأخشاهم له » .

وأما سقوط حرمته فهو أكبر قاطع عن الله تعالى ، وسقوط الحرمة هو عدم ظهُور المبالاة إذا أمرَه أو نهاهُ .

ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشارك في محبته غيره ، ولا في تعظيمه ، ولا في الاستمداد منه ، ولا في الانقطاع إليه بقلبه ، ويتأملُ ذلك في شريعة نبيّه ﷺ : فإنّ من سوّى رتبة نبيّه محمد ﷺ مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافراً ، إلا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية .

فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره به في هذه الأمور ، ولا يشركه .

ومن أكبر القواطع عن الله تعالى أن ينسب ما عندَه من الفتح والأسرار لغير شيخه ، لأنّ تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كلّ نورٍ منها يحنّ إلى مركزه ، وهي الحضرة الإلهية التي منها برز ومنها نشأ ، ولكل شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشاركه فيها غيره ، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه . وصورة ذلك في نسبة الحكمة الإلهية أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه قال تعالى ﴿ **ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق ، وكذب على الله تعالى ، والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويسلب ؛ والعياذ بالله .انتهى والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب آمين . « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » عبارته ١٣٩ ج١ .

ولا تقْدِمَنْ قبل اعتقادك أنه ... مربّ ولا أولى به[1] منه في العصر
فإن رقيب الالتفات لغيره ... يقول لمحبوب السراية لا تسري
وإن تسم نحو الفقر نفسك فاطرح ... هواها وجانبه مجانبة الشرّ
وضعها[2] بحجر الشيخ طفلاً فما لها ... خروج بلا فطم عن الحجر والحجر
ومن لم يكن سلب الإرادات وصفه ... فلا يطمعن في شمّ رائحة الفقر
ولا تعترض يوماً عليه فإنه ... كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل ... يرى النقص في عين الكمال وما يدري

(١) وفي نسخة : أولى بها .
(٢) وفي نسخة : وضعفاً .

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الإنكار في لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره ولاتملأن عيناً من النظر الشزر
ولا تنطقن يوماً لديه فإن دعا إليه فلا تعدل عن الكلم النزر
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ولا تجهروا جهر الذي هو في قفر
ولا تقعدن قدامه متربعاً ولا بادياً رجلاً فبادر إلى الستْر
ولا باسطاً سجادة بحضوره فلا قصد إلا السعي للخادم البرّ
وسجادة الصوفيّ بيت سكونه ولا وكر إلا أن يطير عن الوكر
وفرّ إليه في المهمات كلها فإنّك تلقى النصر في ذلك الفر
ولا تك ممن يحسن الفعل عنده فيفسد إلا أن يفر إلى الكرّ
ومن حلّ من صدق الإنابة منزلاً يرى العيبَ في أفعاله وهو مستبرّ

« جواهر المعاني » عبارته ١٤٤ من الجزء الأوّل .

مهم

قال في « الوصايا القدسية » : وينبغي أن يكون - يعني المريد الذاكر - صادقاً يخلص بهمته نفسه من التعلقات بالكائنات ، والميل إلى المشتهيات والمستلذات التي هي المعبودات الباطلة ، ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية فلا طائل تحتها ، ويطلب الحق وحده وينزه طلبه من المزج بهوى النفس ، فإن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات من جملة هوى النفس وهواها ، ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك فهو مدرج فيما بين الممكورين ، بل وإن وقعت بلا طلب يخاف عليه من الاستدراج . « رماح حزب الرحيم »

عبارته ١٣٩ ج١ من هامش « جواهر المعاني » من خط أبي حسن أفندي .

فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره « جواهر المعاني » عبارته ١٣٣ ج١ من خطه رزقنا فيضه .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الترغيب الثامن

الترغيب التاسع

الموضوع **الصفحة**

الترغيب العاشر

الموضوع	الصفحة